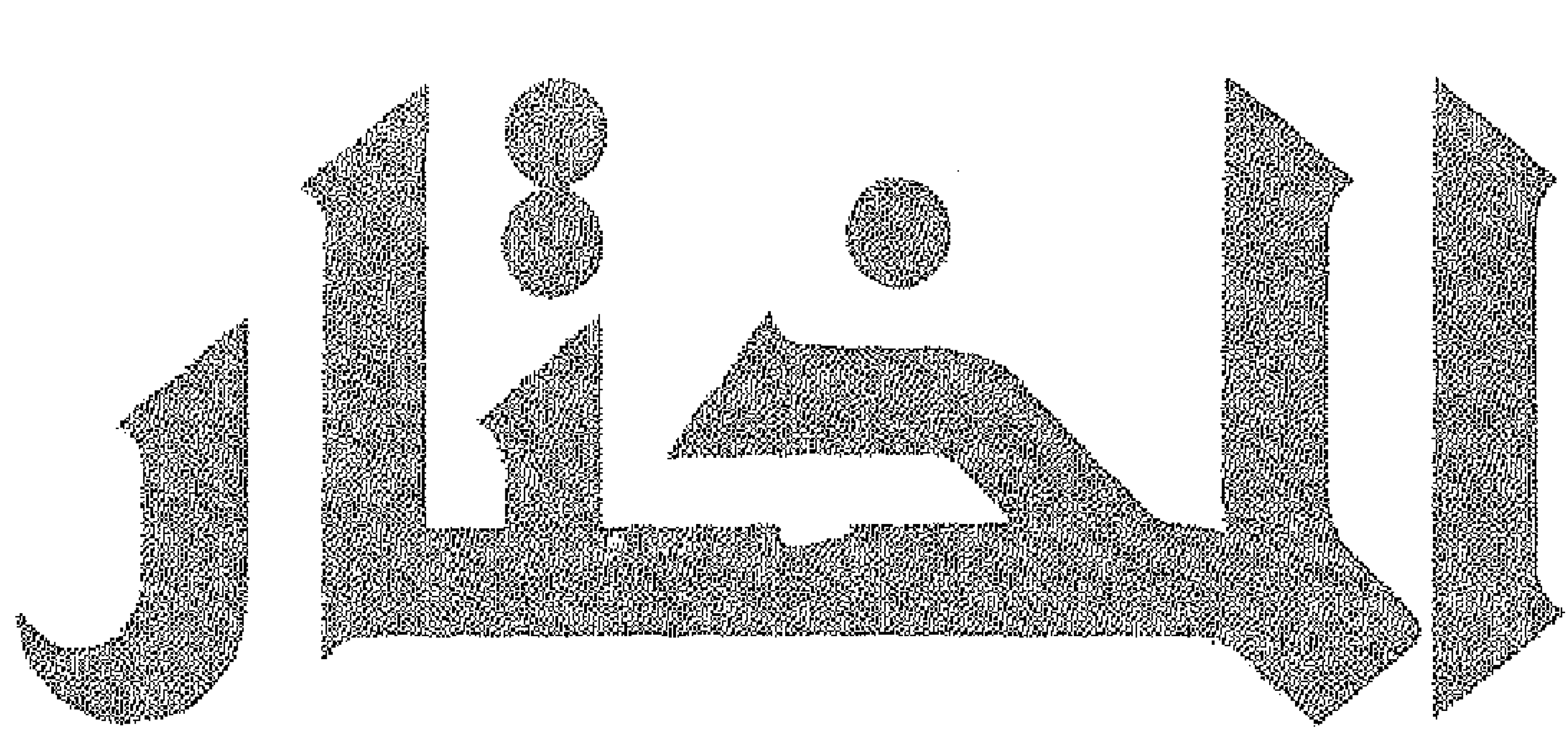
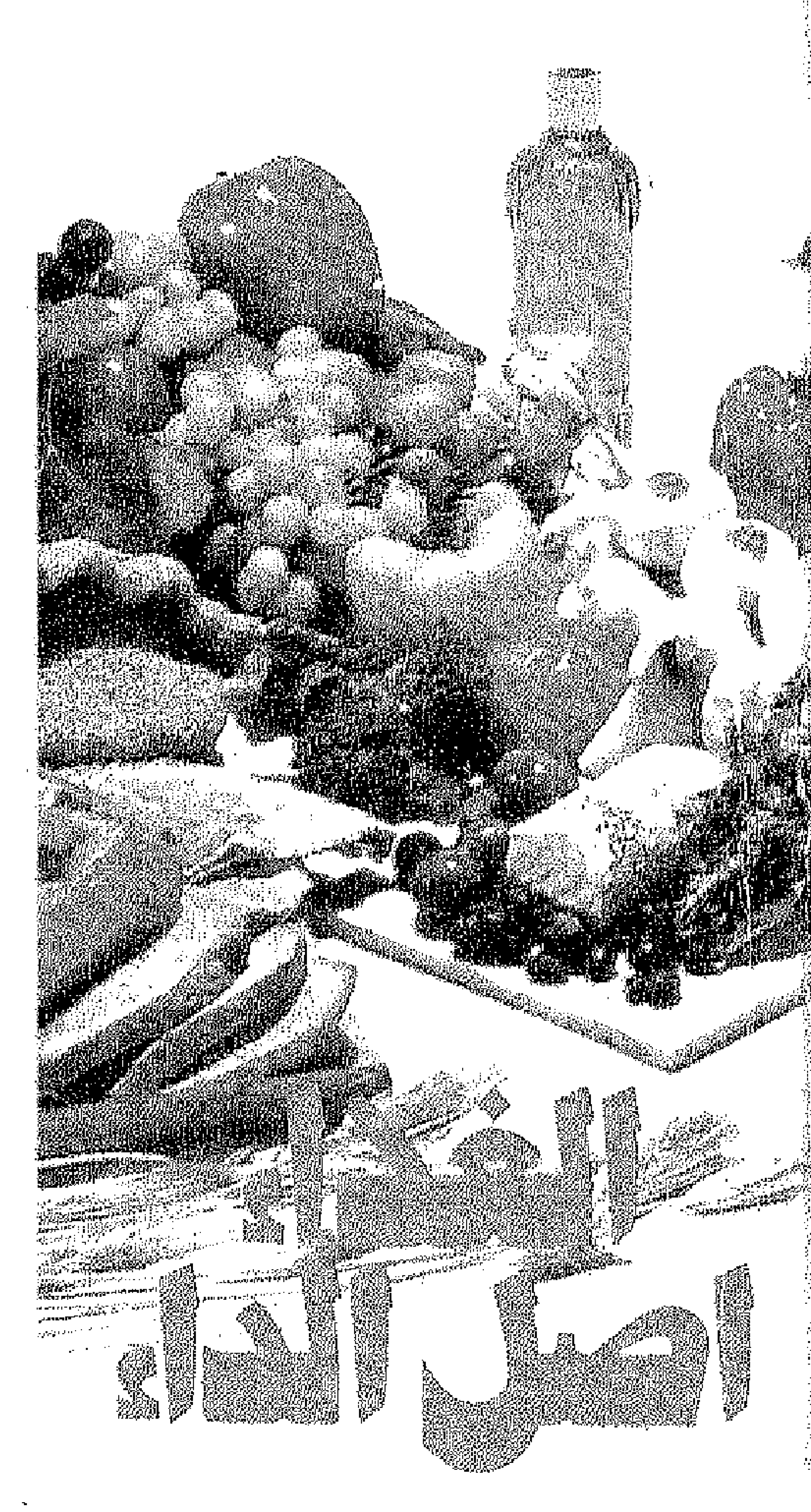
يناير (كانون الثاني) ١٩٨٧، جمادى الاولى ١٤٠٧



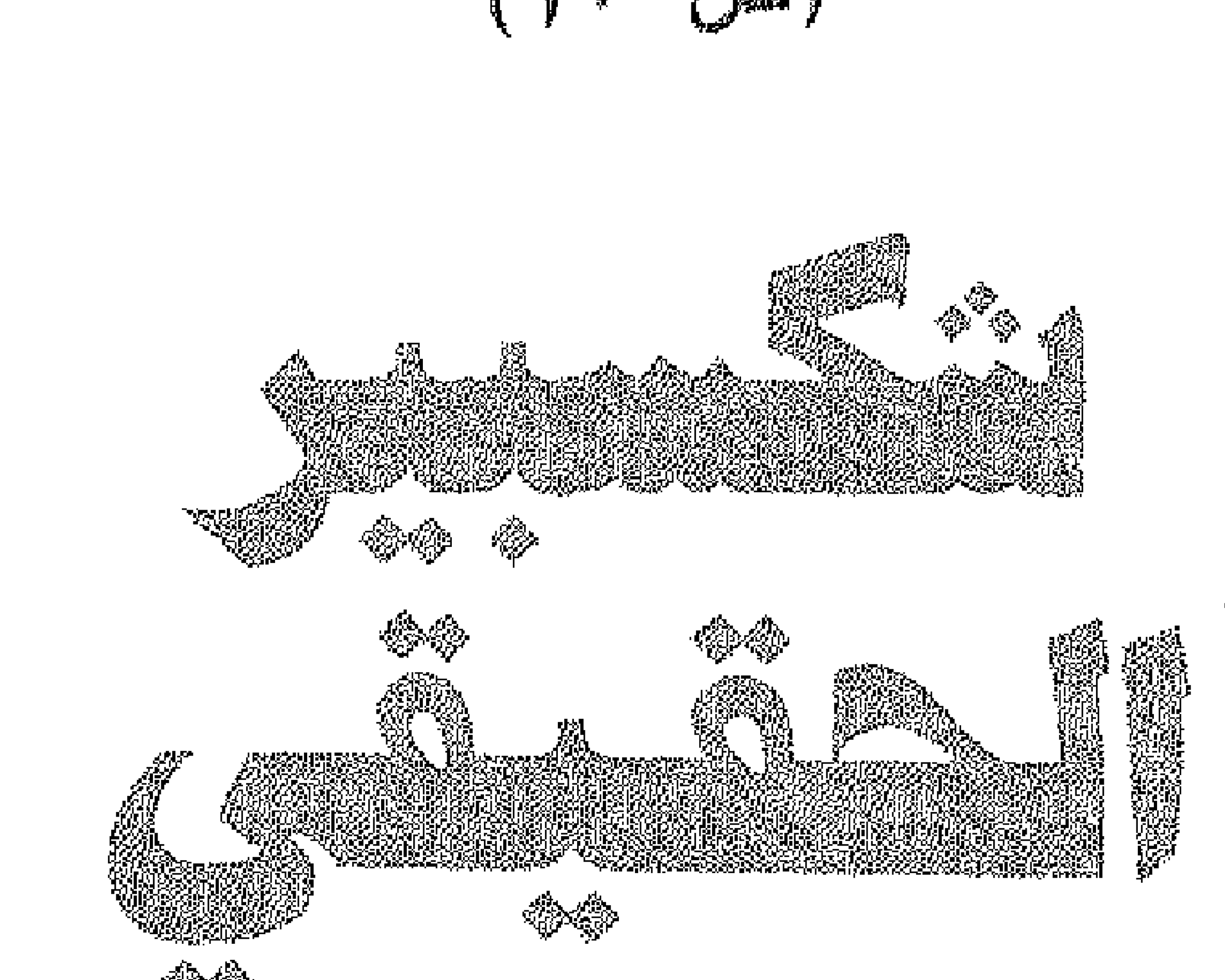


المختار من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest January 87 N° 98



اكتشاف كنز في بحر الصين



اكثر من مئة مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٩ بلداً بـ١٥ لغة

زمن النضارة

قبل ٤٣ سنة ولدت «المختار» العربية، وكان زمنها زمن البساطة في كل شيء، في الازياء كما في الفكر والثقافة.

وكان طبيعياً ان تتطور المجلة مع نمو حاجات قرائها وتنوع اذواقهم. وانعكس هذا التطور بوضوح في المضمون بينما بقيت محاولات تطوير الشكل خجولة.

ولان بساطة «المختار» لا تستدعي تغييرات انقلابية، فان التجديد الذي باشرناه في الغلاف قبل اشهر استمر تصاعدياً، وبلغ هذا الشهر القمة اي الاسم.

وقد تصرفنا مع «المختار» تصرف الزوج الذي احب في رفيقة عمره حرصها على بساطة مظهرها، فلا هي تضع مساحيق مجمّلة ولا تتوسل الزينة للاغراء مكتفية بجاذبيتها الطبيعية.

ولكن لا بد ان يأتي يوم، ينظر الزوج الى وجه زوجته ويقول: «لا بأس ببعض التلوين لوجنتيك والكحل لعينيك لانهما يكسبانك نضارة محببة الى قلبي.»

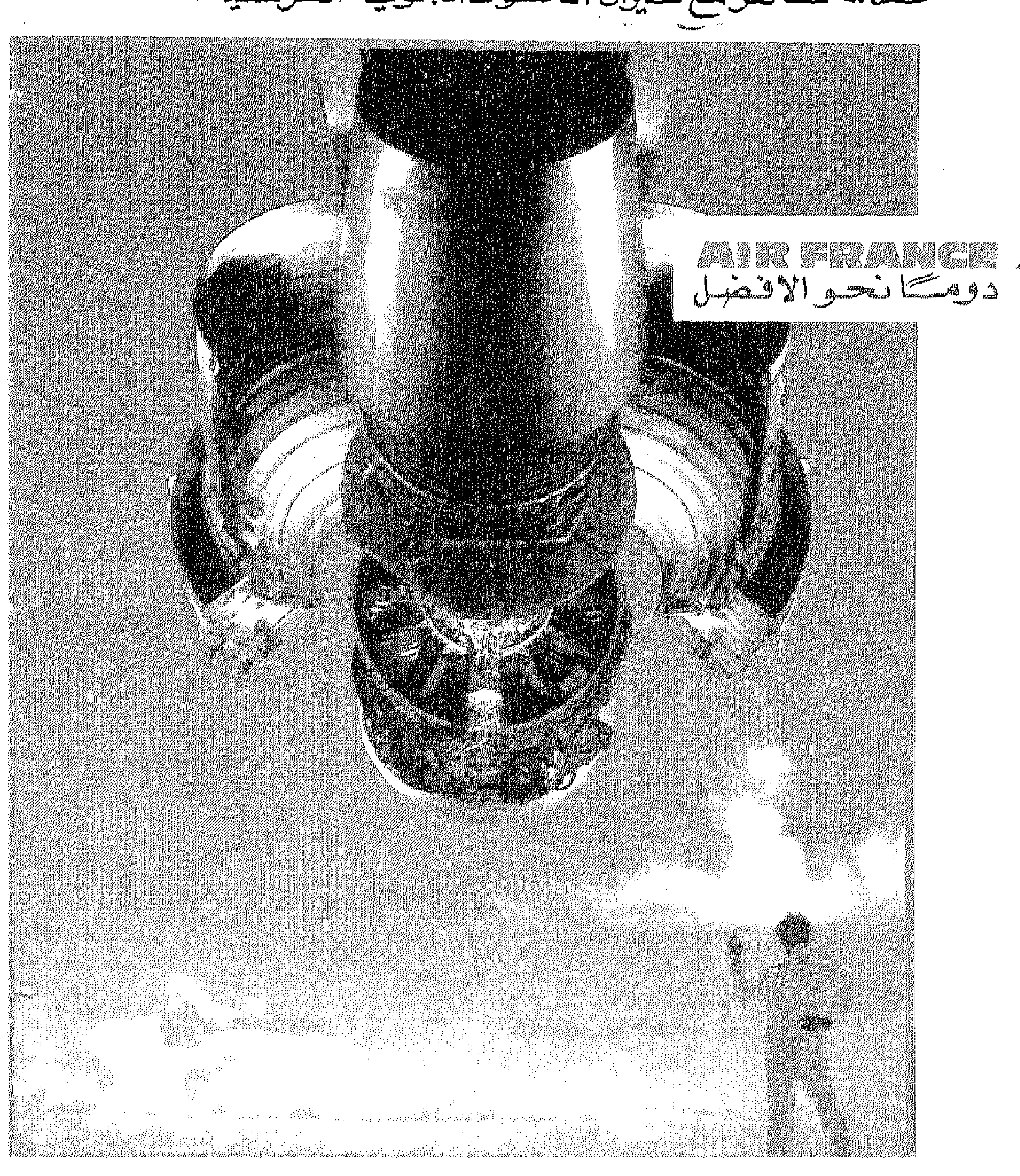
ونحن من اجل هذه النضارة في وجه «المختار» جددنا آملين ان يكسب ذلك المجلة مزيداً من الجاذبية لاجيال من القراء، بعضها عايش المجلة منذ نشأتها وبعضها الآخر يقبل عليها حديثاً كأنه يفتح كتاباً للمرة الاولى في حياته.

رئيس التحرير.

مـَـزايـَـا فـــائقـــة

تـرتكز صيانـة الخطـوط الجويـة الفـرنسية على أحد أفضـل ما تم تـجربتـه من وسَـائـل متقـدّمـة ومتطـوّرة في العـالـم. فنظـام الصـيانة هـذا مثـالي لدرجـة أن عـددًا كبيرًا من شركـات الخطـوط الجويـة العـالميـة الاخرى قـد اعـتمدتـه لها في صيـانـة طـائراتـها.

نظـام الصيـانـة في الخطـوط الجويـة الفـرنسية: انـه واحد من الامثلة العديدة للمزايـا الفـائقـة والكـفاءات العـاليـة التي يمكنك لمسَـهـا عندما تسـافـر مع طيران الخطـوط الجويـة الفـرنسيـة.





من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.
رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.
الاشتراكات: فريال علاف.
التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠
التلكس MUKTAR 44615 LE ، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.
الاعلانات والاشتراكات: بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان. الهاتف ٣٤٥٧٣١ - ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE.
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.
مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE

AL MUKHTAR min Reader's Digest.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, Tel: 492670 — 491630
P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.
MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

January 87 N° 98 (New Series) Vol. 9

ثمن العدد

لبنان ١٠ل - سورية ١٠ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ١ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٤ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب - تونس ٦٠٠م - المغرب ٥د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢٫٢٥د



الأوركيدا

تفتن الأنس وتثير الجنس!

ان لزهرة الاوركيديا، أو السحلبيّة، تأثيراً غريباً في الناس. فهي تمنح علماء متّزنين نشوة عجيبة وتحيل أصحاب مصارف رصينين صيادي نبات.

نجوم السينما يزرعون الاوركيديا، وهي الزهرة الارفع منزلة في هوليوود. كذلك يفعل مهندسو الالكترون وأطبّاء الاطفال وعمال المصانع. وفي حين يمكن أي شخص أن يشتري نبتة أوركيديا بخمسة عشر دولاراً، فقد يبلغ ثمن نوع جديد مهجّن فائق الجمال ٣٥ ألف دولار، وهو ما دفعه أكثر من حدائقي تجاري بطيبة خاطر.

فما الداعي الى كل هذا الاهتمام؟

يعود السبب ببساطة الى أن الاوركيديا هي الدرر التي ترصّع علم البستنة. انها الازهار الأكثر غرابة في جمالها وتنوّعها والأكثر اثارة للغريزة الجنسيّة!

آكلة لحوم! – تعتبر فصيلة السحلبيّات من كبرى الفصائل التي عرفها العلم وأكثرها تطوراً. ويقدّر الخبراء عدد الاجناس في هذه الفصيلة بنحو ٢٥ ألفاً، ولا تزال أجناس جديدة في صدد الاكتشاف. وينمو ٨٠ في المئة منها، أو أكثر، في المناطق الاستوائية، الا أننا نجد الاوركيديا في جميع القارّات باستثناء قارة القطب الجنوبي.

والاجناس الاستوائية مدهشة على نحو خاص. وقد ذهل تشارلز داروين وهو يستكشف الادغال البرازيلية في الثلاثينات من القرن الماضي أمام ما سمّاه "الطفيليّات المزهرة العجيبة الجميلة" التي نمت على الاشجار. وافترض داروين في البداية أن الاوركيديا تلتصق بمضيفتها وتستمدّ منها قوتها. وبسبب تقريره وتقارير أخرى شاع اعتقاد شعبي خاطىء عن الاوركيديا فاعتبرت نباتات شريرة كالعلق.

وفي القصة العلميّة الخياليّة التي كتبها الروائي البريطاني هـ.ج. ويلز عام ١٨٩٤ وعنوانها "ازهار الاوركيديا الغريبة"(١) يكاد البطل يقضي بفعل نبتةٍ رهيبة تفقده الوعي برائحتها العذبة وتطوّقه بجذيرات تمتص دمه ببطء.

ولم تتبدّد بعد أساطير أخرى عن الاوركيديا. وقد ساد اعتقاد أنها تلتهم الحشرات التي تجازف بدخول قبضتها، ويعود ذلك الى المظهر المفترس لبعض زهرات الاوركيديا التي تشبه الفخ. ويُروى أن امرأة أنيقة الملبس اقتربت من مزارع أوركيديا قدّم مجموعته في معرض تشلسي للازهار في لندن، وطلبت منه أن يدلّها على "الاوركيديا الآكلة اللحوم." فأجابها الرجل بعد تفكير سريع: "عذراً يا سيدتي، انها ذهبت لتناول الغداء."

انتشار وتنوع – زهرات الاوركيديا ليست طفيليّات ولا أكلة لحوم، الا انها مميّزة في تكيّفها. وينمو غالب الاوركيديا الاستوائية على الاشجار، وهي تتخذ من مضيفاتها حِمى فقط وتستمدّ قوتها من المواد العضويّة التي يذيبها ماء المطر المنساب على الشجر ومن الكتل المتعفّنة العالقة في جذيراتها وفي الصدوع في لحاء الشجر.

ويخمّن بعض العلماء أن هذه الاوركيديات اذ تنمو مرتفعة عن الارض فانها تتجنب الظلّ الكثيف والاخطار الاخرى التي تتعرّض لها أرض الغابة. فتفيد من الارتفاع لتنشر بذورها الصغيرة على مساحة أوسع في مهبّ الريح.

وتنمو معظم الاوركيديات الاستوائية في المرتفعات الاكثر برودة، أي على علو يراوح بين ألف متر وألفين. ونجد بعضها على ارتفاع ٤٣٠٠ متر. أما في المناطق المعتدلة فينمو معظمها على سطح الارض كالنباتات العاديّة. وينمو نوعان منها على الاقل تحت سطح الارض، الا أنهما غير معروفين الا في أوستراليا.

تتنوّع زهرات الاوركيديا على نحو يفوق كل تصوّر. فبعضها صغير الى حد أن عدداً منها يشكل في مجموعه حجم رأس دبّوس. وبعضها الآخر يحمل أزهاراً مبهرجة ضخمة يزيد قطرها على ٣٠ سنتيمتراً. وقدّر وزن نبتة أوركيديا واحدة

(١) The Flowering of the Strange Orchid

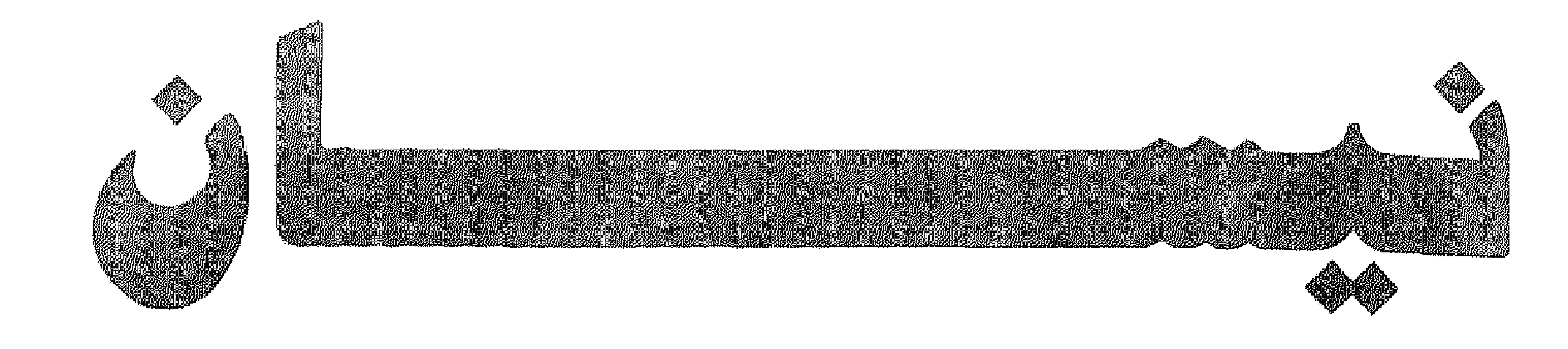
(التتمة في الصفحة ٨)

آفــــــاق

القيمة

عندما يشتري شخص ما سيارة فانه يعطي الاعتبار الاول لمعرفة ما اذا كانت السيارة تساوى المال الذى يدفعه بها. ولا يكفي ان تكون السيارة جميلة المظهر عظيمة المزايا. اذ يجب ان تواكب الزمن والتطور. وبالسير على تقليد راسخ من الامتياز فان نيسان صني تقدم لك نوعية جيدة حتى في اصغر التفاصيل. فالخصائص التكنولوجية بما في ذلك المحرك الاقتصادى الغير عادى والداخل المريح بشكل استثنائي تجعل هذه السيارة المتميزة هي الاختيار الامثل لاولئك الذين يضعون الاداء والشكل والراحة في المقام الاول. وفوق ذلك فان نيسان صني ليست شيئا يدوم اليوم ويزول غدا، بل على العكس من ذلك، فبفضل الاستعمال الكبير لمعدن الزنك - الكروم المقاوم للصدأ في صنع الهيكل واستخدام الشمع المضاد للصدأ فان التصميم البارع لسيارة نيسان صني سيظل يلفت نظرك لسنوات عديدة قادمة. وبفضل بنائها وفق مقاييس ممتازة للنوعية الجيدة، فان نيسان صني تثبت قوتها أمام أصعب المتطلبات التي تنشدها من سيارة بهذه القيمة. انها تنجح لانها تمتلك تلك المزايا الخفية ولكن الحقيقية التي تجعل من نيسان تلك السيارة الرائعة - انها آفاق نيسان.

من خلال مضادات الصدأ المستخدمة بشكل كبير يمكن لسيارة نيسان صني الحفاظ على شكلها الانيق.


نیسان

تنمو في جنوب شرق آسيا بأكثر من طن، وهي تنتج نحو ١٠ آلاف زهرة خلال موسم يمتد خمسة أشهر، ويتفتّح فيها نحو ثلاثة آلاف زهرة في آن.

تشبه الاوركيديات العث والفراش والعناكب والقرود والاوز والأخفاف والراقصات. ويتنوّع أريجها بين الاثيري والمسكر والفاسد. وتتلوّن بكل الألوان التي يمكن تخيّلها، ويحمل بعضها بقعاً أو لطخات أو خطوطاً غريبة.

وهناك أنواع قليلة من الاوركيديات لا تتفتح ازهارها الا لفترةٍ وجيزةٍ، علماً أن الازهار الرائعة لبعض الاجناس لا تتفتح لأكثر من خمس ساعات أو ست. الا أن معظمها يعيش طويلا ويبقى متفتّحاً أسابيع وحتى أشهراً.

النحلة والدبور - وراء كل هذه الألوان والاشكال والعطور الاستوائية هدف واحد، وهو ليس ابهاج الناظرين البشريّين بل الاستمرار البديع والمنهجي للانواع، وذلك في اطار لفظة واحدة: الجنس.

عرفت الشعوب القديمة أن في الاوركيديا ما هو جنسي، لكنها خرجت عن طريق الصواب. وقد أشار الفيلسوف وعالم النبات اليوناني ثيوفراستوس في القرن الثالث قبل الميلاد، الى الاجناس الاصيلة في منطقة البحر الابيض المتوسط بلفظة «orchis»، وهي كلمة يونانية تعني الخصية، اذ ان درناتها نمت تحت الارض أزواجاً مكوّرة. وفي ما بعد افترض مواطنه الطبيب وعالم النبات ديوسقوريدس أن ذلك السبب يجعل هذه النباتات تؤثر في النشاط الجنسي للبشر.

وهكذا دأب الناس على أكل درنات الاوركيديا بشراهة لاثارة الرغبة الجنسيّة.

وتستخدم الاوركيديا، لاغواء الكائنات التي تنقل لقاحها، أشكالا خادعة وألواناً وعطوراً تثير الحيرة. وقد تمّ تحليل ما لا يقلّ عن ٦٥ مركّباً عطريّاً مختلفاً في فصيلة السحلبيّات، كل منها يجتذب جنساً من الحشرات أو أكثر، حتى ان بعضها يبدل عطره على الدوام.

وأكثر ما يلفت في الاوركيديا هو الشفة(٢) أي الوسطى بين وريقاتها الثلاث، التي توفر مهبطاً مريحاً يجتذب الحشرة المعيّنة التي تحمل اللقاح الى الزهرة.

وحين يتمّ اجتذاب الحشرة المناسبة تأتي الاوركيديا بكل أنواع البدع للتأكد من عدم مغادرة الضيفة قبل أن تضع اللقاح أو تنقله على نحو صحيح. ويقدم بعض الانواع طعاماً شهيّاً معطراً على الشفة لاجتذاب النحل الذي يسقط في حوض ماء داخل الشفة التي تتخذ شكل دلو. وهناك أزهار تطوق النحلة لفترة تزيد على ساعة ونصف ساعة ريثما تهدأ. وبعد اخضاعها تزحف الضحية بكل رضاً عبر المخرج الوحيد المتوافر، وهو نفق ضيّق لا يمكنها أن تتجنّب اللقاح المنتثر داخله.

وقد تلجأ الاوركيديا الى التنكّر لتخدع الحشرات وترغمها على تنفيذ ارادتها. وتشبه احداها الى حدّ كبير أنثى الدبّور بعينيها اللامعتين وزبانيها وجناحيها وشعيراتها.

وتنقاد ذكور الدبّور الى الزهرة بعد أن تجتذبها رائحة معينة، وتحاول التزاوج

---

(٢) Labellum

معها بكل حماسة. وخلال هذه العملية تلامس الدبابير اللقاح المخصّص لعملية الازهار المقبل.

صيادو الاوركيديا - بدأ الهوس الواسع بالاوركيديا في العام ١٨١٨ عندما شاهد وليم كاتلي، وهو مستورد وهاوي بستنة بريطـاني، سويقـات بصيلية استخدمت كمادة حشو في شحنة لنباتات استوائية أخرى. فحيره أمرها فعمد الى التجربة الآتية: وضع بعضها في قدر في مستنبته الزجاجي. وكانت مكافأته أن تفتّحت زهرة خزامى مثيرة تحمل علامات أرجوانية وشفة متغضّنة جميلة، فكانت هي الملكـة التي أنجبت سـلاسـة "أوركيديات تـزيين الصِّدار"(٣) التي أصبحت مذذاك تبرز في الحفلات الراقصة والمآدب. وسرعان ما أثارت ضجّة عارمة حضت هواة جمع النباتات الاثـرياء وأصحاب المشاتل على ارسال "صيادين" محترفين الى المناطق الاستوائية للبحث عن المزيد منها.

وفي معظم السنوات المئة التالية عمل صيادو النبات على تنقيب الادغال والقمم في أمريكا الجنوبية والوسطى وفي افريقيا والهند وماليزيا والفيليبين، معرّضين أنفسهم لأخطار لا تحصى. وعادوا بكميات ضخمة من النباتات بيعت بأسعار خياليّة. وفي غضون هذه العمليّة عُرِّيت غابات بأسرها. ففي حملة واحدة اعتبر أحد الصيّادين أنه يجب قطع ٤٠٠٠ شجرة للحصول على عشرة آلاف أوركيديا مفيدة.

وتفتّحت أولى الاوركيديات الناجحة التي حصل عليها الانسان بتهجين جنسين مختلفين من نوع "كالانت" عام ١٨٥٦. ومنذ ذلك الحين أجريت محاولات تهجين كثيرة بهدف اكتشاف أشكال وألوان وعطور أكثر غرابة. وتتباهى الاوركيديا اليوم بأصنافها الهجينة الأكثر تنوعاً من أي فصيلة نباتية أخرى. ويتضمن السجل الرسمي الذي تحتفظ به الجمعية الملكيّة للبستنة في بريطانيا أكثر من ٧٥ ألف صنف.

وتجارة الاوركيديا مزدهرة اليوم أما الاصناف الأكثر رواجاً التي يسعى اليها الهواة فهي الاوركيديات المصغّرة، ومنها أجناس استوائية لاقت استحساناً لدى الخبراء وأجناس هجينة ملونة استولدت لانتاج زهرات مبهرجة تحملها نباتات لا يزيد ارتفاعها على عشرين سنتيمتراً.

وهكذا لا تزال الاوركيديا تأسر حواسنا. ولا عجب، فهي قد تكون أجمل أزهار العالم على الاطلاق.


أوغدن تانر ■

(٣) Corsage Orchids

ليل الكهف

أعمل دليلا في كهف طبيعي. وفي نقطة معينة أثناء جولتي أطفىء كل الانوار لكي يختبر الزوار الظلمة التامة. وذات يوم ونحن في هذه الحال، وسط التأوهات والصيحات المعهودة، هتف أحد أفراد المجموعة الاكثر تأثراً: "ياه! تخيّل هذا المكان في الليل!"

ل.ب.



المختار
من ريدرز دايجست
يناير (كانون الثاني) ١٩٨٧ — السنة التاسعة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

كنز ذهبي
[illegible]

أمضى القبطان وملاحوه أشهراً
في سبر بحر الصين الجنوبي الغدار.
وإذ تلاشت أحلامهم في العثور على كنز،
عزموا على البقاء يوماً آخر

Illustration: Earl Norem

انزلق اليخت "رستلس إم" البالغ ٤٤ متراً طولا من ميناء سنغافورة في ظلمة احدى ليالي مايو (أيار) ١٩٨٥. وقرب عجلة القيادة بدت على مايكل هاتشر سيماء البحارة المغامرين. وهو رجل خشن ودود في الخامسة والاربعين، لين العريكة قد لوحته الشمس، وشعره المرتد الى الوراء قصير جداً كي تسري فيه البرودة. انه احد صيادي الكنوز الاكثر نجاحاً في العالم. وقد شعر في تلك اللحظة بأنه سيعثر على قطعة ثمينة وسط بقايا سفينة مجهولة الهوية اكتشفها قرب منطقة صخرية غير ظاهرة على الخريطة تبعد ٤٨٥ كيلومتراً جنوب شرق جزيرة بورنيو في أندونيسيا.

وأكد جايمس سبنسر، احد الخبراء العالميين الثقات في الخزف الصيني، احتمال نجاح هاتشر في اكتشافه. وكان هاتشر دعاه الى يخته في سنغافورة ليتفحص قطع الخزف التي انتشلها من موقع السفينة الغارقة. وقال سبنسر معايناً الاجزاء المغلفة بقشور مرجانية: "انها ترقى الى القرن الثامن عشر حتماً."

هاتشر الآن يمخر البحر عائداً الى حيث الصخور والى المركب الذي أبقاه راسياً لحراسة المكان، وهو عازم على مواصلة البحث. انه أدرك من تجاربه القاسية ان المغامرة التي تنتظره محفوفة بالمخاطر. فقد تغرق الرياح الموسمية اليخت، والمتنافسون على انتشال التحف قد ينقلبون أشراراً لدى اول اشاعة عن وجود الذهب، والقراصنة الذين يجوبون بحر الصين الجنوبي خطر ملازم يتهدده.

ان انتشال الكنز وصونه، ان كان ثمة كنز، يوجبان على هاتشر ان يعمل سريعاً وبسرية تامة.

الصيد الاول – تيتّم مايكل هاتشر وهو في الثانية من عمره. ونشأ في ميتم بمدينة يورك في بريطانيا. وفي السن الثالثة عشرة هاجر الى اوستراليا حيث اشتغل عاملا في مزرعة وبائعاً. وعام ١٩٦٧ انطلق مبحراً حول العالم.

وفي غينيا الجديدة تدرب على انتشال السفن. وأخذ يغوص في البحار لحساب شركة تتولى اقتطاع المعادن الخردة من حطام السفن التي غرقت زمن الحرب. وفي سنغافورة أقنع هاتشر شركة نفط بحرية بالسماح له بانشاء شركة تابعة تعمل في انتشال السفن. وفي سنتها الاولى حققت الشركة ارباحاً بلغت سبعة ملايين دولار. غير أن هاتشر لم ينل حصته، فعزم على العمل بمفرده.

كان ينخرط في اي عمل تحت سطح الماء، حتى انه عمل في نزع الحبال عن مراوح السفن. ودرس فن الملاحة وغدا قبطاناً. وأنشأ شركة لها زورق قطر خاص وفريق من الغواصين. وشرع ينقب في سجلات المحفوظات بحثاً عن مواقع السفن الغارقة ابان الحرب. وأمضى تسعة أشهر متعقباً صيده الاول، وهو سفينة شحن يابانية. وكلفه ذلك كثيراً، لكن نصيبه من حمولتها من القصدير والمطاط بلغ مليون دولار.

السفينة الضائعة – في مارس (آذار) ١٩٨٣، فيما هاتشر يسبر الاغوار باحثاً

عن سفن غارقة قرب منطقة صخرية غير بارزة على الخريطة في بحر الصين الجنوبي، كشفت ادواته شيئاً ما في قعر المحيط. كان يجد في العادة خردة، كبرميل نفط قديم او ما شابه. لكنه وقع هذه المرة على ركام من الخزف الصيني.

كدسة الاطباق والزهريات والاباريق والاجزاء المتناثرة التي رفعها هاتشر وغواصوه الى السطح لم تثر اهتمام أي منهم. ولكن عندما قصد هاتشر مدينة أمستردام (هولندا) بعد بضعة اسابيع، أخذ معه ٨٠ قطعة منها الى صالة "كريستي" حيث تباع التحف بالمزاد، آملا ان تساوي قيمتها بضع مئات من الدولارات.

غير ان رئيسة القسم الشرقي في الصالة هزت رأسها باسمة: "انها تساوي قرابة ٣٥ الف دولار أيها القبطان."

وفي غضون خمسة أشهر عمد الغواصون الى انتشال ٢٣ الف قطعة من الخزف الصيني الذي يعود الى عهد سلالة مينغ والى المرحلة الانتقالية في تاريخ الصين. ومصدرها، وفقاً لاستنتاج العلماء، سفينة صينية غرقت عام ١٦٤٠. وبيعت "مجموعة هاتشر" في المزاد بصالة "كريستي" في أمستردام، وغلّت ربحاً صافياً قدر بمليوني دولار.

قرر هاتشر قصر بحثه على حطام السفن التاريخية. واستثمر ثروته في شراء اليخت "رستلس إم" البعيد المدى الذي يمكنه ان يعيش فيه أثناء العمل. وما لبث ان جمع خرائط قديمة وأرسل طلاباً لاقتناص تفاصيل المراكب الغارقة في سجلات شركة "شرق الهند" الهولندية التي احتكرت تجارة هولندا مع آسيا خلال القرنين اللذين عرفت فيهما هولندا عصرها الذهبي.

وكان أحد الامكنة المحتملة موقع "غيلدرمالسن" وهي سفينة تجارية تابعة لشركة شرق الهند اصطدمت بحيد صخري في بحر الصين الجنوبي عام ١٧٥٢، اثناء رحلة من كانتون الى هولندا. ووفقاً لمستندات الباخرة وروايات ٣٢ من الناجين، فان حمولة الباخرة كانت تضم ما يزيد على ٤٥ كيلوغراماً من الذهب و٢٣٩ الف قطعة من الخزف الصيني و٣٤٣ طناً من الشاي.

بريق أزرق – أعاد هاتشر تمثيل الايام الاخيرة لرحلة السفينة "غيلدرمالسن" مقتفياً أثرها بيخته وفقاً للمسلك الوارد في التقارير. لكن التوفيق جانبه، فأدرك ان ثمة خللا يعتور السجلات، ويئس من العثور على السفينة.

لذا اعتزم العودة الى الحيد الصخري الذي تحطمت فيه السفينة الصينية. وهو بقعة مربعة تبلغ مساحتها (١١ متراً مربعاً غير منظورة الا حين تنحسر مياه الجَزْر، ويقع الحيد وسط خط مسار السفن القديمة. ولئن غرقت سفينة هناك، فثمة احتمال أن تتبعها أخر.

في تلك الاثناء كان هاتشر شارك ماكس دو رام (٤٦ عاماً)، وهو سويسري عالم بفيزياء الارض توصل الى استخدام تقنية رفيعة ومتناهية في الدقة لكشف حطام السفن.

في مطلع مارس (آذار) ١٩٨٥ أبحر الاسطول الصغير المؤلف من ثلاثة يخوت



ومركب للانتشال، يقوده اليخت "رستلس إم" في اتجاه الحيد الصخري. وفي مقابل ٢٥٠ الف دولار زوِد هذا اليخت أجهزة لقياس المغنطيسية(١) لاستكشاف المعادن وجهاز سونار جانبياً(٢) يرسم صوراً الكترونية للاشياء الموجودة في قاع البحر، ومعدات ملاحية تعتمد الاقمار الاصطناعية. وبغية اجراء مسح بالغ الدقة نُصب برج على الحيد الصخري. ويوماً بعد يوم كان ثمة رجل على قمة البرج يرشد "رستلس إم" الذي راح يمسح البحر ثمانية كيلومترات جيئة وذهاباً.

بعد شهرين من البحث العقيم وإهدار ٤٠٠ الف دولار، قرر الشريكان وقف عمليات الاستكشاف. غير ان دو رام ألح على هاتشر للاستمرار يوماً آخر.

في ٢٧ ابريل (نيسان) شاهد اختصاصي السونار بيجي بيجيرشماهان صورة كاملة لسفينة غارقة، متممة بخطوط مستقيمة لا يمكن الا ان تكون مدافع السفينة. وفي اللحظة ذاتها سجل مقياس المغنطيسية لدى ماكس دو رام اشارة قوية.

غاص هاتشر ودو رام معاً بعدما تركا طافية تشير الى البقعة. وجمع هاتشر أشياء صغيرة مدببة مزيلا عنها بابهامه النباتات البحرية. كان بريق الكوبالت الازرق لماعاً تحت الغشاوة الخزفية. وطفا الشريكان على السطح وهما يرفعان اشارة النصر.

كشف صقل القطع الاثرية اشكالا من الخزف الصيني الازرق والابيض الذي طالما سرت به عيون العارفين منذ اجيال. وقدر هاتشر انها قديمة وذات قيمة. وكان عرض مثلها على جايمس سبنسر في ميناء سنغافورة.

خزف وذهب — عاد هاتشر الى الحيد السري، وشرع مع فريقه في البحث عن السفينة الغارقة. واستعمل رئيس الغواصين محمد هاشم خرطوماً ضخماً لامتصاص العوالق، وفتح غطاء صندوق شحن متآكل فبهرته صفوف من فناجين الشاي الصغيرة الزرقاء والبيضاء تلمع. وسرعان ما استخرج الغواصون تشكيلة فاتنة من السلطانيات والمباصق وصحاف الزبدة وأطباق الحساء وفناجين مرق في شكل مراكب واباريق عادية واباريق شاي وحتى اكواز شراب من الطراز الانكليزي.

وانبعثت من الخزف المشاهد الصينية المألوفة: الطبيعة بأنهارها والهياكل واشجار الصنوبر والجسور المقنطرة والسياجات المشبكة والصيادون، كلها

---

(١) Proton magnetometers

(٢) Side — scan sonar أو المكشاف الصوتي الجانبي.

Photos: Courtesy Christie's Amsterdam B.V.



مرسومة باليد وبلون أزرق زاه. وأجملها على الاطلاق أطباق السمك المنقوشة برسوم أسماك الشبوط السابحة عبر الاعشاب المائية.

وفيما الغواصون يعملون على عمق ٤٠ متراً تحت سطح البحر، عرقلت تحركهم جماعات من الاسماك غير المؤذية، من نوع الشفنين البحري الضخم المجفل والانقليس الوحشي الذي يقطن داخل جرار الخزف في السفينة. والاسوأ من هذا كله عاصفة هوجاء من اوراق الشاي كانت تهب كلما تحرك غواص. وفي وصف هاتشر: "لكأننا نعمل في ابريق شاي عملاق أسود."

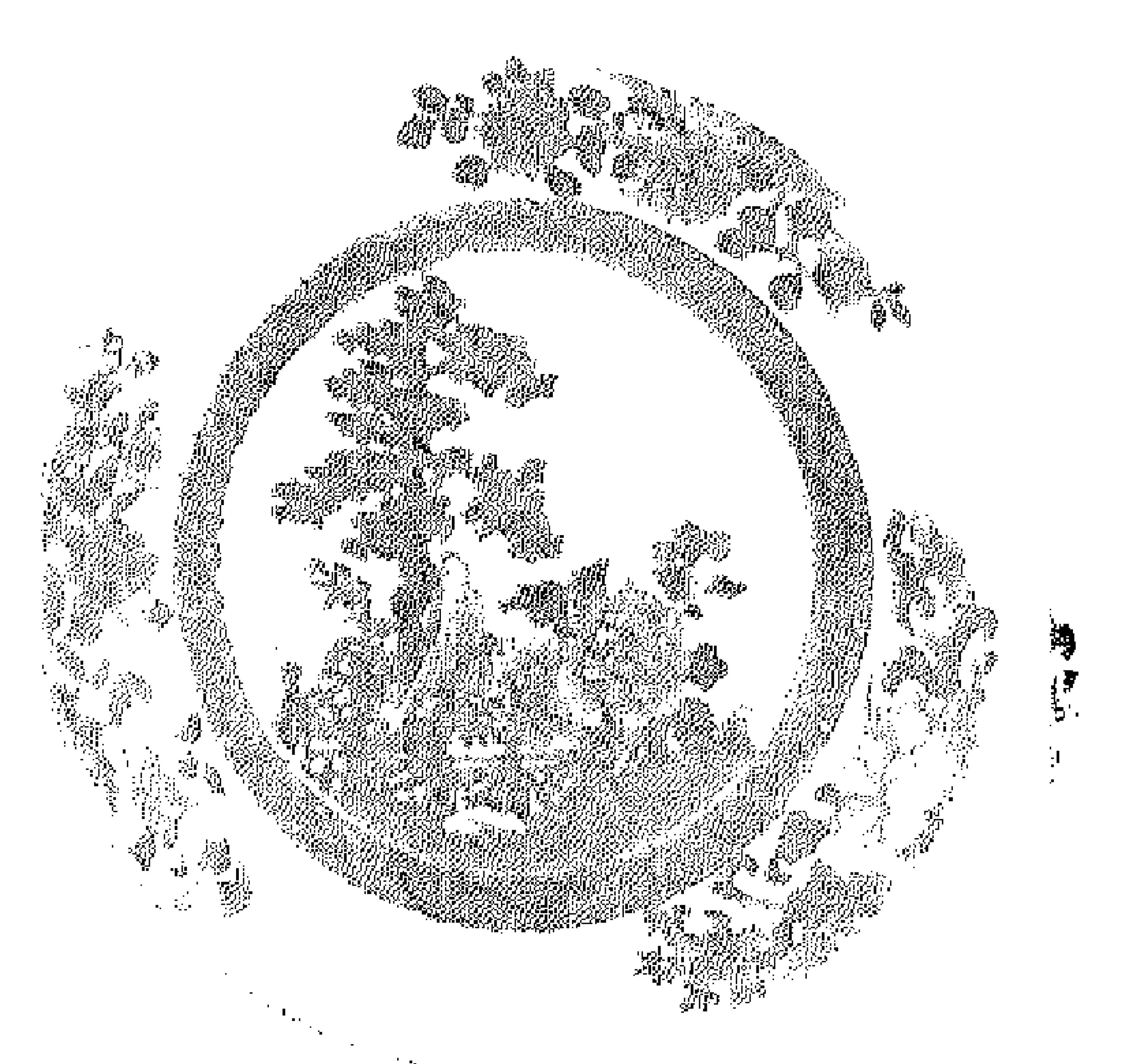
ارتفعت التكاليف بسرعة الى مليوني دولار. وعاش الغواصون سباقاً كي يستخرجوا ما أمكن قبل ان يباغتهم تغير الطقس او المنافسون او القراصنة او ادعاء حكومة ما.

وجاء الاكتشاف الثاني اكثر اثارة. ففيما الغواص دوريان بول ينقب خارج السفينة الغارقة لمح ألقاً. وصعق الملاحون اذ سمعوا صرخته على جهاز الاتصال الداخلي: "الى السطح! الى السطح! لقد عثرت على الذهب!" وعام وهو يترنح من الثقل، وجثا على ظهر السفينة الساخن وحل زمام سترته وطرح ١٧ قطعة.

وتم رفع ١٢٥ قطعة ذهبية معظمها مستطيل الشكل ويتعدى الثمانية السنتيمترات طولا، وبينها ١٨ قطعة من نوع "حذاء نانكين" الشهير. لقد عثر هاتشر على "غيلدرمالسن"!

بعد عشرة اسابيع رفع البحارة المراسي ووضبت ثلاثة أرباع حمولة "غيلدرمالسن" من الذهب والخزف في ١٤٠٠ علبة كرتون كبيرة، ونقلت على متن احدى الحاويات الى هولندا. هناك انهمك ستة اشخاص لمدة شهر في تفريغ اكثر من ١٧٠ الف قطعة وتنظيفها وتكديسها.

اقبال شعبي – بدأ هاتشر يجني الثمار في ٢٨ ابريل (نيسان) ١٩٨٦ في امستردام، حين افتتح المدير الاقليمي لمؤسسة "كريستي" مزاداً لخمسة ايام



باسم "حمولة نانكين." ولما تعذر على سوق الآثار والتحف القديمة استيعاب كنوز هاتشر، فقد لجأت مؤسسة "كريستي" الى الاعلان لجذب عامة الجمهور. وكانت ربات البيوت الهولنديات بين اكثر من ٢٠ الف نسمة انتظروا ساعة ونصف ساعة تحت المطر لرؤية الحمولة الاخاذة.

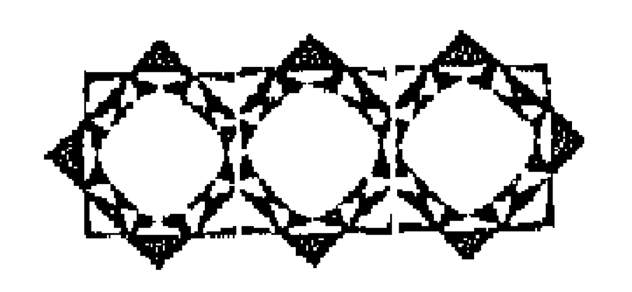
وتجمهر ١٥٠٠ مزايد من ارجاء العالم في قاعة الرقص بفندق هيلتون، فيما وقف موظفو "كريستي" يمسكون ١٠٠ الف عرض خطي لشراء اكثر التحف الصينية رومانسية. لم يكن الخزف من النوع الارفع، وقد صنفه الخبراء في مرتبة الآنية الفخارية في مطاعم القرن الثامن عشر.

ولكن ما همّ! لقد حلقت الاسعار عالياً. وما دفعها الى الجموح هو "نفحة هاتشر"، هالة المغامرة في عرض البحر وركوب الاخطار والحظ الباسم. اما القطعة الاولى، وهي ابريق فخار، فقد اشتراها هاتشر نفسه بـ٥٢٥١ دولاراً. واكبر طواقم ادوات المائدة، المكون من ١٤٤ قطعة، اشتراه مزايد مجهول بـ٣٣٤١٥٦ دولاراً، وهو رقم قياسي. واشترى متحف غرونيغر الهولندي صندوقاً من الآنية المكسرة بمبلغ ٣٩١٧ دولاراً. وغلّت صحفتا زبدة عاديتان رقماً لا يصدق هو ١٥٢٧٥ دولاراً فتجاوزتا قيمتهما المخمنة بـ٢٦ ضعفاً. واذا ما تغاضينا عن التضخم المالي، فقد تجاوزت حمولة الخزف قيمتها بنحو ٩٠٠ ضعف خلال ٢٣٣ سنة أمضتها في قاع البحر.

وحلّقت أسعار الذهب أيضاً. فبيع "حذاء نانكين" الاول بما يزيد ١٨ ضعفاً على سعر سبيكة الذهب في نيويورك. واجمالا، درّ الذهب ١٧٩٦٣٢٠ دولاراً وبلغت قيمة ما بيع ١٥ مليوناً و٢٥٠ الف دولار. وقاربت حصة هاتشر منه ثلاثة ملايين دولار.

وبعد شهر كان التجار في سوق التحف بلندن يبيعون اكواب الشاي بستة اضعاف سعرها في المزاد. وماذا عن القبطان مايكل هاتشر؟ لقد عاد الى متن "رستلس إم" باحثاً عن حيد سري آخر.

جون دايسون ■



"عطر" خاص

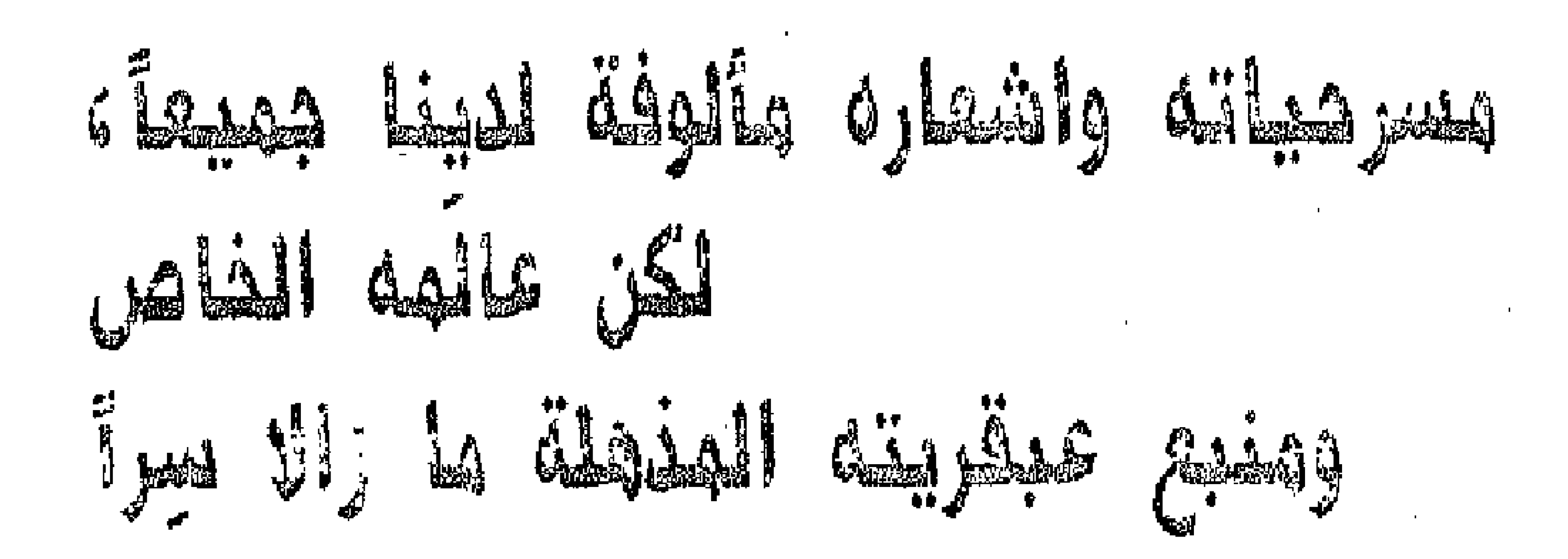
بصفته مدرباً في دائرة الاحراج كان على زوجي أن يشارك في الرحلات الصيفية الى الغابات الملأى بالبعوض والذباب.

وبعد مضي أسبوع لاحظ ان احدى المتدربات تستعمل نوعاً من العطر خطر له انه مناسب كهدية الي في عيد زواجنا المرتقب. وعلى رغم انه خجول بطبيعته، فقد تجرأ بعد تردد وسأل الشابة ان تسمي له نوع العطر الذي تستعمله.

فأجابته بابتسامة عريضة انها تستعمل مادة طاردة للحشرات.

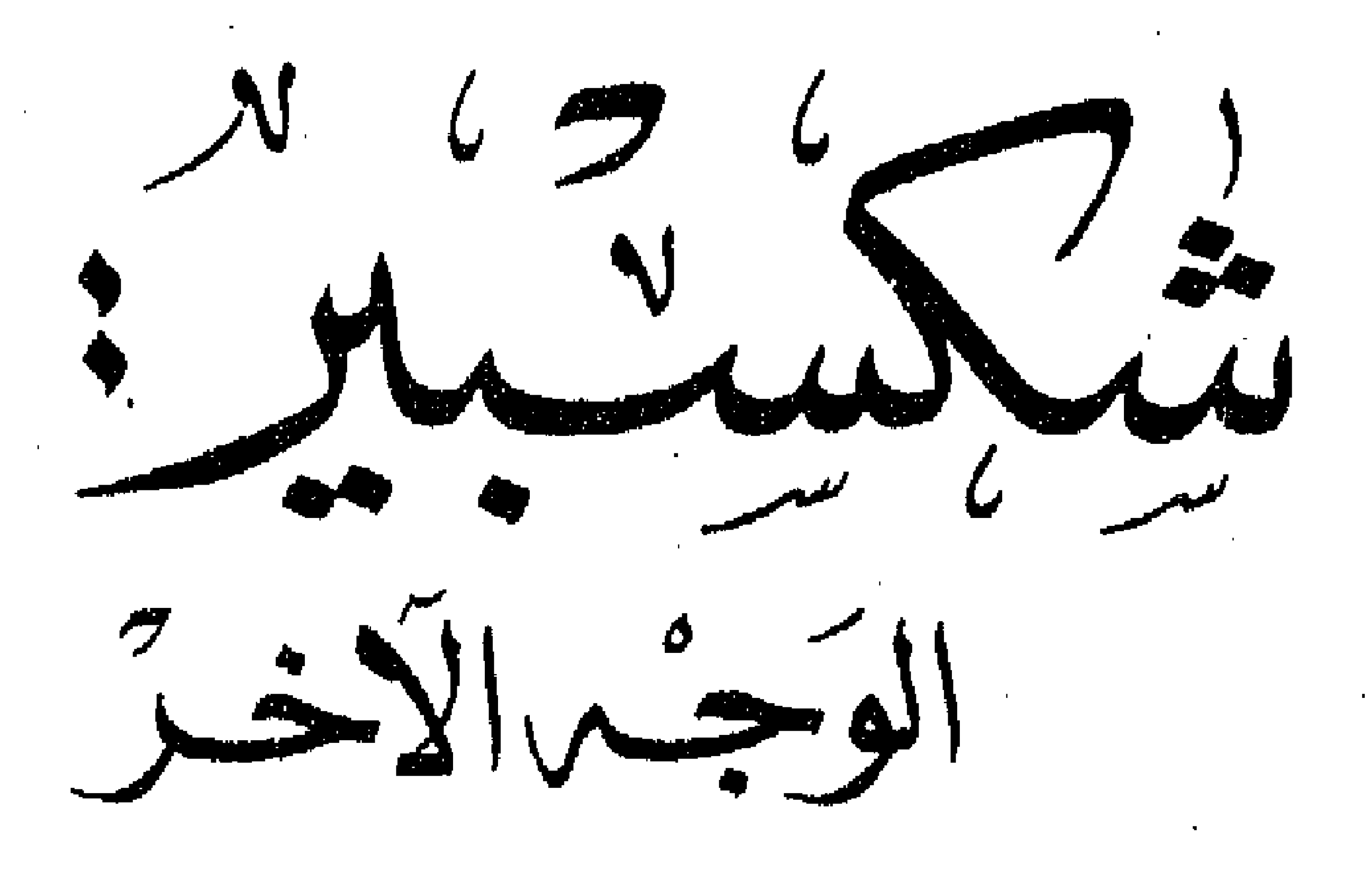
ر.ك.



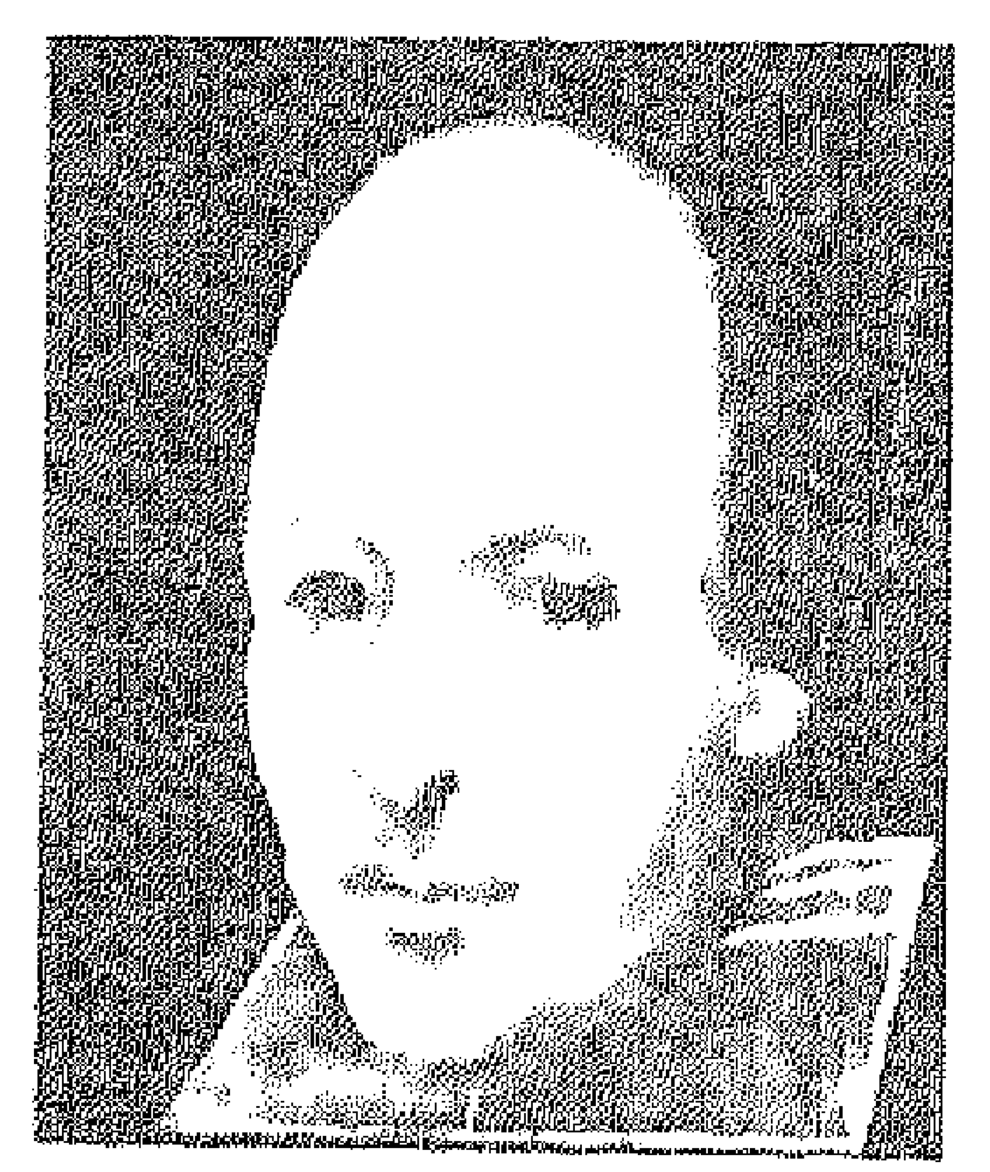


مسرحياته واشعاره مألوفة لدينا جميعاً،
لكن عالمه الخاص
ومنبع عبقريته المذهلة ما زالا سراً





شكسبير: الوجه الآخر



في غضون آلاف السنين التي سبقته والاربعمئة التي تلته، لم يقم كاتب يضارع شكسبير في عمق تأثيره في قلوب البشر وشدة إثارته لاعجابهم. فمسرحياته وسعت الى أبعد مدى مفهومنا لتلك القوى الباطنة التي تغزو البشر وتدفعهم وتقلقهم حتى الجنون. ومع ذلك فلا نعرف الا القليل عن حياته الخاصة وعبقريته الفذة. ولم يصل الينا لا رسالة ولا صفحة مذكرات مكتوبة بيده. وعلى رغم أن جحافل من الاختصاصيين كرسوا وقتهم لنقد مسرحياته وأشعاره، فان أحداً منهم لم ينجح في اكتشاف خيوط جديدة تهدي الى أسرار الحياة التي عاشها "شاعر آفون."

وفي ما يأتي أهم ما نعرفه عنه:



وُلِد وليَم شكسبير في ستراتفورد – أون – آفون قرب لندن عام ١٥٦٤. كان أبوه صانع قفازات شغل مركزاً قضائياً ثم عُيِّن عمدة لبلدته. والدته ماري أردن تحدرت من أسرة كريمة وكانت بائنتها (١) أرضاً غالية القيمة. ويُعتقد أن وليم تثقَّف في مدرسة ستراتفورد المعروفة

(١) البائنة ما يكون مع العروس من مال وجهاز عند زفافها.

Photos, from top: (1) Shakespeare Center, Stratford-On-Avon;
(2 & 3) the Folger Shakespeare Library; (4) National Portrait Gallery, London

بجودة مستواها، حيث درس الانكليزية واللاتينية والتاريخ. وقرابة العام ١٥٨٠ غادر المدرسة ولا نعرف الا القليل عن سنواته التي تلت هذا التاريخ. يقال انه مارس التعليم وعمل كاتباً في دوائر القانون واستخدم في منزل أحد الوجهاء.

في السن الثامنة عشرة تزوج آن هاثاوي التي كانت في السادسة والعشرين. وفي ١٥٨٣ رزقا بنتاً سمياها سوزانا. وفي ١٥٨٥ رزقا بنتين توأمين هما هامنت وجوديث.

بعيد ذلك انتقل شكسبير وحده الى لندن ليمارس التمثيل. ولا يدري أحد لماذا لم يصطحب زوجته، مع أن أصدقاءه وزملاءه ذكروا انه كان زوجا محباً وأباً عطوفاً يواظب على زيارة ستراتفورد ليلقى أسرته ثم يعود الى عمله في لندن (مع أن بعض المفسرين يزعمون ان العبارة الواردة في وصيته حول تركه "فراشه الثاني في المرتبة" لزوجته تشير الى عدم محبته لها، فاننا نرى أن هذا الزعم تبطله معرفتنا أن "الفراش الثاني في المرتبة" يُقصد به الفراش الزوجي بحسب اصطلاح العصر الاليزابيثي، في حين كان "الفراش الاول في المرتبة مخصصاً للضيوف.)

صفقات رابحة - قرابة العام ١٥٩٢ أصبح ابن ستراتفورد الشاب شهيراً في لندن كممثل وشاعر. وكان أول إنتاجه المنشور "فينوس وأدونيس" (١٥٩٣) قصيدة حب ممتعة لقيت نجاحاً عظيماً، أهداها الى "إرل سوذمبتن الثالث" الذي طلب شكسبير رعايته. ولم يلبث أن كتب قصيدة "الاعتداء على لوكريس" التي نالت نجاحاً مماثلا وقدّمها ايضاً الى سوذمبتن: "ان الحب الذي أخصّ به سيادتكم لا حد له."

عام ١٥٩٤ انضم شكسبير الى فرقة تمثيل شهيرة هي فرقة "رجال اللورد تشيمبرلين" التي دُعيت بعد ذلك فرقة "رجال الملك." وظل فيها عضواً نشطاً في التمثيل وتأليف المسرحيات حتى قرابة ١٦١٠. في هذه المجموعة الممتازة أحرز بين زملائه شعبية أشارت اليها كتاباتهم. كان محبوباً، دمث الخُلق، مستعداً لقبول أي دور تُسنده اليه الفرقة. والى إقدامه على كتابة مسرحياته الخاصة، يرجح أنه أعاد كتابة مسرحيات الآخرين رغبة في إغناء ذخيرة فرقته، وفي هذا دليل على براءته من الانانية المزاجية.

في عصر شكسبير كانت اللغة الانكليزية في حال مد واتّساع، تثير حولها المناقشة والخصومة وتخلو من قواعد ثابتة لعلوم التركيب والبيان. وكانت تهب على بريطانيا آنذاك رياح النهضة الايطالية، فأفاد منها شكسبير حرية نادرة في تأليف عباراته وابتداع صوره البيانية.

حين ذاع صيته في المحافل أخذ الناس يحوكون حول أيام صباه حكايات مقذعة ترميه بالفحش وسرقة الوعول وارتكاب الفضائح الاخلاقية. غير أن تلك الاخبار كانت بمجملها واهية الاساس أو ملفّقة. وبما أن شكسبير كان صديقاً للكاتب المسرحي الكبير بن جونسون فقد نسب الناس اليه مشاركة جونسون في

مغامراته المبهرجة. لكن الحقيقة أن شكسبير كان انساناً هادئ الطبع لا يؤذي أحداً، ينفق ماله باتزان ويوظفه بحكمة.

في نحو الثانية والثلاثين من العمر مكنه نجاحه المالي من شراء شعار نبالة لأسرته منح والده، ومنحه هو من بعده، اللقب الرسمي "جنتلمان." ثم عقد صفقات عقارية مهّدت له شراء بيت كبير في ستراتفورد لزوجته وأولاده، في حين بقي هو في لندن مقرّ عمله.

غنائية وتوهُّج – اذا ذكرنا الشعبية التي أحرزها شكسبير في التمثيل والكتابة المسرحية ونجاحه المالي اللافت (كان يتناول نسبة مئوية من أرباح مسرح "غلوب" الذي كان فيه شريكاً) فلا عجب أن نجد له خصوماً حاسدين يصوّبون الى أعماله سهام نقدهم. ففي القرون التي عقبت وفاته زعموا أن شكسبير لم يبدع عدداً كبيراً من حبكاته (الحبكة هي الحدث الذي تبنى عليه القصة) بل اقتبس الأسس من الكتاب القدماء أمثال اليوناني بلوتارك والروماني أوفيد ومن التاريخ البريطاني المعروف والاساطير القديمة.

كل ذلك صحيح. فهذه المصادر استغلّها جميع كتّاب المسرح الانكليزي لكن ما فعله شكسبير وما اضافه الى الحكايات المعروفة، له قيمة تفوق التقدير. فقد أبدع أبطالا جُدداً وأحدث تبديلا في الابطال القدامى وأوجد مجموعة من الملوك والحسناوات وأهل البلاط والمحاربين والمهرجين يمتازون جميعاً بالعمق النفساني المذهل. وأعاد تنسيق حكايات مألوفة بأسلوب يدل على موهبة فذة في فنون الدراما والكوميديا والتخيل الابداعي الحر. وهو أضفى على جميع أعماله، الممتازة بروعة الاسلوب وسحر البيان، جواً من الرفعة والجلال لم يُعهد في ما سبقها من أعمال مسرحية. لم يعرف المسرح قبله ما عرفه على يديه من التوهج والغنائية وقوة البصيرة وعمق الفكرة.

لنأخذ "ماكبث" مثلا. انه حوَّل قصة شعبية مأساة مشوقة عن زوجين قاتلين يلاحقهما شبح الجريمة النكراء. في هذه المسرحية يؤخَذ الحضور بروعة الحوار وسمو الشعر حتى تبدو القصة الاصلية تافهة مُثقلة بالمبتذلات.

أما "عُطَيل" فهي قصة قتل عادية أضفى عليها خيال شكسبير العملاق قيمة فكرية وخُلقية جاوزت حدود الاصل الى أبعد مدى.

وأما "هاملت" فمأساة ترتكز على ميلودراما (٢) قام بتمثيلها مراراً رجال اللورد تشيمبرلين، لكن شكسبير أعطى الحكاية بُعداً جديداً. انه جعل من هاملت ضحية عاجزة لقوى متصارعة في باطنه: السُخرية من التقاليد واحتقار الجنس والإسراف في التردد والحيرة والترحُّم على عبثية الحب. إن في استخراج مأساة "هاملت" الخالدة من تمثيليات جوفاء ظاهرة التصنع، دليلا كافياً على عبقرية شكسبير.

(٢) الميلودراما أو المشجاة مسرحية عاطفية مثيرة تعتمد على الحدث والعقدة أكثر مما تعتمد على تصوير الشخصيات.

لنتأمل أيضاً "روميو وجولييت". انها قصة خلع عليها شكسبير فيضاً من العاطفة، فمجّد الحب الفتي واستنكر الحقد والبغضاء. قبالة شخصية جولييت الحلوة البريئة وضع مركوشيو السفيه والمربية التي تغزوها أحلام يقظة، في اطار تسلية جانبية خشِنة تبرز جمال التضاد.

هنا يواجهنا السؤال: كيف يقدر انسان محدود الثقافة على انتاج أعمال من هذا الطراز الرفيع؟ هل كان شكسبير هو حقاً كاتب المسرحيات؟

خلال القرون التي مضت رأى بعضهم أن فرنسيس بايكون قد يكون هو شكسبير الحقيقي. وانحاز آخرون الى إرل أكسفورد السابع عشر (أدوارد دي فير) وكريستوفر مارلو وإرل دربي السادس (وليم ستانلي) وحتى الملكة اليزابيت. لكن منظّري "المؤلف المجهول" يَعْمون عن حقيقة لا تقبل الرد، هي أن كثيرين من معاصري الرجل أكدوا أن وليم شكسبير هو واضع المسرحيات المنسوبة اليه في قائمة الاعمال الشكسبيرية، باستثناء القليل منها. فبن جونسون عرفه جيداً، ومِثلُه أصحاب المسارح والممثلون الذين وقّعوا المقدمة الثبوتية للطبعة الاولى لمؤلفاته (١٦٢٣).

أبطال ذوو عيوب – حين نقول ان شكسبير لم يكن واسع الثقافة فذلك يعني أنه لم يعانِ جفاف مناهج جامعتي أكسفورد وكامبريدج في تلك الايام. لكنه كان في الواقع كثير المطالعة، شديد الرغبة في الاستطلاع، واثقاً بمداركه الذاتية. وكما لاحظ جون درايدن: "كان عالِماً بطبيعته."

إن شكسبير "قرأ" حقيقة الطباع البشرية، طباع الذكور والاناث والملوك والمهرّجين والفلاّحين. فكان بقوة خياله وتألق عبارته وبراعته القصصية، لا بمعارفه المكدّسة، أعجوبة القرون.

وبخطوة واحدة ثورية نبذ المسرحيات الوعظية الجامدة التي هيمنت على المسرح الانكليزي. ولم يكترث للأوامر ولا للنواهي العقائدية، بل عالج الخير والشر والفضيلة والرذيلة بطريقة العالِم النفساني لا بطريقة المرشد. وأثارت موضوعيته في عرض الاهواء البشرية نقمة كثيرين من المحافظين، ومنهم صموئيل جونسون الذي انتقد شكسبير بشدّة لأنه لم يلتزم في مسرحه غاية خُلقية. الا أن هذه المقدرة عينها، البارزة في الموقف التحليلي الدقيق الذي يزينه التألق الشعري الباهر، هي التي شقّت الطريق لما نسميه المسرح الحديث.

الى شكسبير يعود الفضل في هدم الجمود والتبسيط المسرف في الدراما الاليزابيثية. وله يدين المسرح بعرض أبطال ذوي عيوب وشكوك وميول غير بطولية وبطلات تتصارع فيهن دوافع العفة والشهوة وملوك صغار النفوس جبناء وملكات شرّيرات وأمراء مشعوذين ومجرمين تعذّبهم جرائمهم وتراودهم رؤى الفضيلة ومهرجين يصنعون العظائم. واختصاراً، انه موكب من الشخصيات الواقعية العالقة في شباك الاهواء المتضاربة وتناقضات المشاكل البشرية المستعصية.

يعتقد كثيرون من الثقات أن شكسبير كشف ذاته الحميمة في أشعاره الغنائية الشهيرة التي نظمها في قالب "سونيتات" وهي قصائد تتألف الواحدة منها من ١٤ سطراً. "انها المفتاح الذي يقودنا الى قلبه" يقول وردزورث، "بل الانتاج الذي صبّ فيه أروع مواهبه محوّلا القصيدة تحفة باهرة الحُسن والرفعة."

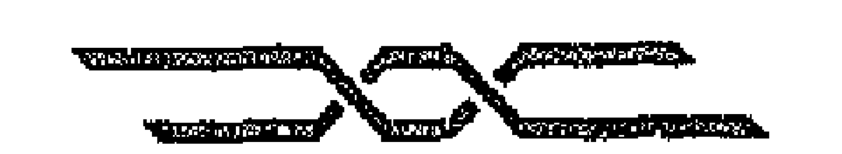
لجميع العصور – في السونيتات بَطَلان تضاربت حولهما آراء الباحثين: شاعر شاب جميل الصورة وسيدة أسطورية غامضة. وكل ما يشير اليه قلم شكسبير هو أن صديقاً حميماً للشاعر (الذي لا نستطيع التأكيد أنه شكسبير نفسه) استأثر بعطف السيدة. أما العلاقة بين البطل الشاعر وصديقه الشاب، وبين الشاب والمرأة التي أحبها البطل، فيشوبها الغموض.

في كثير من سطوره الرائعة يتراءى لنا طيف موضوع واحد هو كآبة الشاعر العميقة وشعوره الدائم بحتمية الموت الذي تتم له الغلبة في النهاية على الحب والجمال والشوق. وتلك النهاية لم تكن بعيدة أبداً.

في العام ١٦١١ كان شكسبير ترك لندن نهائياً وعاد الى ستراتفورد ليقيم مع أسرته وينعم بصفاء العيش. وفي ٢٣ ابريل (نيسان) ١٦١٦، اثر سهرة ممتعة قضاها بصحبة بن جونسون وصديق آخر، فاجأه الموت من غير ألم شديد وهو مطمئن الى دفء المنزل تظلّله محبّة زوجته وبناته المتزوجات. وكان بلغ آنذاك الثانية والخمسين من العمر.

ترك شكسبير ١٥٤ سونيتة نفيسة فريدة الحُسن و٣٨ مسرحية، منها ١٥ على الأقل من الروائع. ومع ذلك لم يداخله شعور بعظمته، ولم يدر في خلده أنه قبل وفاته بلغ المرتبة التي نسبه اليها جونسون: "انه لم يكن لعصر ما، بل لكل العصور."

ليو روستن ■



حيتان باريشنيكوف

عام ١٩٨٦ نال الراقص ميخائيل باريشنيكوف اجازة من مسرح الباليه الامريكي لكي يجرّب نوعاً من رقص الحيتان في "عالم البحر" بمدينة سان دييغو (كاليفورنيا). فترك اللباس الضيق اللاصق بالجسم ولبس بذلة غوّاص مصنوعة من مطاط وقفز الى حوض تدريب ليؤدي رقصة ثلاثية مع حوتين من المحيط الهادىء يزن كل منهما ٤٠٠ كيلوغرام. هذا الرجل المتحمس لحملة "المحافظة على الحيتان" أطعم الحُوتين بعض السمك ورقص واياهما في الماء باليه عفوية.

وصرح مدرب الحيتان جنين انتريم: "لقد تجاوبا معه على نحو مدهش وكانوا معاً في منتهى الرشاقة." ولا شك في ان حركات "ميشا" تضفي جمالا على جميع الذين يراقصونه.

غ٠غ٠

يرى باحثون ان نظام التغذية الحكيم الذي اتبعته شعوب البحر الابيض المتوسط وفر لها بعض الوقاية الناجحة ضد السرطان وأمراض القلب

الغذاءُ أصْلُ الدّاءْ

انها لمأساة حقاً أن يكون بين القراء من فقد عزيزاً أما بمرض القلب واما بالسرطان، وان يكون هناك آخرون معرضون لخطرهما. لكنّ هذا ليس محتوماً لأن كلا المرضين مرتبط بالتغذية. وسرّ التغذية الصحيّة قديم جداً. يقول الدكتور اوليفر ألاباستر مدير ابحاث السرطان في المركز الطبّي في جامعة جورج واشنطن: "في الامكان التخلّص من ثلث حالات السرطان من طريق اجراء تغيير بسيط في نوع الغذاء الذي نتناوله."

أمراض السرطان والقلب تدعى "أمراض الترف" لانها ترتبط بأطعمة شعوب الغرب الغنيّة بالدهن والسعرات الحرارية وتفتقر الى الخضر والالياف. وقد

اكتشف الاطباء ما يثبت ان مجمل الاطعمة التقليدية لسكان حوض البحر الابيض المتوسط يساعد في تحصينهم ضد امراض القلب وضد الكثير من انواع السرطان المتفشية في الغرب.

منذ القدم ركّز العرب واليونانيون والايطاليون وسكان الشرق عموماً غذاءهم



على ثلاثة أطعمة أساسية هي الحبوب والزيتون والعنب التي ورد ذكرها مراراً في الكتب التاريخية والدينية منذ إلياذة هوميروس. فهي كانت غذاء سقراط وأفلاطون. وقد أضاف إليها قرويو المتوسط الخضر النيئة والفاصولياء والفول والفاكهة والثوم والبصل والسمك واللبن (الزبادي). ولا تزال هذه الأغذية التي يقل فيها الحليب والزبدة واللحم والدقيق الخالي من النخالة والسكر، الطعام اليومي لشعوب المتوسط.

وهكذا يستطيع الفلاح اليوناني أن يتناول فطوره من فاكهة وخبز قمح كامل ولبن. ويركز في الغداء والعشاء على الخبز او المعكرونة مع ملفوف ولفت وسبانخ وقنّبيط وغيرها من الخضر النيئة. لكن زيت الزيتون، وليس اللحم او الحليب ومشتقاته، هو الذي يوفر لشعوب المتوسط كمية الدهن التي يحتاجون اليها. والواقع ان ٧٥ في المئة من السعرات الحرارية في هذه الأطعمة مصدرها زيت الزيتون والحبوب. ويوفر السمك غالباً معظم البروتيين الحيواني. وقياساً فان اللحم والحليب ومشتقاته توفّر للغربيين نحو ثلثي ما يحتاجون اليه من البروتيين يومياً، وتوفّر لهم أيضاً نحو ٦٠ في المئة من المواد الدهنية.

كريت وكورفو – ان فوائد طعام شعوب المتوسط تذهب سدى في المدن العصرية، كأثينا وروما ومدريد، لأن غالبية سكانها تبنت عادات الغذاء الغربية! وللمقارنة أجرى اختصاصيان يونانيان بارزان بأمراض القلب هما الدكتور كريستوس ارافانيس والدكتور بول يوانيديس دراسة على مجموعتين من القرويين في جزيرتي كريت وكورفو. ففي العام ١٩٦١ كانت المجموعتان تتناولان الطعام التقليدي وكان معدل الوفيّات بالسكتة الدماغية والنوبة القلبية بين افرادهما منخفضاً. وفي العشرين السنة التالية أصبحت كورفو اكثر ازدهاراً بسبب السياحة بينما ظلّت كريت ريفية فقيرة. فالرجال في كريت لم يزيدوا استهلاكهم من الدهن المشبّع والبروتيين الحيواني بمعدل نظرائهم في كورفو. وحدث في العام ١٩٨٠ ان زاد معدل الوفيات بأمراض القلب بنسب ملحوظة في كورفو. واجري بحث يوناني آخر لمعرفة العلاقة بين نوع الغذاء ومعدل الاصابات بسرطان القولون والمستقيم. وتمت مقارنة وضع مئة مريض بسرطان القولون والمستقيم بوضع مئة يخضعون لرقابة خاصة. فتبين ان المصابين بالسرطان تناولوا غذاء يضم مقداراً كبيراً من اللحم وكمية منخفضة من الخضر، بينما تناول الخالون من السرطان طعاماً قروياً تقليدياً.

ودهش الباحثون من نتائج دراسة اظهرت ان خطر الاصابة بالسرطان بين الذين احتوى غذاؤهم على مقدار كبير من اللحم وقليل من الخضر يزيد ثمانية اضعاف على الآخرين.

وفي ايطاليا استخلصت نتيجة مماثلة للمعدل العالي للاصابة بالسرطان المعويّ والأمراض القلبية في المدن الصناعية الشمالية يقابله معدل منخفض في المدن الجنوبية الريفية حيث غذاء القرويين الحبوب وزيت الزيتون والعنب.

Photo: Bill Beck and David Hechler. Styling: Creative Food Service

عندما يتم تحليل العناصر الاساسية لهذا الغذاء، في ضوء الأبحاث الجديدة، سيصبح في الامكان فهم السبب الذي يجعل معدل الاصابات بالسرطان ومرض القلب في منطقة المتوسط منخفضاً.

حبوب كاملة – لا يزال الخبز في منطقة المتوسط، وهو القوت اليومي منذ القدم، يصنع من حب كامل (مع قشره) فيطحن بادوات حجرية ويؤخذ مع كل وجبة. ويشمل هذا الخبز الرغيف المسطّح المعروف في سوريا ولبنان ومصر وبقية العالم العربي اضافة الى اليونان وتركيا، والرغيف الخشن الأسمر الذي يخبز في صقلية. اما الأطعمة الحبوبية، بما فيها الخبز والمعكرونة والدقيق المسحوق (القمح المجروش)، مثل "البولغور" في تركيا، فانها توفّر نصف الاستهلاك اليومي من السعرات الحرارية.

والكربوهيدرات الحبوبية المتعددة التركيب التي كانت تعتبر مجرد حشوات نشوية، اصبحت تعتبر مصدراً مهماً للفيتامين "ب" والحديد وألياف التغذية الحيوية التي يحتمل ان تساعد في منع تكوّن السرطان المعوي. والغربيون يتناولون أطعمة حبوبية معظمها معجنات (مصنوعة من الدقيق الخالي من النخالة) توفر لهم ربع ما يحتاجون اليه يومياً من السعرات الحرارية. ويحضّ خبراء التغذية على زيادة استهلاك الحبوب اذ انها، الى كونها أطعمة مغذّية، تحتوي على سعرات حرارية مخفّضة تؤدي خدمة مهمة في ضبط الوزن من طريق خلق احساس بالتخمة او الشبع.

زيت الزيتون – يؤمّن زيت الزيتون لسكان حوض البحر المتوسط، منذ ما يزيد على ٤٠٠٠ سنة، معظم حاجاتهم اليومية الضرورية من الدهن. فزيت الزيتون، كبقية الزيوت، النباتية، خال من الكولستيرول لكنه غني بالمواد الدهنية الأُحاديّة غير المشبعة التي تساعد في تحسين وضع الاوعية القلبية.

والدهن مادة حيوية للتغذية الصحيحة، لكن النوع المشبّع منه والموجود في الادهان الحيوانية يزيد البروتيين الدهني القليل الكثافة، أي الكولستيرول الضارّ في مجرى الدم. وفي العقد الماضي بدأ كثيرون يتناولون أغذية تحتوي على مواد دهنية متعددة غير مشبّعة مثل الزيت النباتي وزيت الذرة. وفيما يمكن الغذاء الذي يحتوي هذه الادهان ان يخفض معدل البروتيين الدهني في الدم فانه يخفض كذلك معدل الكولستيرول المفيد أو البروتيين الدهني العالي الكثافة والضروري للحفاظ على صحة جيدة. اما المواد الدهنية الأحادية غير المشبعة مثل زيت الزيتون فانها تزيل الكولستيرول الزائد وتترك مقداراً صحياً وافياً من البروتيين الدهني. ويقول الدكتور سكوت غروندي مدير مركز التغذية البشرية في جامعة تكساس بمدينة دالاس، ان استعمال زيت الزيتون في غذاء سكان البحر المتوسط يمكن ان يفسّر لنا الانخفاض في عدد الاصابات بأمراض القلب والاوعية الدموية في تلك المنطقة.

السمك – يحتوي غذاء شعوب المتوسط على السمك واللحم بنسبة متساوية.

زيت الزيتون مادّة صحّية

أخبار سارّة للذين يهتمون بالحفاظ على صحتهم ولكنهم لا يرغبون في التخلي عن المآكل الفاخرة اللذيذة التي اعتادوها. تدل الدراسات الحديثة التي أجراها الدكتور سكوت غروندي من جامعة تكساس بدالاس وفريد ماتسون من جامعة كاليفورنيا بسان دييغو، ان الأدهان الأحادية غير المشبعة كزيت الزيتون ربما كانت أفضل من الزيوت النباتية المتعددة غير المشبّعة والمارغارين التي تمتدح فوائدها كثيراً، في المساعدة على خفض خطر الاصابة بمرض القلب. وتوضح هذه الدراسات ايضاً ان الأدهان الأحادية غير المشبعة تخفض الكولستيرول الضارّ في الدم ومن الممكن ان تكون اكثر أماناً من الزيوت المتعددة غير المشبعة. وزيت الزيتون له ميزة أخرى هي أنه يحفظ مدة أطول ويظل طعمه أقل تعرضاً للفساد.

يستخرج الزيت من خمسين نوعاً من الزيتون تعطي انواعاً عدة من الزيت مختلفة الطعم. فبعض الزيوت يصلح للسلطة من دون سواها فيما غيرها أنفع للطبخ أو للمرق.

يجب أن يحفظ زيت الزيتون في أوعية زجاجية مسدودة جيداً في اماكن باردة مظلمة ولا يوضع في الثلاجة إلا عندما يكون الطقس حاراً أو عندما تفتح الزجاجة ولا يؤمل استعمالها قبل أشهر عدة.

جاين برودي

في "نيويورك تايمس"

فأسماك الطون والسردين والاسقمري والنهّاش الأحمر والرنكة وابو سيف، غنية بالأدهان غير المشبعة «Omega 3s» التي تخفض الكولستيرول في الدم وتمنع تكوّن الجلطة الدموية.

الخضر والفاكهة والحبوب - اكتشف الباحثون اليونانيون أن الملفوف والخسّ والشمندر تؤدي دوراً مهماً في توفير الوقاية من سرطان القولون والمستقيم. وتدل الابحاث التي اجريت في مناطق اخرى من العالم على أن الشعوب التي تكثر من استهلاك الخضر تنخفض لديها نسب الاصابات بسرطان المعدة والثدي والبروستات.

وقد تبيّن للخبراء ان الفاكهة والخضر الغنية بمركّب طبيعي يدعى "بيتا - كاروتين" وهو مصدر للفيتامين "أ" يمكن ان توفّر وقاية ضد انواع عدة من السرطان شائعة في الغرب. فالفاكهة والخضر ذات اللون الاصفر الغامق (المشمش والبطاطا الحلوة والجزر) كذلك السبانخ واللفت هي ايضاً غنية بهذا المركّب الحيوي. ويرى الباحثون ان الملفوف، وما ينتسب اليه من انواع القنّبيط واللفت، لها شأنها ايضاً في مكافحة السرطان. ثم ان مادة "البكتين" الموجودة في العنب والتين والتفاح والخوخ وفي فواكه اخرى تساعد في خفض معدل الكولستيرول في الدم، كما ان الياف الفاكهة والخضر تساعد،

كما يبدو، في الحؤول دون نمو الورم المعوي.

وتحظى حبوب الفاصولياء والفول بمكان مرموق في حقل الابحاث الطبيّة. فالالياف التي تنحل في الماء والموجودة في هذه الحبوب، وفي العدس كذلك، ربما ساعدت أيضاً في خفض معدل الكولستيرول. ويمكن ان تعمل هذه الالياف مع الياف مغذيات اخرى مثل "السلولوز" الموجود في نخالة القمح الكامل الذي يتغذّى به سكان منطقة البحر المتوسط، وتساعد في الوقاية من السرطان المعوي.

الثوم والبصل - ان طعام القرية الذي يشمل الثوم والبصل وزيت الزيتون، التي تضاف الى طبق الحبوب وصحفة الخضر النيئة، يوفّر غذاء مفيداً ولذيذاً وسهل الهضم، وذلك خلافاً للصلصة التي يفضّلها الغربيون ويكثر فيها الملح والقشدة. وقد ثبت للعلماء، من خلال اختبار، ان أكل الثوم والبصل بانتظام قد خفّض معدل الكولستيرول لدى الذي أخضعوا للاختبار وساعد في مقاومة تصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم.

وعملاً بتوصيات منظمة الصحة العالمية علينا أن نشدد، على تبني الاغذية المفيدة ونبتعد عن الاطعمة المضرّة بالصحة.

فالاطعمة التي نشدّد على تناولها تشمل الفاصولياء والفول والحبوب والفاكهة والخضر، وننصح بزيادة استهلاك مركّبات الكربوهيدرات والياف الخضر. والافضل ان يؤخذ السمك والدجاج واللحم الهبر بمقادير صغيرة. وعلى البالغين ان يعتمدوا الحليب القليل الدسم ومشتقاته كما على الجميع ان يخفضوا استهلاكهم من المواد الدهنية.

والاطعمة التي نوصي بتحاشيها هي اللحوم الغنيّة بالدهن والحليب الكامل الدسم ومشتقاته والادهان المشبعة والمشروبات الكحولية.

ويرى الدكتور ستيرنسفارد رئيس قسم السرطان في منظمة الصحة العالمية ان الغذاء التقليدي لسكان حوض البحر المتوسط هو دليل على حسن الذوق والاختيار ومثال جدير بان يحتذى.

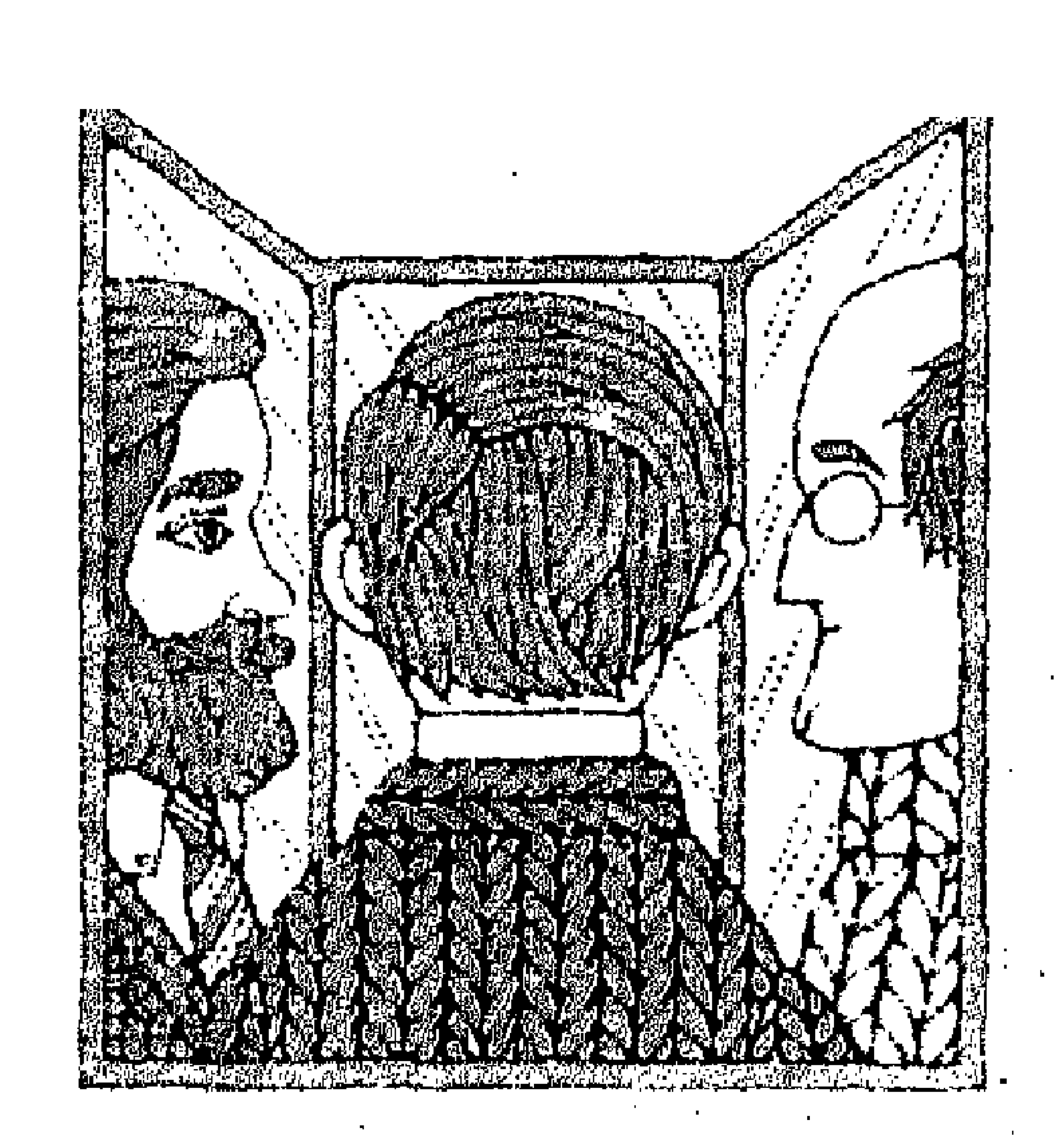
ويلاحظ انه "لو اتبّعت غالبية دول العالم الوافرة الغنى نظاما مماثلا فسيكون لذلك تأثير رئيسي في خفض عدد الاصابات ليس بداء السرطان فحسب ولكن بامراض القلب والاوعية الدموية كذلك."

كارول ومالكوم ماك كونيل ■

مشبك الاوراق

لو طلبت الحكومة اليوم أن يُخترع لها دبوس لشبك الاوراق لحصلت على مشبك مكوّن من سبعة أجزاء متحركة وبطاريتين وثلاثة اجهزة ترانزيستور. وهو يحتاج الى صيانة مرتين في السنة.

س.ك.



الامور الكبيرة

إن الأمور الكبيرة التي تحدث للانسان لا تعلِن مدى أهميتها. فلا الاجراس تقرع ولا الطبول تدق لتنبئك انك في هذا التاريخ أو ذاك ستقابل أعظم شخصية ستعرفها في حياتك أو انك ستقرأ أهم كتاب أو ستجري أهم حديث سيتاح لك أو سيمر عليك أسعد أسبوع ستعيشه. فالامور التي تغير مجرى حياتك ستكون ذكرى حين تدرك مدى أهميتها. فلا يتعين عليك ان تشعر بالقلق والاضطراب حيالها قبل الاوان.

إديث شيفر

الشتاء

من يعجب بجمال الطبيعة في الصيف سيجد في الشتاء مدعاة مماثلة للعجب والاعجاب.

في الشتاء تبدو النجوم وكأنما أوقدت نيرانها من جديد، ويبلغ القمر مجده الاكمل وترتدي السماء حلة رائعة من البساطة. الصيف أكثر جاذبية واغواء وأوفر رقة وتنوعاً، انه يستهوي المشاعر والاحاسيس ويقوي حب الاستطلاع والحوافز الفنية. لكن للشتاء طبيعة بطولية، وهو يخاطب العقل. في الشتاء يلزم المرء نفسه بواجبات أكبر ويغدو أقل تساهلا في نقاط ضعفه.

جون باروز، كاتب أمريكي
اشتهر بمقالاته حول الطبيعة

المعنى الصامت

الكلمة غير المحكية
ليست غير مسموعة.
انها تخطر في العين،
في تقطيبة الحاجبين.
ايماءة اليد تعبّر
أبلغ من طويل الكلام.
ويستقر الصدى في القلب
كعود راسخ في التراب،
يتوالى عليه مديد الزمان
فيبلى أو يتألق ويصان.
الكلمة غير المحكية
تلمسنا كما الموسيقى.
تلامس العقول.

س.و.هـ.

الغاء الرسميات

ان الالحاح على رفع التكليف وإلغاء الرسميات على نحو شامل يعني اعطاء أهمية واحدة لجميع العلاقات، وبمعنى آخر تجريدها من كل أهمية. انه التخلي عن الاسلوب التدريجي الذي تتطور به العلاقات الشخصية وغير الشخصية: كنا في القديم نستعمل عبارات التكريم دليلا على احترام السن واقراراً بأن المسنين عرفوا الحياة واختبروا أفراحها وأحزانها أكثر من الصغار. لذلك قضى العُرف والتقليد بأن نخصّهم باحترامنا وما فيه من تعبير رمزي.
تلك الايام ولّت الى غير عودة كما أعتقد، ولا أرى في هذا التطور أي خير. وانه من المؤسف ان نسمع فتاة صغيرة تستقبل امرأة مُسنة بقولها: "يا مريم." ربما اعتقدت الفتاة ان مخاطبة العجوز بهذه الطريقة دليل عطف واهتمام، لكن الواقع أنها تعبّر عن تنازل وتحقير، اذ تنكر على مريم ميزة التقدم في السن. كذلك من المؤلم ان تبنى ثقافة اليوم على أساس "الاسم الاول" بحيث يسقط التمييز بين علاقة الفرد مع صديقه وتصرُّفه مع تاجر. انا لا أسمي هذا تصرفاً حميماً أو أليفاً. انه نوع من خداع الذات.

جوناثان ياردلي

ماذا ستكون؟

يواجه الطفل باستمرار سؤالا ملحاً من البالغين: "ماذا ستكون؟"
والطفل الشجاع هو الذي يجيب البالغ بجرأة: "لن أكون شيئاً، فها أنا كائن أمامك."
نحن البالغين يصدمنا مثل هذا الرد الفظ، لأننا نسينا - اذا كنا حقاً عرفنا يوماً - أن الطفل منذ ولادته هو عضو فاعل ومشارك في المجتمع. والطفولة ليست الفترة الزمنية التي يصنع الطفل خلالها انساناً سوياً يعيش بعدها الحياة، بل ان الطفل هو الانسان الذي يعيش الحياة حقاً. ولا يتخلى الطفل عن متعة العيش الا اذا حرمه اياها البالغون الذين أقنعوا أنفسهم بأن الطفولة هي فترة تحضير.

ديفيد الكيند، عالم نفساني للاطفال

للطب أخلاق

الطبيب الذي يتذكر ان مريضه يتلفع بعباءة من النبل والكرامة، لن يتعالى في مخاطبته. فليس من السهل تصور شخص عار متشبثاً بملاءة وعلى سيمائه ذعر وهلع. هذا الطبيب لن ينادي مريضه باسمه الاول وهو يعلم ان المريض سيناديه بلقبه. ولن يمانع في تعليل ما يقصد بكلامه حين لا يبدو ذلك واضحاً لشخص تلقى تعليمه في اختصاص آخر، وهو يبذل وسعه كي لا يدع مريضه ينتظر خدماته طويلا. واذا كان لا مفر من الانتظار، فانه ينبه المريض الى مدة التأخير، كما تفعل شركات الطيران.

جوديث مارتن

ميكلانجلو والسمكري

غويدو السمكري وميكلانجلو الفنان اقتطعا رخامهما من مقلع واحد. لكن اختلاف النظر جعل الاول يرى في الرخام بالوعة في منزل رجل ثري والثاني يرى فيه منحوتة بديعة.

بوب كول



صغارنا، فلذات أكبادنا، قد تدهمهم الحوادث ونحن بعيدون عنهم. هناك طريقة قد تنقذ حياتهم جربت في الخارج ولا بأس في اعتمادها في العالم العربي

أناس كثيرون كانوا يعرفون كيرستين سويت، تلميذة الصف الابتدائي الثالث من سنسيناتي بولاية أوهايو. ولكن لمدة ساعتين مروعتين في ٢٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٣ تحولت كيرستين سويت ذات السنوات التسع الى جاين دو! الابوان: مجهولا الهوية. المنزل: مجهول. التاريخ الطبي: مجهول.

لقد غفت الفتاة في حافلة المدرسة المتجهة الى منزلها. واذ ايقظها زملاؤها ارتبكت ونزلت من الحافلة في مكان يبعد عن بيتها مئات الامتار. وقررت الاهتداء الى بيتها سيراً على القدمين. واذ عبرت الشارع صدمتها سيارة.

غابت الفتاة عن الوعي وقد أصيبت بارتجاج في الدماغ وبنزف داخلي وجروح عدة. ونقلت بسرعة الى أحد المستشفيات حيث عولجت جروحها الخطرة التي هددت حياتها. غير أن المعالجات والفحوص الأخرى أرجئت لاكثر من ساعة ريثما يتم التعرف اليها ويوافق أحد أبويها على اجراء جراحة.

بقيت كيرستين على قيد الحياة لكن دماغها أصيب بخلل. وتبقى طي المجهول مسألة ما اذا كان التعرف المبكر اليها ومحض الموافقة الأبوية ربما أديا الى نتيجة مغايرة. غير أن كيرستين تضع الآن رقعة صغيرة على شريط حذائها يسمح للاطباء بأداء واجباتهم في حال حدوث أي طارىء مستقبلا.

والرقعة هدية من جورج وايجر من بوينا بارك في كاليفورنيا الذي ترك عمله وأثقل أسرته بالديون ليمنح هذه الرقع مجانا.

و"رقعة وايجر" قطعة من نسيج متين لا تمحي ولا يخرقها الماء وتمكن حياكتها

في ملابس الطفل أو لصقها على رباط حذائه. وحجمها لا يتعدى رقعة تعليمات الغسل الموجودة داخل معظم الملابس. لكن فيها متسعاً لمعلومات مهمة كتوقيع الابوين بالسماح للاطباء باجراء كل ما من شأنه تأمين سلامة الطفل.

ترحيب فاتر - وايجر الأربعيني المتغضن الوجه الذي كان يكسب عيشه من تصميم اعلانات لحملات التبرع، ابتكر فكرة الرقع في ٢٧ مايو (أيار) ١٩٨٣ فيما هو جالس على شرفته يراقب أولاده الثلاثة كارلا ميشال (١٥ عاماً) وباتي آن (١١ عاماً) وشون (٩ أعوام). وكان قرأ لتوه في الصحيفة خبراً عن صبي في التاسعة صدمته سيارة. وقد عانى رجال الشرطة صعوبة في التعرف الى أبويه، اذ لم يكن في حوزته أي ورقة ثبوتية. وبعد مرور ست ساعات على الحادث وجدت أمه. وبعد عشرين ساعة توفي الصبي متأثرا بجروحه.

رمق وايجر كلبه "داين" الرابض بالقرب منه، متفحصاً الرقعة التي تبين اسمه واسم صاحبه وعنوانه ورقم هاتفه. وفكر: هذه حماقة! أولادي يسرحون في كل اتجاه، وقد يحدث لهم مكروه. وها هو كلبي يحمل أدلة ثبوتية اكثر مما يحملون.

تحدث وايجر الى رجال الاطفاء والشرطة والمسعفين الطبيين وأطباء غرف الطوارىء الذين اكدوا جميعاً الحاجة الى نوع من رقع هوية للأطفال. وصمم الرقع الاولى من نوعها. وبما أن الشيء المشترك بين جميع الاطفال هو الأحذية، فقد استنتج وايجر أنها المكان المناسب للصق الرقع. والخطوة التالية هي حمل متاجر بيع أحذية الاطفال على لصق الرقع على بضائعها.

أخبر وايجر زوجته كاثلين: "يجب ألا يستغرق الأمر وقتاً طويلا، فالتجار سيتحمسون للفكرة."

وأسس وايجر جمعية "الانقاذ" الخيرية، وهي لا تتوخى الربح ولها مكتب وسكرتيرة. وبعث برسائل إلى تجار أحذية الاطفال وصانعيها. وصدمه انه لم يلق غير اهتمام بسيط. لكن ذلك لم يوهن عزيمته فراسل صانعي ثياب الاطفال وتجارها الكبار، فلم يبدوا اهتماماً هم كذلك.

تدفق الطلبات - صيف ١٩٨٣ نشرت مجلة تصدر عن دائرة الشرطة اعلاناً قصيراً يعرض الرقع مجاناً لاي شرطي أو شعبة للشرطة يهتمان لتوزيعها. ولما كان وايجر وحده يدفع النفقات كلها، فقد استدان مبلغاً ورهن منزله. وعزم على التفرغ للعمل في مشروع الرقع. وحاول الزوجان أن يعتاشا من دخل كاثلين التي تملك شركة لصنع ملابس دمى الاطفال.

في الأشهر الاولى بعد نشر الخبر طلب عدة شرطيين كميات صغيرة من الرقع. ثم تلقى وايجر مكالمة هاتفية من دوغلاس فيلتمان الرقيب في شرطة مدينة ميتشل بولاية داكوتا الجنوبية. وكان فيلتمان طلب قبلا رقعاً لابنتيه. وها هو الآن يريد المزيد.

سأل الرقيب: "ما حظي في الحصول على سبعة عشر ألف رقعة؟"

غمرت وايجر البهجة لما سمع هذا

الكلام، فرد: "سأرسل اليك كل ما تستطيع توزيعه."

وزع فيلتمان الرقع بحماسة. فزار المدارس ورابطات الاهالي والمعلمين شارحاً منافعها. ووافقت المصارف المحلية الثلاثة على إدراج رقعة وملاحظة عن مكان الحصول على مزيد منها في كشوف حساباتها الشهرية. وتطوعت المطاعم ومتاجر المأكولات السريعة لتوزيعها أيضاً. وبحلول ربيع ١٩٨٤ كان فيلتمان وزع ٣٠ ألف رقعة. وذاع الخبر في وسائل الاعلام وتدفقت الطلبات من ولايات داكوتا الشمالية ونيوجرزي وآيوا ونبراسكا ووسكنسن.

وساعد في الأمر نقل الخبر شفهياً. وفي ايغ هاربور في نيوجرزي عرض شرطي بعض الرقع على زملائه. وسمع بها ديفيد غرين من شرطة ماديسون فطلب من وايجر ١٠ آلاف رقعة وزعها على المدارس المحلية.

وفي سنسيناتي كانت ليندا زالر من شركة "سيبسي كلاين" للوساطة العقارية تنشد برنامج سلامة للاطفال للمشاركة في مهرجان المدينة، فاقترح أحد رقباء الشرطة أن توزع الشركة رقع وايجر. وقد وزعت زالر ما يزيد على ٧٥ ألفاً منها في يوم واحد.

دفعت شركة سيبسي وسواها ثمن الرقع التي وزعتها. ولكن في نهاية ديسمبر (كانون الاول) كان آل وايجر مدينين بثمانين ألف دولار وقد تخلفوا عن تسديد القرض لفك الرهن.

عشية ميلاد ١٩٨٤ كان جورج وكاثلين يلهجان بالهدايا التي تعذر على أولادهما الحصول عليها. فجأة قال جورج: "لقد تحملت ما فيه الكفاية، لماذا أقلق وأهتم بأولاد كل الناس؟"

فتاة وسط الصبّار – في الايام التالية، كثيراً ما رأت كاثلين زوجها ينظر من النافذة ساهماً. وفي صبيحة أحد الايام ألقت مغلفاً في حضنه قائلة: "اقرأه." كانت داخل المغلف رسائل من أطفال في مدرستين ابتدائيتين في نيوجرزي. وجاء في إحداها: "انك لطيف اذ منحتنا رقع الهوية هذه. حين كنت صغيراً، أضعت السبيل مرة، وكان الأمر مروعاً. أنت انسان مميز، كذلك أنا!"

وفيما تابع جورج القراءة عادت إليه عزيمته. أخبر المصرف سبب توانيه عن الدفع، وحصل على مهلة شهر آخر للسداد. وشرع يحض الجمعيات على المساهمة بمبلغ سِنتين(★) عن كل رقعة توزعها.

قرر وايجر التركيز على ولاية واحدة في آن. كانت نيوجرزي في باله، والتحري غرين من ماديسون هو الرجل الذي سيساعده. وكان غرين آنذاك رئيس جمعية مكافحة الجريمة في الولاية.

أقنع وايجر غرين والجمعية بتوزيع مليوني رقعة. وتبرعت شركة "كيمبرلي – كلارك" بالورق اللازم.

عثر وايجر أيضاً على شركات تكفل المشروع وتتعهده. ووافقت "أطعمة ويكفرن" وهي تعاونية من ١٨٩ متجراً كبيراً في ثلاث ولايات، على توزيع الرقع. وتدريجاً، انضمت شركات أخرى إلى الحملة.

(★) السنت جزء من مئة من الدولار.

حتى ذلك التاريخ كانت شبكة وايجر للتوزيع قدمت ٣٠ مليون رقعة انقاذ.

وفي يونيو (حزيران) ١٩٨٤ كانت ربيكا طومسون (٩ أعوام) من ميسولا بولاية مونتانا، تزور اباها في ولاية أريزونا. وذات يوم فيما هي تعدو في سباق مع أخيها، اصطدمت بنبتة صبّار عملاقة. واذ تملصت منها لمحت نحو ٤٢ ابرة في حجم خلال الاسنان مغروزة في ذراعها اليسرى. كان الدم يقطر من الجروح، وكان أخشى ما خشيه.والدها أن تصاب بعلة تخثر الدم البطيء كما جرى لأمها.

وتذكر لوك طومسون وهو في طريقه الى المستشفى أن ابنته شديدة الحساسية لبعض العقاقير، لكنه لم يكن متيقناً من أسمائها. وهذا الأمر أقلق الاطباء الذين أرادوا انه يعطوها مسكنات، وهم لم يتمكنوا من الاتصال بأمها.

وسألها الاطباء: "أتدرين أي عقاقير تثير حساسيتك؟ أتعرفين اسم طبيبك؟" وهزت ربيكا رأسها نفياً، ثم تذكرت فصاحت: "الرقعة! انظروا الى حذائي!"

كانت والدة ربيكا قبل أسابيع ألصقت احدى رقع وايجر على حذاء ابنتها. ووجد الاطباء المعلومات بسرعة، وتمت ازالة ابر الصبار المؤلمة.

وقالت والدة ربيكا في ما بعد: "من دون تلك الرقعة كانت محنة ابنتي ستطول."

ماري هودج ▪



اسرع خدمة

هبطت الطائرة الصغيرة بسلام بعدما تعرضت في الجو لزوبعة كادت أن تسقطها. فهرع عمال المطار بسلم الهبوط لانزال الركاب. لكنهم نسوا ان يشبكوا السلم جيداً بالطائرة.

وكان أول النازلين رجل في الثمانين من عمره، ما ان وطئت قدماه السلم حتى هبّت عاصفة قوية انتزعت السلم من الطائرة وحملتها، والرجل عليها، الى مدخل قاعة الانتظار حيث اصطدمت بحاجز من السلاسل. عندئذ نزل العجوز من دون ان يلحقه أذى، ورفع قبعته للمشاهدين قائلا: "انها أسرع خدمة عرفتها في حياتي."

ك.ج.

العلم نورن!

العبارات التي يكتبها طلاب الفيزياء والهندسة على جدران غرف الحمام في الجامعة تختلف عن تلك التي يكتبها غيرهم من طلاب الفنون. وقد كتب أحد طلاب الفنون هذه العبارة: "الحب يسيّر العالم."

فأضاف تحتها احد طلاب الفيزياء: "بقوة محرّكة."

د.ل.

الانسان الآلي

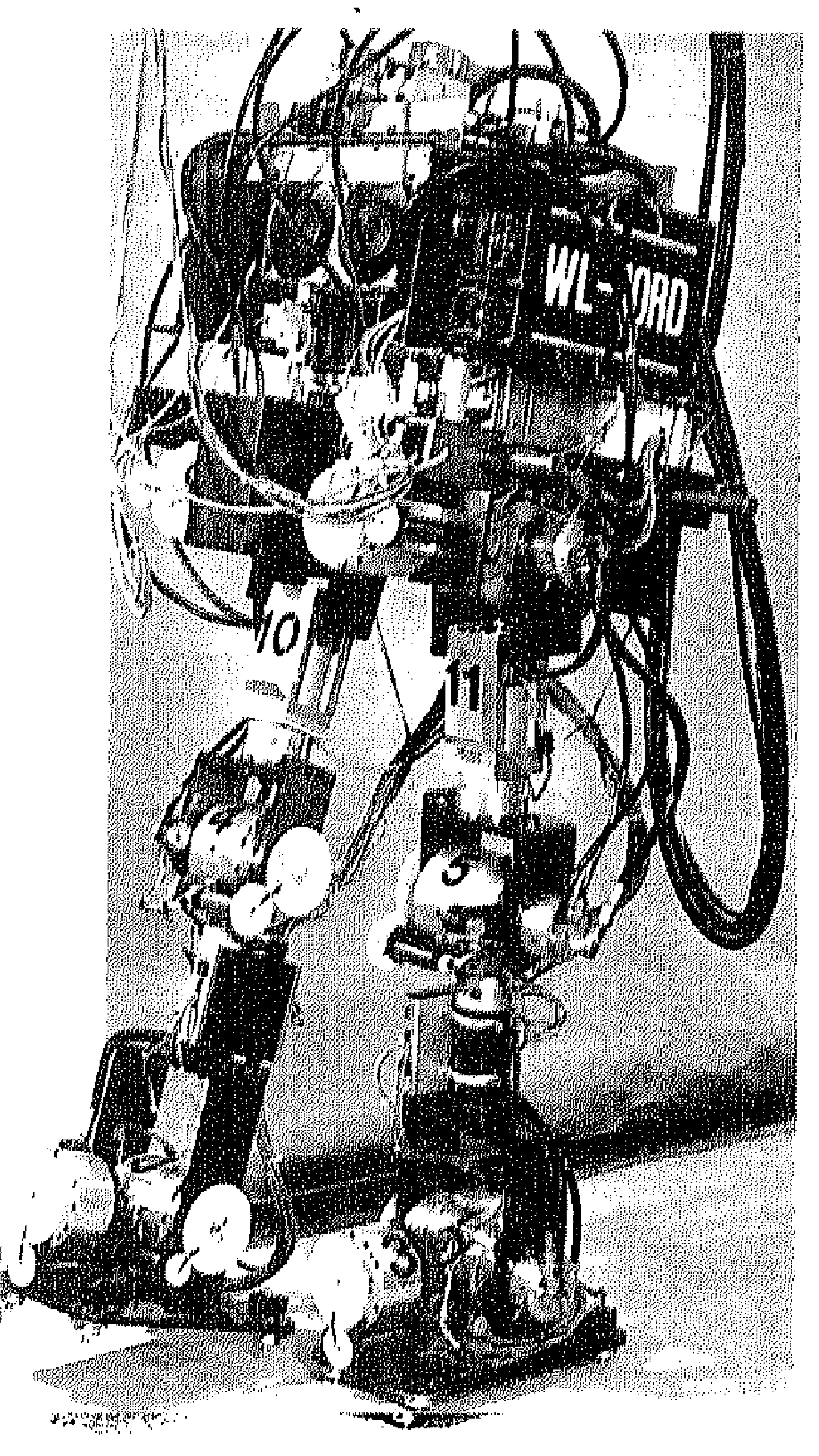
الجيل الجديد يقتحم الأخطار ويعزف على الأرغن!

ربوطات الجيل الجديد في اليابان تعمل في غرف العمليات وتعدِّن في قيعان البحار وتنقذ المحتجزين في الابنية المحترقة... وغير ذلك كثير

عينا كيشي اكيدا تومضان. "الربوط - ١(١)"، وهو عنكبوت فضي، يتهادى على قوائمه الثماني في مشي وئيد مختصر، فيرفع أقدامه المستديرة المنبسطة ثم يضعها على الأرض. هسيس وقرقعة عالية يواكبان خطوه فيما الاقدام المطاطة تفلت من انبوبة المص. شرايين لدائنية (بلاستيكية) بيضاء منسوجة عبر هيكل بدنه الالمنيوم تنقل هواءً مضغوطاً يزود الجهاز طاقة.

وفيما يتلو اكيدا بصوت عال احصاءات عن الربوط (١) تتابع الآلة سيرها. واذ يختم اكيدا كلامه يكون الربوط - ١ تسلق نصف المسافة على الجدار.

متسلق الجدران هذا أحد المفاتن المعروضة في مختبر (معمل) الهندسة الميكانيكية حيث يعمل اكيدا. انه جزء صغير من جهد تبذله اليابان لابتكار جهاز حديث ذاتي الحركة يمثل الجيل الثالث من الربوطات. الجيل الاول كان يؤدي العمل برتابة وهو يهدر، مكرراً بغباوة الحركات نفسها.



ربوط سيار من تصميم الاستاذ ايشيرو كاتو وفريقه في جامعة واسيدا بطوكيو.

(١) الربوط (robot) هو ما يُعرف بـ"الرجل الآلي".

أما الجيل الثاني من الأجهزة الذاتية الحركة فيتسم بمهارات حسية بسيطة، لكن معظم أفراده غير متحرك. والجيل الثالث من الربوط، ذو المجسات والأيدي والاذرع الرشيقة كالبشر، سيتمكن من التحرك بالسهولة ذاتها التي نتحرك بها نحن.

لقد لحظت وزارة التجارة والصناعة اليابانية نحو ٨٨ مليون دولار لبرنامج بحوث يستغرق ثماني سنوات. ويشارك فيه أكثر من ١٩ شركة إضافة الى بحاثة في طوكيو وعلماء بالربوطات في مختبر الهندسة الميكانيكية والمختبر التقني الكهربائي في مدينة تسوكوبا العلمية.

ومن هذه التكنولوجيا ستنبثق "ربوطات الأخطار" الأولى القادرة على النفاذ الى الباطن المشع لمفاعل نووي والغوص الى قاع المحيط وانقاذ أشخاص احتجزوا في مبان تحترق. ويتخيل اكيدا نموذجاً مستقبلياً للربوط - ١ منزلقاً على الجوانب الفولاذية للسفن كاشطاً الصدأ والقشريات البحرية.

عين ويد - ينبغي أولا أن يحل البحاثة بعض المسائل الجوهرية. وللمثال، يجب أن يمنحوا الآلة عينين تليقان بها. شركة "ماتسوشيتا" ابتكرت "عيناً" هي بمثابة آلة تصوير تعلق على ذراع ربوطية. تتفحص هذه العين وجهاً ما لمدة عشر ثوان تقريباً. ويبسِّط الدماغ الالكتروني الصورة الملتقطة، ثم يوجِّه الذراع الربوطية لترسم مخططاً بالأسود والأبيض لما ترى. والنتيجة هي الحصول على رسوم انطباعية للاشياء.

غير أن من العسير على الآلة أن تميز أشياء بسيطة ذات أبعاد ثلاثة، كالأسطوانة. فهذه اذ تعاين من فوق تبدو كأنها دائرة، ومن جانبها أشبه بالمستطيل. لذا ففي المختبر التقني الكهربائي يعمل يوشياكي شيراي الاختصاصي بمعالجة المعلومات والخبير بالرؤية الاصطناعية، في اختراع معيِّن للمدى(٢) متطور يميز الاشياء باطلاق حزمة من الضوء تنفذ خلالها ويتلقي انعكاسات من السطوح المتعددة.

ولا يكفي أن "ترى" الربوطات العالم الخارجي، بل ينبغي أن تدير الصمامات وتلتقط الأدوات الساقطة. ولا شك في أن الجيل الثالث سيحتاج الى إيد تشتغل بحذق شبه كامل.

معظم قوابض الربوطات اليوم تقوم على اصبعين من معدن، تعملان مثل ملزمتين مجهزتين بمحركات. وهي تواجه صعوبة في التقاط أي شيء غير بسيط ومسطح الجوانب.

في خريف ١٩٨٤ عمد ساتومي كوباياشي مدير مختبر بحوث الهندسة الميكانيكية في شركة "هيتاشي"، الى كشف النقاب عن قابض ربوطي بثلاث أصابع يتحرك بالسهولة التي تتحرك بها يد الانسان. واثناء أحد العروض أطبقت الاصابع الثلاث، الابهام والسبابة والوسطى على كرة بحركة بطيئة لكنها سلسة.

منظار للمعدة - فكرة اليد في "هيتاشي" مستقاة من تصميم أعده داي

(٢) Range Finder

هونما الاستاذ السابق في جامعة واسيدا بطوكيو. فحين كان هونما تلميذاً صنع اذرعاً ربوطية صغيرة تتحرك برشاقة. وكان السر مادة عجيبة تدعى "أشابة الذاكرة الشكلية" (٣). وهذه المادة مهما تبدل شكلها فانها حين تدفأ ترجع الى هيئتها الاصلية.

وبدل المحركات الكهربائية الضخمة والكثيرة الضجيج، التي تقبض الأصابع وترخيها، استعمل علماء "هيتاشي" ١٢ جديلة من الاسلاك موصولة بنوابض. واذ تجري شحنة صغيرة من الكهرباء في الاسلاك فانها تسخن وتتقلص، مما يمنح الأصابع حركة رشيقة تماثل حركة يد الانسان.

ان تشغيل التيار يتسبب في اطباق اليد، وقطعه يؤدي الى انفراج الاصابع. ومن سوء الحظ أن الاسلاك يلزمها بعض الوقت كي تبرد، لذلك يتعذر على اليد أن ترخي قبضتها فوراً.

في معهد طوكيو للتكنولوجيا ذاع صيت شيجيو هيروس بعد انشائه معرضاً ضخماً للآلات التي تحاكي ببراعة حركات بعض الحيوانات. وعلى سبيل المثال، فان خرطوم الفيل المسيّر بواسطة التحكم الآلي يتحرك متمعجاً كالخرطوم الحي. وثمة أفاع ربوطية زاحفة.

كذلك إبتكر هيروس نوعاً جديداً من القوابض. فعند طرف جذع معدني ثلاثة مجسات فولاذية تلتف خلفياً كالاخطبوط. وبحفيف معدني تنبسط المجسات لتلتف حول ثمرة ملفوف ثم حول عنق موز وأخيراً حول قطعة خزف صيني.

ترفع اليد كل شيء وتضعه من دون أن تترك أثراً. وبخلاف المخلب الفولاذي العادي، يتحرك الجهاز بليونة أفعوانية.

وفيما تعرض شاشة تلفزة شريط فيديو عن صبي يقف قرب الاصابع المعدنية الملتفة، يقول هيروس معلقاً: "هذا ابني ذو الثلاث السنوات." ويرفع ابنه ذراعيه في الهواء، فتنزلق المجسات المعدنية حول خصره فيفتر ثغره عن ابتسامة وكأنها تدغدغه. وبعد ثوان ترتد المجسات الى مكانها.

ويعمل هيروس أيضاً في تطوير منظار للمعدة (٤) قادر على الانقباض، باستعمال أشابة الذاكرة الشكلية كعضلة اصطناعية. إنه يترقب اليوم الذي سيستخدم هذا المنظار لاجراء جراحة للمعدة.

كلب مرشد – الآلة مهما بلغت مهارتها تبقى محدودة الاستعمال إن لم تتحرك. وبما أن مساحة كبيرة من الاراضي التي سيطأها الربوط في مناطق مختلفة من العالم هي بعيدة المنال عن آلة ذات عجلات أو سلاسل، فان علماء الربوطات دأبوا لاعوام خلت على دس أقدام – اثنتين أو أربع أو ست – تحت آلاتهم.

ويوضح هيروس: "قد درست الأفعى ودرست العنكبوت، وكانت حركة العنكبوت مصدر الهامي." وعلى بلاط الاسمنت في المعرض يجثم عنكبوت ميكانيكي ضخم عرضه حوالى متر من قائمة الى قائمة. انه "تيتان الثالث"

(٣) «Shape Memory Alloy» والأشابة خليط من معدنين أو أكثر.

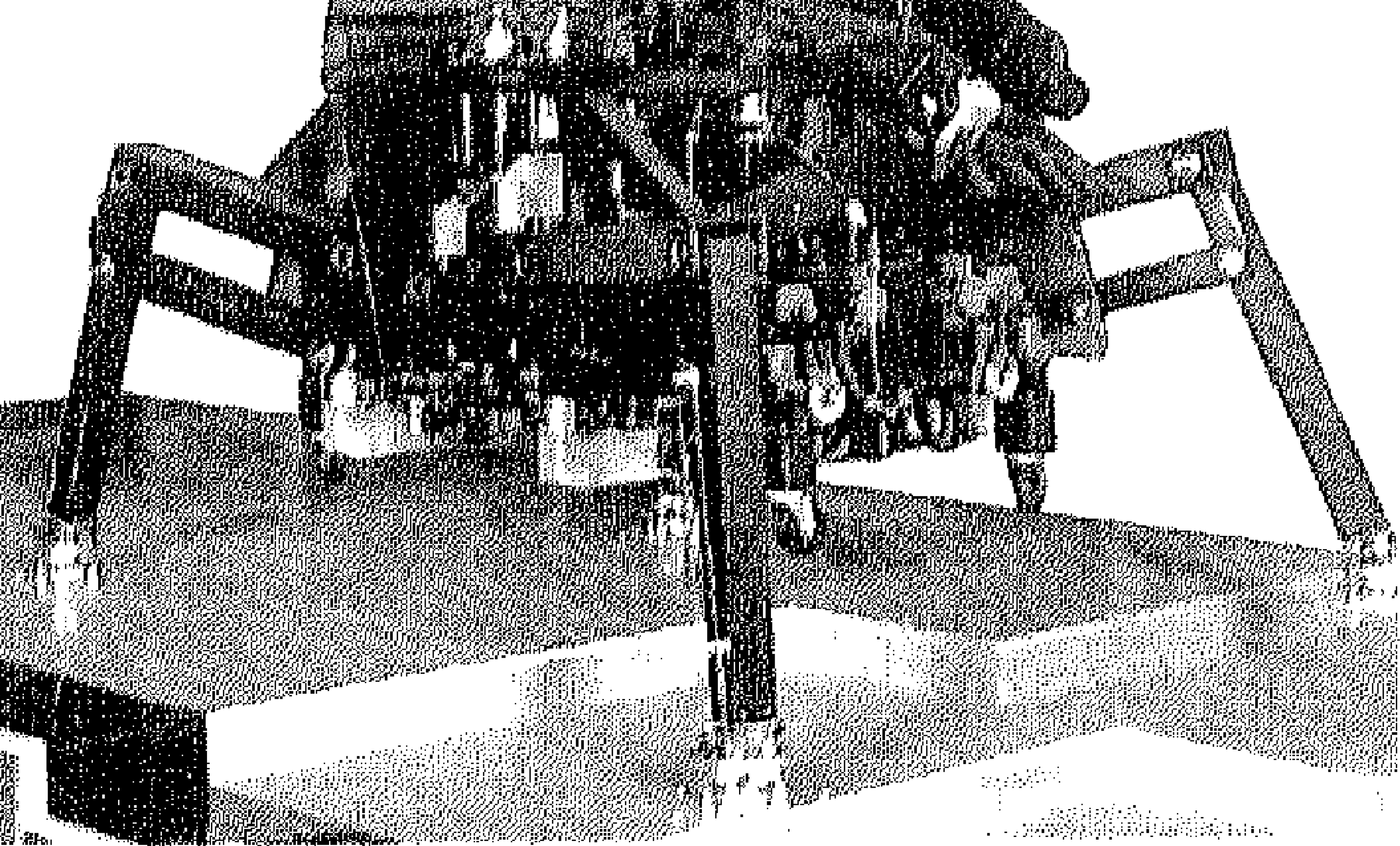
(٤) Gastroscope

وهو لا يشبه العنكبوت الأصلي فحسب، بل يتفوق عليه. فأثناء أحد العروض جاز الغرفة ببطء وثقة كعنكبوت عملاق طويل القوائم.

وفي وسعه أيضاً أن يرفع جسمه أكثر من نصف متر في الهواء أو ينبسط على البلاط مستجمعاً قوائمه حوله، ويستعين بالعجلات الاربع في أسفل بدنه لينتقل الى مقصده.

وكي يرتقي السلم يزلق قدمه على سطح الدرجة حتى تصطدم مجسات اللمس بالحافة. ثم يمرر قدمه برفق الى الامام ويخفضها. بعد ثانية أو ثانيتين ترتفع قدم أخرى وتتكرر العملية ذاتها. ويأمل هيروس أن تتوافر لديه المعدات المتطورة لانتاج النموذج الأولي لربوط متحرك يعمل في البناء. وهو يقول: "في وسع ربوط كهذا أن ينزل من صندوق شاحنة في موقع الانشاءات ويسير الى العمل."

وفي تسوكوبا نجد كونيكاتسو تاكاسي، وهو اختصاصي بالربوطات في عقده الخامس، منهمكاً في تصميم ربوط يتفاعل مع الدماغ البشري بدل الدماغ



الالكتروني. والانسان يستطيع بأوامر بسيطة أن يوجه يد الربوط مثلا لتحمل اناء كبيراً من المواد الكيميائية السامّة.

وقد بدأت بعض أبحاث الربوطات في اليابان تؤتي ثماراً. فالبحاثة في مختبر الهندسة الميكانيكية يعملون في صنع ربوط منظم هو عبارة عن نقالة ذكية يمكنها أن ترفع مريضاً برفق من سريره وتحمله الى قسم الأشعة أو غرفة العمليات. ويفترض أن يصبح هذا الربوط قيد الاستعمال في المستشفيات بعد أقل من سنتين.

وبالقرب من مختبر تاكاسي يعمل سوسومو تاشي رئيس مختبر الهندسة الميكانيكية، على ربوط يحاكي الكلب المرشد. وهو ربوط صغير ذكي ذو ثلاث عجلات يمكنه أن يقود شخصاً أعمى. كما أن في وسعه، باستعمال أجهزة احساس فوق - صوتية، أن يستكشف العوائق ويحذر من الاخطار ويتلمس سبيله في طريق خزنت خريطتها في لفيفة ممغنطة داخله.

ربوط سيار - وكل سنة تزداد حاجة اليابان إلى مختلف أنواع الربوطات. استعمال الآلات عوض البشر يخفض لفة صنع السيارات والالكترونيات لتعدين في قيعان البحار وصيانة نشآت الطاقة النووية.

فمتى يبرز المغامرون؟

يتوقع ساتومي كوباياشي خبير ربوطات في هيتاشي ان نرى نسخاً كرة من الربوطات العاملة في منشآت طاقة النووية، وربوطات كراسي

المقعدين، وربوطات التعدين تحت سطح البحر، أواسط التسعينات من هذا القرن.

وستشهد بداية القرن الحادي والعشرين مولد الربوط الاطفائي المكتفي ذاتياً والربوط البنّاء الذي يستطيع تشييد هياكل ومبان حيث تنفقد الجاذبية، فضلا عن تنفيذ مهمات انقاذ في الفضاء.

والواقع أن ربوطاً عاملا برز الى العالم. وهو يزن ٧٢ طناً ويقف في مياه خليج طوكيو على أربع قوائم ليدحرج الحجار الى مواضعها ويسوّيها بالمستوى المطلوب، كجزء من مشروع بناء سور بحري، مجنباً خمسين غواصاً أخطار أعمال البناء تحت سطح الماء.

أما الاستاذ ايشيرو كاتو عميد كلية الهندسة في جامعة واسيدا والمعروف بكبير علماء الربوطات في اليابان، فقد برز من مختبره الخاص عدد من الآلات الاكثر جسارة واغراقاً في الخيال.

ففي العام ١٩٧٣ صنع كاتو آلة سمّاها "وابوط - ١" (والاسم توليفة من كلمتين: واسيدا وربوط) يمكنها أن تمشي على ساقين ويبلغ وزنها ١٣٦ كيلوغراماً. وفي وسع الآلة أن تلوي وركها المعدني وركبتيها وكاحليها ومفاصل قدميها اذ تتحرك، وأن تسير في خط مستقيم وتستدير وتمشي جانبياً.

عازف آلي - في خريف ١٩٨٤ قدم كاتو آخر مبتكراته: "وابوط - ٢". هذا الربوط الذي أبقي في مبنى صغير للبحوث في حرم جامعة واسيدا ينتصب أمام لوحة مفاتيح أرغن من طراز "ياماها". بدنه عريض، وتتدلى من ذراعيه أمتار من الأسلاك والحبال تتقوس خارج ظهره. ورأسه صندوق أبيض يحوي آلة تصوير تلفزيونية كانت مصوبة في أحد العروض الصحافية الى ورقة نوطات موسيقية على المنصة أمامه. وكما هو متوقع، التفّت على لوحة المفاتيح "يدان" من ألياف الكربون وفي كل منهما خمس أصابع. وانحدرت ساقان مغزولتان من خيوط الكربون نحو قدمين مستندتين إلى دوّاسات الأرغن.

Photos: Fuji Kogei

هذه الآلة التي يتحكم بها دماغ الكتروني يمكنها أن تقرأ النوطات الموسيقية وتوجه القدمين لتعزفا ألحاناً مختلفة.

ويصرح كاتو باعتزاز أبوي: "لدى وابوط - ١ معدل ذكاء مساو لمعدل ذكاء طفل عمره سنة ونصف سنة. أما وابوط - ٢ فهو أكثر نباهة وله معدل ذكاء طفل في الخامسة من عمره."

وربوطات كاتو ليست تحفاً للعرض فحسب. فاليد الربوطية بأجهزة الاحساس على رؤوس اصابعها أصبحت مجسّاً لسرطان الثدي، ويمكنها استكشاف الأورام واستقراء حجمها وموقعها. وفيما كاتو يعمل على صنع ربوط سيّار ابتكر ساقاً اصطناعية ذات حركات قدم وكاحل ومزودة محركاً صغيراً مبيّتاً، وهي تتحرك على نحو أفضل من الارجل الاصطناعية النموذجية. وثمة دماغ الكتروني صغير (٥) يعلق بالحزام ويعمل بقطب كهربائي مثبت بشريط الى الساق، يتلقى إشارات بالمشي من عضلات الساق فيوجه حركة الربوط.

عشرون سنة من العمل على الربوط المنشود علمت كاتو أن محاكاة الجسم البشري مشروع يوقع في النفس رهبة. ويبدو أن البحث والتنقيب سيشغلانه طوال ما تبقى من مستقبله المهني. وبحسب قوله: "الربوط مجرد مسألة هندسية، أما الانسان فهو عالم عجيب."

(٥) Microcomputer

دوغلاس كوليغان ■

زبائن آخر ساعة

الساعة العاشرة مساء اذاع مدير متجرنا عبر مكبر الصوت ان المتجر سيغلق ابوابه، راجياً الزبائن ان يهرعوا الى الصندوق كي يدفعوا ويغادروا المكان. وفي العاشرة والثلث بقي عدد من المتوانين، فأذاع المدير مرة أخرى: "أرجو الانتباه! حضرة المتسوقين، ان متجرنا مغلق الآن. فاذا كنتم لا تزالون في الداخل، فثمة تجهيزات للنوم في المقصورة الخلفية. شكراً لكم وعمتم مساء."

وعلى الأثر هرع المتأخرون الى الصندوق.

ك.ر.

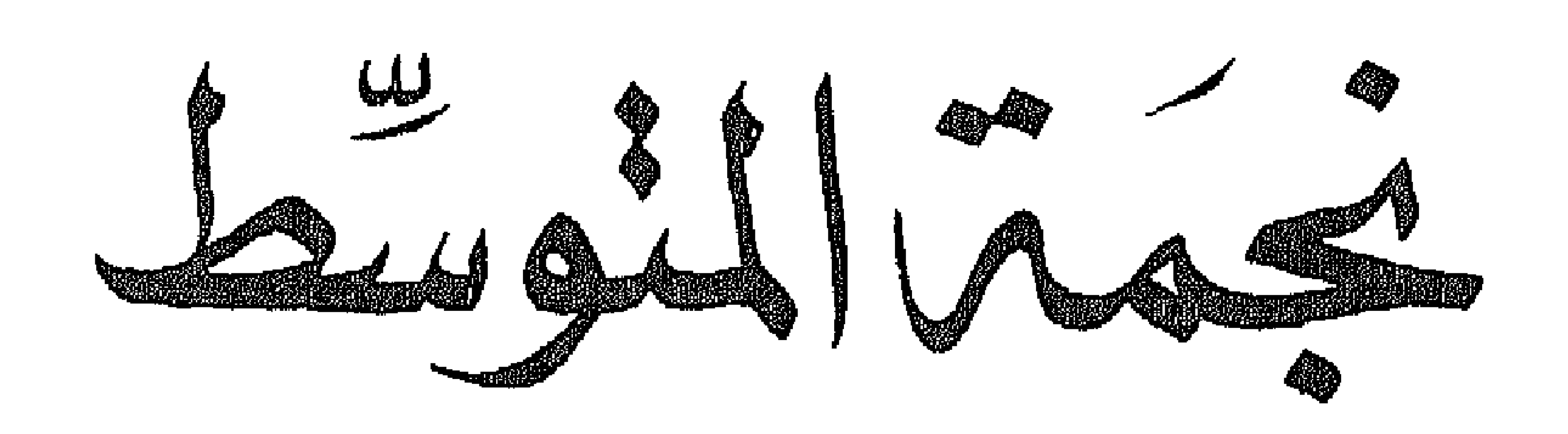
قضية مزارعين

استدعي مزارع للادلاء بشهادته في دعوى قدح وذم، طرفاها اثنان من جيرانه. وبادره المحامي: "أعد علي الحديث بدقائقه."

فرد الشاهد: "لا أتذكره كله، ولكن يمكنني ان اقول لك ان كلا منهما كان ينادي الآخر بأوصاف تنطبق عليهما سوية."

ل.و.

مزقتها النزاعات وقطعتها شطرين
فلم تستسلم وأظهر شعبها جدارة بازدهار ملفت

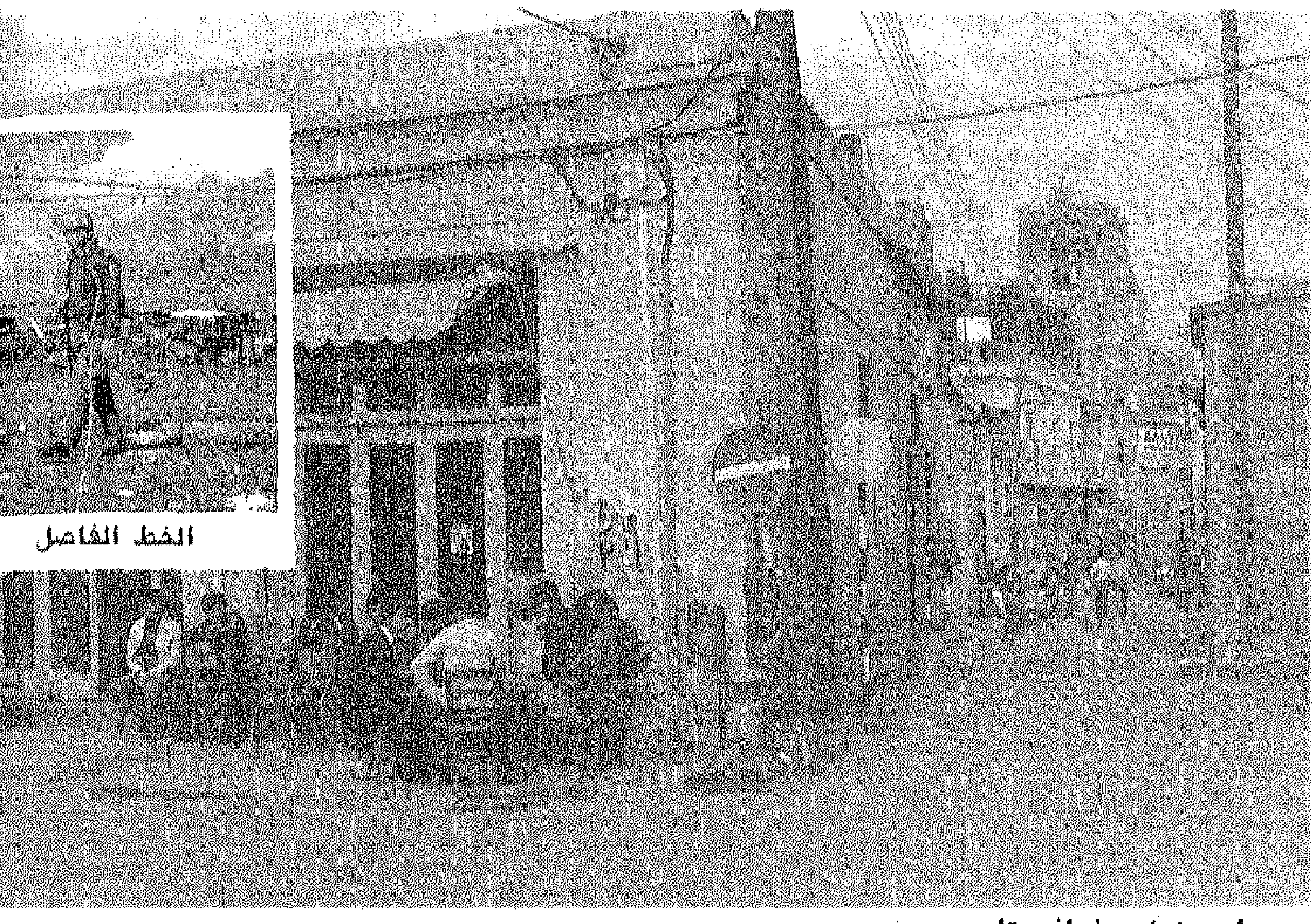


قبل أكثر من عقد كانت ليماسول بلدة فيها مرفأ قديم وتعرف في الدرجة الاولى بمصانع الشراب وبالمهرجانات التي تقام فيها . أما اليوم فان هذه المدينة الكبيرة التي تقع على الشاطىء الجنوبي لجزيرة قبرص هي "غابة" من الفنادق والمساكن الفخمة وأبنية المكاتب، وخليجها الرائع واحد من اكثر المرافىء ازدهاراً في شرق البحر الأبيض المتوسط. وسيارات الليموزين تندفع في جاداتها العريضة وتمر أمام المتنزهات والمطاعم والمقاهي ومراكز التسلية الناشطة. ومتاجرها الانيقة تعرض أزياء اشهر المصممين من باريس وميلانو.

وليماسول التي ارتقت من حال الفقر الى حال الغنى، هي نموذج لقصة نجاح قبرص. فقبل سنوات عمّت النزاعات بين الفئتين اليونانية والتركية في هذه الجزيرة التي تبلغ مساحتها ٩٢٥١ كيلومتراً مربعاً . فكل فئة فضلت أن تعتبر نفسها يونانية أو تركية أولا، ثم قبرصية. والقبارصة اليونانيون أرادوا الاتحاد مع اليونان، في حين طالب القبارصة الأتراك بتقسيم الجزيرة ديموقراطياً، في حال اصرار الفريق الآخر على موقفه.

وفي العام ١٩٦٠ عمدت حكومة لندن الى منح قبرص استقلالها من خلال اتفاق ثلاثي ضمنت فيه كل من بريطانيا واليونان وتركيا سيادة الجمهورية الجديدة ووحدتها الاقليمية. ونص الدستور على ضمان حقوق الفئتين، وأبقت بريطانيا على قاعدتيها العسكريتين في الجزيرة. غير أن استمرار الخلافات بين القبارصة اليونانيين والاتراك تطور الى أعمال عنف، مما حدا بالامم المتحدة في العام ١٩٦٤ الى ارسال قوة لحفظ السلام تفصل بين الفئتين المتحاربتين. وهكذا عاشت قبرص في الخطر حتى ١٥ يوليو (تموز) ١٩٧٤ حين أطاح ضباط يونانيون في الحرس الوطني رئيس الجمهورية الاسقف مكاريوس الثالث. وكان أولئك الضباط من أنصار الاتحاد مع اليونان.

بعد خمسة أيام من الانقلاب دخلت قوات تركية قبرص بغية حماية القبارصة الاتراك، وبسطت سلطتها على ٣٨ في


الخط الفاصل

أحد شوارع فماغوستا.

المئة من الارض في الشمال، وهي المنطقة الاكثر ازدهاراً في الجزيرة. ويضم ذلك الجزء معظم بساتين الليمون والمصانع والثروات المعدنية، إضافة الى مرفأ فماغوستا العميق ومنتجعات السياح في الساحل الشمالي وثلاثة أرباع فنادق البلاد. وبلغ عدد القبارصة اليونانيين الشماليين الذين نزحوا عن هذه المناطق واصبحوا بلا مأوى ولا مال ولا عمل، نحو مئتي الف. وتوجه هؤلاء جنوباً الى المنطقة المعترف بها حالياً بأنها "جمهورية قبرص"، في حين انتقل ٤٥ ألف قبرصي تركي الى شمال الجزيرة.

ومنذ ذلك الحين أصبحت قبرص أرضاً مقسّمة، فانفصلت الفئتان – اليونانية (٥٣٢ ألفاً) والتركية (١٢٤ ألفاً) – وشكّل خط بطول ٢١٧ كيلومتراً عازلا بينهما وأقيمت عليه مراكز للمراقبة "تقطع" الجزيرة الضيقة من الغرب الى الشرق مروراً بوسط العاصمة نيقوسيا.

ومراكز المراقبة هذه مزوّدة قرابة ٢٣٠٠ رجل من قوات الامم المتحدة يقفون بين عناصر الجيش التركي الذي يبلغ عديدهم ٣٣ ألفاً والحرس الوطني القبرصي الذي يبلغ عديده ١٠ آلاف. وعملياً، ليس ثمة اتصال بين الجانبين.

قصص نجاح – اليوم، بعد اكثر من عقد على التقسيم، تنعم قبرص اليونانية بفترة من الازدهار. ومعظم العائلات التي نزحت من الشمال والتي بلغ عددها ٤٩ ألفاً، تأمّن إسكانها. ويقول روبرتو دي

Photo (Inset): Fotogram / Focus



Courtesy of the Cyprus Tourist Office, Paris

ليماسول مدينة مزدهرة وأحد أكثر المرافىء انشغالا في شرق البحر الابيض المتوسط.

أوكامبو من البنك الدولي، وهو خبير بشؤون قبرص: "كانت المهمة تتطلب إعادة بناء شاملة، وأظهر القبارصة كفاية ناسبت خطورة الحدث."

أندرياس باتسيليدس الذي كان وزيراً للمال وقتذاك، باشر في أواخر العام ١٩٧٤ تنفيذ المهمة الجبارة التي تقضي باحياء الاقتصاد القبرصي. وهو يذكر: "ما يزيد على ثلث القبارصة اليونانيين كانوا لاجئين، وبلغت نسبة البطالة ٣٥ في المئة، كما تفشى الفقر الى حد كبير. لذلك عمدت الحكومة الى مصادرة الابنية العامة والمسارح والمدارس ومراكز الترفيه وقرابة ٧٥٠٠ مسكن مهجور كان يقيم فيها أتراك، بهدف اسكان النازحين. والى ذلك شرعت الحكومة في تنفيذ برنامج واسع لبناء ٣٠ ألف وحدة سكنية مجانية.

ومن بين ٥٠ ألف عاطل عن العمل أعطي الذين كانوا أصحاب مصانع وحرفيين ومزارعين وصيادي سمك قروضاً طويلة الأجل من دون فائدة او بفائدة متدنية، بغية الانطلاق بعملهم من جديد. وبنهاية العام ١٩٧٦ كان الانتاج بدأ في ٢٠٨ مصانع ومشاغل وبات يعمل فيها ٢٨١٤ شخصاً. وعكف ما يزيد على ٧٠٠٠ مزارع على العمل في أراض منحتهم اياها الحكومة. وانهمك ٤٠٠ نازح في الصيد قبالة الشاطىء الجنوبي بعدما اعطتهم الحكومة قوارب وشبكات. وبذلك انخفضت نسبة البطالة في صفوف النازحين اكثرمن الثلث في السنة الاولى.

أحد النازحين، ويدعى ايفيلتون جورجيادس، خسر مصنع الثياب الذي كان يملكه في نيقوسيا. فاقترض مبلغاً صغيراً واستعار مشغلا وبدأ العمل بمساعدة اثني عشر من عماله السابقين. وهكذا أخذ ينتج أزياء جديدة وسافر في زيارات عمل الى أوروبا غير مرة. وبناء على الطلبات التي تقدم بها زبائنه منحه مصرف قرضاً سمح له بشراء مشغل مع آلاته. واليوم يملك جورجيادس ثلاثة مشاغل يعمل فيها ٣٥٠ شخصاً، ويبلغ دخله السنوي خمسة ملايين دولار. ولديه سوق لمنتجاته تمتد من بلدان الخليج العربي الى بريطانيا وفرنسا وألمانيا.

وفي حين كانت قبرص تخطو خطوتها الاولى نحو التعافي بدأت الاحداث في لبنان الذي يبعد عنها حوالى ٢١٥ كيلومتراً. وتجاوز عدد اللبنانيين الذين توجهوا الى قبرص في العام ١٩٧٦، الـ٧٥ ألفاً، فعززوا الاقتصاد القبرصي من خلال الاموال التي صرفوها، كما نقلوا الى الجزيرة بعض الاعمال التي كانت بيروت مقرّها التقليدي. وثمة شركات اجنبية نقلت مكاتبها الاقليمية موقتاً من بيروت الى قبرص، لكنها سرعان ما استقرت هناك.

وفي غضون سنتين (١٩٧٤ - ١٩٧٦) استثمرت قبرص ١٣٠ مليون دولار في مشاريع انمائية. وعمد مقرضون دوليون الى منحها أفضل الاعتمادات الائتمانية في العالم النامي، وخصصوا لها قروضاً بين ١٩٧٤ و١٩٨٣ قاربت مليار دولار.

ويقول أفستنس أفسنتيو حاكم البنك المركزي في قبرص: "لقد انفتحت أبواب المساعدات، فتدفقت رؤوس الاموال من جميع الجهات."

وبما أن مطار قبرص الدولي يقع في المنطقة الفاصلة بين الفئتين المتنازعتين، فقد بني مطار جديد في لارنكا. كذلك جرى العمل على تعميق ميناءي ليماسول ولارنكا. وشيدت محطة ارضية جديدة للاتصال عبر قمر اصطناعي، اضافة الى كابل بحري يربط قبرص باليونان، الامر الذي يوفر وسائل حديثة للاتصالات البعيدة. وقد بدىء العمل في شق طريق عامة بين نيقوسيا وليماسول يبلغ طولها ٧٥ كيلومتراً وكلفتها ٤٠ مليون دولار.

ازدهار اقتصادي - الاستثمارات الاخرى كانت في مجال السياحة. فمن شواطىء بافوس الجميلة الناعمة باشعة الشمس غرباً الى كايب غريكو شرقاً، انهمك ألوف عمال البناء في تشييد الفنادق والقرى السياحية والدارات الفخمة والمساكن. أما آيانابا فهي قرية صغيرة لصيد السمك في كايب غريكو، وهي الآن من أكثر المناطق جذباً للسياح. فشواطئها تعمر بالسابحين طوال السنة، يأتونها من البلدان الاسكندينافية الباردة ومن ألمانيا وبريطانيا وفرنسا. وفي بافوس التي كانت يوماً ميناء هادئاً انشىء مطار دولي ثان كلّف ١٥ مليون دولار، وهو ينقل السياح في رحلات مباشرة من أوروبا واليها.

وفي حين تبقى السياحة المورد الاول للعملة الاجنبية في قبرص (٤٠٠ مليون دولار في العام ١٩٨٤) عاد اهتمام

القبارصة يتركز على الزراعة. فقد عمدت الحكومة الى توطين المزارعين النازحين من الشمال في الاراضي التي كان يملكها القبارصة الاتراك في الجنوب. ونشطت في سبيل تنفيذ مشروع للري تبلغ كلفته ٥٠٠ مليون دولار. كذلك تم بناء ثلاثة سدود مما سمح بزيادة الاراضي الصالحة للزراعة ٦٥٠٠ هكتار. اما السدود التي هي قيد البناء فستسمح بزيادة تلك الاراضي ١٣ الف هكتار في العام ١٩٨٨. كما ان ما يزيد على ٥٠٠ مزارع منحوا قروضاً بنحو مليون دولار لبناء مستنبتات زجاجية لزراعة الخضر. والمهندسون الزراعيون من جهتهم بدأوا يعملون على تحسين المحاصيل وتنميتها خصوصاً الافوكادو والهليون والكيوي والمنغا. وقد باعت قبرص مئة طن من ثمار الافوكادو الى اوروبا في العام ١٩٨٤. وفي ١٩٨٥ بلغت قيمة صادراتها من الافوكادو ١٤٠ مليون دولار، اي ضعفي ما كانت تصدره الجزيرة كلها قبل عقد.

وأدرك القبارصة ان جزيرتهم يمكن ان تكون مركزاً لشركات اجنبية، فعملوا على جذبها. والشركات الاجنبية التي اتخذت من قبرص مقراً بهدف القيام بأعمال خارج الجزيرة تدفع نسبة ٤،٢٥ في المئة ضريبة على أرباحها، وتتمتع بامتيازات، منها شراء سياراتها ولوازم مكاتبها من دون ضريبة وخفض ضريبة الدخل الى النصف على موظفيها الاجانب الذين يعيشون في الجزيرة. كما أن المصارف الاجنبية تتمتع بسرية تشبه سرية المصارف السويسرية، والمعامل التي تصنع منتجات جديدة بمساعدة أجنبية تتمتع أيضاً باعفاء من دفع الضرائب على مدى عشر سنين.

واليوم ثمة ٣٥٠٠ شركة أجنبية تعمل في قبرص، بما فيها ٦٥٠ اتخذت هناك مقراً دائماً لها. وفي العام ١٩٨٥ بلغت الارباح التي جنتها الجزيرة من صرف العملات الاجنبية والضرائب التي دفعتها هذه الشركات ٤٥ مليون دولار.

وازداد عدد السكان القبارصة اليونانيين في نيقوسيا بمقدار النصف في غضون العقد الماضي ليتعدى الـ١٥٠ الف نسمة. وتعمل الشركات الغربية جنباً الى جنب مع المصارف الآسيوية وشركات التجارة العربية. احدى الشركات الشرق الاوسطية اقامت في قبرص مركزاً للدماغ الالكتروني والتسويق بلغت كلفته ٣،٥ مليون دولار، كما انتقلت شركات للملاحة الى الجزيرة، ومنذ العام ١٩٧٤ زاد مجمل حمولة السفن المسجلة في قبرص أكثر من الضعفين.

العمل ينسي - أما في المناطق الواقعة شمال الخط الذي يقسم الجزيرة فالأمر مختلف تماماً. فالجزء من نيقوسيا الذي يحكمه القبارصة الأتراك لا يزال يتخذ اقتصاد سوق البازار الشرقية. شوارعه ملأى بالمحلات المكتظة بكل شيء. والنهضة العمرانية شبه الوحيدة هي مجمّع من المنازل قيد الانشاء شمال المدينة معدّ للتأجير ببدل منخفض.

ويملك القبارصة الاتراك أفضل أراضي الجزيرة، لكنهم لا يفيدون منها كما ينبغي. والسبب الرئيسي هو ان العالم يعترف بـ"قبرص اليونانية" التي تقع

في الجنوب في حين لم تعترف بدولة "قبرص التركية" الا تركيا. ونتيجة ذلك استطاع القبارصة اليونانيون منع صادرات الشمال من دخول اسواق كثيرة. كما ان شركات الملاحة الكبرى لا تؤم مرفأ فماغوستا الشمالي لأن القبارصة اليونانيين يهددونها باتخاذ اجراءات ضدها.

ومطار إركان الشمالي لم يعترف به رسمياً كمطار دولي، لذلك لا تعتمده شركات الطيران.

وعلى رغم أن القبارصة الاتراك استطاعوا التغلب جزئياً على هذه المصاعب من طريق نقل صادراتهم عبر تركيا، فان الشمال لم يصدّر في العام ١٩٨٤ بأكثر من ٤٠ مليون دولار. والسياحة أيضاً ضعيفة هناك، مع ان اجمل شواطىء قبرص تقع في الشمال، لكن الفنادق والمطاعم تكاد لا تغطي مصاريفها. وهناك ١٠٠ ألف سائح يزورون القطاع التركي سنوياً، يأتي اربعة أخماسهم من تركيا ولا يحضرون معهم عملات أجنبية. وتبقى المساعدة التركية التي بلغت ذروتها منذ العام ١٩٧٤ ووصلت الى ٣٠٠ مليون دولار، ضرورية لبقاء هذه الفئة القبرصية.

ولقد بذلت جهود حثيثة من أجل حل المشكلة القبرصية. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ اجتمع الرئيس القبرصي سبيروس كبريانو مع رؤوف دنكطاش زعيم القبارصة الاتراك في مقر الأمم المتحدة في نيويورك. وكان هذا اللقاء الاول بينهما منذ خمس سنوات. وقد اخفقا في التوصل الى اتفاق حول مستقبل الجزيرة، فانتخب دنكطاش في يونيو (حزيران) ١٩٨٥ اول رئيس لـ"جمهورية شمال قبرص التركية." ولكن على رغم "الممارسات غير الحكيمة من الجانبين، تواصل المفاوضات على مستوى الامم المتحدة املا بالتوصل الى تسوية عادلة.

وحتى يحين موعد التسوية تبقى على كاهل شعب هذه الجزيرة مهمة بنائها. أحد السياسيين سأل قبرصياً يونانياً خسر كل أملاكه إبان الغزو التركي: "هل تشعر بمرارة؟" فتساءل الرجل:"مرارة؟ انني مشغول جداً، فكيف اشعر بمرارة؟"

بول مارتن ■

الآلة الطابخة

منذ سنوات اقتصر عملي على كتابة القصص القصيرة في البيت وارسالها الى الصحف او دور النشر. لذلك أحشر اعمالي المنزلية الرتيبة بين واجباتي الكتابية. ولا أخرج بأفضل النتائج دائماً.

وذات يوم سمعت أولادي مصادفة يتحدثون لدى عودتهم من المدرسة. تأوه أحدهم: "أكاد أموت جوعاً، أرجو ان يكون هناك طعام شهي للغداء."

فرد أخوه: "لنرَ، أتشم رائحة في الفرن أم تسمع صوت الآلة الكاتبة؟"

غ.م.٠





□ البيت مكان تكبر فيه متمنياً أن تغادره، ثم تتقدم في العمر فتشتاق للرجوع اليه.

جون إد بيرس

□ في زمن التغيير الشامل يرث طلاب العلم المستقبل. أما العلماء فيجدون أنفسهم مؤهلين للعيش في عالم لم يبق له وجود.

اريك هوفر

□ نفاد الصبر فضيلة حين تمارسه على نفسك.

رود ماكوين

□ ليس أدعى الى السرور والبهجة من رؤية أحفادك يتعاركون في حضنك.

دوغ لارسن

□ الاغراءات، خلافاً للفرص، تتيح لك دوماً حظوظاً أخرى.

أ. باتيستا

□ أصعب الأمور أن تكون ملماً بعمل ما وتراقب سواك ينجزه على نحو خاطىء، من دون أن تبدي تعليقاً.

تيودور وايت

□ الزواج السعيد محادثة طويلة تبدو دائماً قصيرة جداً.

أندريه موروا، كاتب فرنسي

□ أحياناً ننكر استحقاقنا الاطراء أملا باثارة مناظرة تسرّنا خسارتها.

كولن هايتاور

□ يمكنك معرفة صلاح أبوتك عندما ترى انجازات أولادك تفوق انجازاتك.

توم هاغاي





قصة مُغامر في عالم الطيران

عشق الطيران منذ حداثته. وحين شبَّ أسس شركة باتت أنجح الخطوط الجوية الاقليمية في أوروبا

كان موريتز سوتر (١٢ عاماً) يعتبر المطار الصغير بالقرب من بال المكان الاكثر اثارة في العالم. وقد دأب على تمضية كل دقيقة فراغ وهو يراقب الطائرات محتفظاً باحصاءاته الخاصة عن المسافرين وخطوط الرحلات. وكان يعلم اذا ما تأخرت رحلة دقيقة واحدة عن موعدها، ويحتفظ حسب زعمه باحصاءات خاصة ادق من احصاءات خبراء المطار. وفي الليل كان ينسل من غرفته ويمتطي دراجة توصله الى المطار كي يتحقق من الرحلات المتأخرة. وقد بلغ به الامر ان انطلق بالسرعة القصوى على دراجته الهوائية مدة ست ساعات الى زوريخ حيث سمع أن طائرة جديدة ستحط.

سوتر اليوم في الثالثة والأربعين رائد في دنيا شركات الطيران الاقليمية المتنامية بسرعة في أوروبا. غير أن رئيس "كروس آر" هو في الجوهر نسخة عن ذلك الصبي: شخص عاقد العزم مسكون بالتفاصيل مغامر جسور يهوى الطائرات. مئة طيار يقودون اسطوله

Illustration: Martin Eberhard

الذي يقل ما يناهز ٣٥٠ ألف راكب سنوياً ويدر مداخيل تزيد على ٨٠ مليون فرنك سويسري.

كان سوتر في الوقت والمكان المناسبين ليشهد الفرص تسنح لمن يرغب في ركوب الاخطار. وتأثر برواية "الامير الصغير" لانطوان دي سان اكزبري، وهي قصة طيار يصادف عوالم آسرة، فحصل على رخصة الطيران وهو في مدرسة داخلية. وبعد اتمام تدريبه طياراً انضم الى الخطوط الجوية السويسرية (١) وطار الى مدن أوروبية ومن ثم الى افريقيا والشرقين الأقصى والأوسط قبل أن يعود إلى الخطوط الأوروبية كربان على متن طائرة من طراز "دوغلاس دي سي ٩". وكان يبقى في هذه الطائرة التي تتسع لـ١٢٠ راكباً بضعة مقاعد شاغرة، فأحس سوتر بوجوب خدمة المناطق الاوروبية بطائرات أصغر حجماً.

أربع طائرات – عام ١٩٧٥ أسس سوتر شركة طيران بالاجرة اسمها "طيران بال للأعمال" (٢) تؤجر طائراتها للطيارين الذين يعملون لحسابهم الخاص، وكانت هيئة الموظفين مؤلفة من سوتر وزوجته بريجيت. وحسبما تستذكر بريجيت: "كان لدينا هاتفان في البيت، أحدهما هاتف الشركة. ولعل رجال الأعمال الذين كانوا يتصلون بذلك الرقم ظنوا أنهم يكالمون مكتباً كبيراً."

لم يستطع سوتر أن يتخلّى عن وظيفته في الخطوط السويسرية، لذا استمر في الطيران وأخذ ينمي شركته الخاصة على هامش عمله. لكنه هدف الى ادارة شركة طيران محلية تقدم أسعاراً مخفوضة، لا إلى تقديم خدمات "تاكسي".

وفي السبعينات عمدت خطوط النقل الجوي الرئيسية الى استعمال طائرات اكبر حجماً وتتسع لعدد أكبر من المسافرين لتعويض الأكلاف المتزايدة. وتركزت الرحلات على النقاط المركزية مثل لندن وفرانكفورت وباريس وزوريخ، وفقدت المدن الأصغر خطوط الاتصال الجوي التي قلصت إلى حد كبير. وفي الوقت نفسه أضحت المطارات الكبيرة أضخم واكثر ازدحاماً وبات تجاوزها أكثر صعوبة.

كان سوتر مقتنعاً بأن رجال الأعمال ما زالوا يودون السفر الى حيث مواعيدهم على بعد بضع مئات من الكيلومترات ويعودون بعدها ليغفوا في أسرّتهم ليلا. ثم ان الخطوط الاقليمية تصل المناطق الجانبية بالمطارات الكبيرة وتربط بين المراكز الصغيرة.

غير ان الحكومات الأوروبية اتخذت تدابير لحماية مصالح شركاتها الوطنية بشبكة معقدة من الاتفاقات الثنائية التي سطرت لابعاد المنافسة غير المرغوب فيها.

ولا شك في أن الرسوم المرتفعة الثمن للطيران هي في مصلحة شركات النقل الضخمة. ومنذ العام ١٩٧٨ أفلست ٣٧ شركة أوروبية صغيرة بينها شركتان سويسريتان.

ولا ننسَ صعوبة فتح اعتماد مالي لمشاريع جزافية في أوروبا. وقد استنتج

---

(١) Swissair

(٢) Business Flyers Basel AG

سوتر أن أي شركة طيران سويسرية صغيرة لا يمكن أن تعمل إلا بمساندة الشركة الوطنية. وفي يونيو (حزيران) ١٩٧٨ قدم خططاً جاهزة وتحليلات مالية ودراسات تسويق الى رؤسائه. وفي تقديره انه اذا ما ساهمت شركة الخطوط السويسرية بأربعين في المئة من ملكية شركته فان لديه أصدقاء جاهزين لامداده برأس المال المتبقي.

وتلت ذلك أشهر انتظار فيما مديرو الشركة يناقشون الاقتراح. ولما كان سوتر على ثقة بأن الرد سيكون ايجاباً فانه اختار عقوداً لشراء أربع طائرات بمحركين بـ١٢،٧ مليون فرنك.

ربان مضيف – قبيل عيد الميلاد اقترحت الخطوط السويسرية اتفاقاً مبدئياً. واذ لم يكن لدى سوتر وقت يضيعه، فالخيارات ينتهي أجلها في نهاية السنة، فانه استقل الطائرة الاولى الى مصنع فيرتشايلد بولاية تكساس حيث تصنع تلك الطائرات. وهو يذكر: "كان لكل سنت حسابه." واذ عزم على الحصول على حسم خمسة في المئة على السعر المعلن، وازاء رفض أصحاب المصنع القبول، قرر أن ينسحب آملا أن يستوقفوه. وهم فعلوا ذلك حقاً. ويقول سوتر: "كانت لحظة عظيمة حين اندفعوا نحوي على المدرج. وعقد الاتفاق في الممر داخل الطائرة التي ركبتها للعودة الى البيت."

وبعد شهرين أبلغ الى سوتر أن الخطوط السويسرية قررت ألا تساهم في المشروع. وهو يقول: "ينتابك ارتكاس في أوقات كهذه، لقد ضحكت." لكنه تعهد شراء الطائرات وكان لديه اكثر من ٢٠ موظفاً في إمرته، واحتاج إلى أربعة ملايين فرنك. ويضيف: "بخروج الخطوط السويسرية من المشروع رحت أجوب المناطق كبائع متجول محاولا أن أجتذب أي شخص ليشتري حصة في الشركة."

وأعانه أصدقاؤه، فباع أحدهم بيتاً ليقرضه بعض المال. واستهوت بعضهم فكرة مساعدة الشاب أو المشاركة في مغامرة جوية. وتم جمع المال بجهد كبير وفي ٢٣ مايو (أيار) كان المبلغ حاضراً.

في ٢ يوليو (تموز) ١٩٧٩ أقلعت أولى طائرات "كروس آر" بأبدانها البراقة المزركشة باللونين الأبيض والأحمر، انطلاقاً من زوريخ في اتجاه نورمبرغ بألمانيا الغربية وكلاغنفورت وانسبروك بالنمسا. وتدريجاً أضيفت خطوط في كل من لوكسمبور وهولندا وبلجيكا وايطاليا.

كانت كل محطة جديدة تشكل معركة رابحة. وكشفت دراسات التسويق المفصّلة ثغرات لم تستطع شركات الطيران الكبيرة سدها أو لم تشأ ذلك. وحين خشيت الشركات في البلدان المجاورة أن تفقدها انطلاقة الشركة السويسرية الصغيرة ركاباً، حرّك سوتر رجال الأعمال المحليين الذين رأوا أن شركات الطيران الضخمة لم تقدم اليهم خدمات وافية. وغمر هؤلاء السلطات بفيض من الرسائل الداعمة لموقف سوتر.

وذاع الخبر أن "كروس آر" شركة ذات جودة وتقدم خدمات شخصية. ولم تكن هناك مضيفات على طائراتها، لكن الربان كان يقف عند المدرج محيياً المسافرين،

وقبل الاقلاع يقدم وجبات خفيفة لذيذة المذاق وشراباً سائغاً.

ودعي الركاب الى زيارة ركن الطيار حيث الباب مفتوح دوماً.

أبطال العالم – بحلول العام ١٩٨١ كان العمل جيداً في خطي هانوفر ونورمبرغ مما حدا الخطوط السويسرية وشركة "لوفتهانزا" على مراقبتهما بدقة. وأشارت الخطوط السويسرية إلى أن شركة الطيران الوطنية بموجب قانون الطيران المدني السويسري، لها الحق بامتلاك الخطين لخدمة "المصلحة العامة".

لكن هذين الخطين كانا أربح خطوط النقل لدى سوتر، ولم يكن يقوى على خسارتهما. لذا وضع خطة ناجحة أقنعت السلطات الأجنبية بمنح شركته امتيازات. وهو لم يكتف هذه المرة بتأليب رجال الاعمال، بل ألب الرأي العام السويسري بأسره. وبدت الخطوط السويسرية كأنها مارد شرير يسعى الى الاقتصاص من البطل الشاطر.

ودعت سلطات الملاحة الجوية في سويسرا، على كره منها، إلى اجتماع بين رئيس الخطوط السويسرية وسوتر الذي كان لا يزال طياراً في الشركة. واخبر وزير النقل الرجلين بعبارات لا يشوبها لبس ان عليهما التوصل الى حل وسط.

وعلى الأثر خسر سوتر خطي نورمبرغ وهانوفر. لكنه في المقابل عاد باسم الثغر بخطوط بديلة إلى بروكسيل وفيينا وستراسبور. وفي سويسرا حاز خطوطاً فرعية من بال إلى زوريخ وجنيف.

وحصل على امتياز كبير باستمرار نفاذ الاتفاق المعقود مع الخطوط السويسرية حول نظام الحجز الدولي. وكثمن مقابل وافق على الحد من طموحاته، فحصر مقاعد طائراته بأربعين كحد أقصى.

وشعر سوتر بالاطمئنان الكافي للتخلي عن وظيفته في الخطوط السويسرية مكرساً نفسه لمؤسسته الخاصة. وفيما تابعت "كروس آر" توسعها أضحى سوتر يحتاج إلى طائرات ذوات سعة اكبر. وفي خطوة جريئة وقع عقداً بشراء عشر طائرات من طراز "ساب – فيرتشايلد ٣٤٠" (٣) بمئة مليون فرنك.

عام ١٩٨٤ وصلت الدفعة الاولى من الطائرات، وكأنها لم تصل إلا لتبرز مشاكل الطائرة الجديدة. فقد أدت اعطال المحركات إلى هبوط مكلف فيما تعقب الصانع السبب. وتعين استئجار طائرات من شركات أخرى لملء جداول الرحلات. غير أن فريق "كروس آر" بذل جهوداً مذهلة لتجاوز الصعوبات. ويعلن سوتر: "أصبحنا أبطال العالم في تغيير المحركات." وفي الآن نفسه أجرى سوتر ترتيبات مع أصحاب المصانع أبقت خسائر "كروس آر" في حدها الأدنى. وعلى رغم هذه النكسة زادت أرباح الشركة عام ١٩٨٤ ٦٣ في المئة عن أرباح السنة السابقة، وبلغت الزيادة في عدد المسافرين ٣٥ في المئة وفي الحمولة ٥٨ في المئة.

الى ما وراء الحدود – عمل طيارو "كروس آر" بجهد اكبر ولوقت أطول من

(٣) SAAB-Fairchild 340 City liners

زملائهم في شركات الطيران الأخرى. ولم يتقاضَ أعضاء مجلس الادارة أتعابهم لسنوات. ويبرر سوتر ذلك بقوله: "لا يستطيع المرء دفع ما لا يقدر عليه. ثمة شعور ودي يسود هذه الارجاء." وقبل زمن غير بعيد أشاع أنه حض موظفي الصيانة على تنظيف الأسطول دورياً. وأمضى الطيارون والموظفون عطلة أحد الاعياد وهم ينظفون الطائرات ويصقلونها.

ويقول مدير الرحلات في الشركة: "سوتر مدير غير عادي ذو إقدام ويتسم بقوة دافعة وشجاعة. إنه يبذل جهده ليستوثق من عدم صرف أحد الموظفين. ونحن في "كروس آر" ندرك أن لكل فرد أثره. ولا نستطيع الاستمرار الا اذا كسبنا مبالغ أقل وعملنا بجد اكثر من الشركات الكبيرة."

"كروس آر" ذات سجل سلامة لا تشوبه شائبة. وهي توظف ٢٥٠ شخصاً. صحيح انها ليست كبرى شركات الطيران الاقليمية في أوروبا، لكن موهبتها في حل المعضلات تجعلها متميزة. إن الطائرات الاكبر حجماً هي لبلدان أكثر سكاناً وأكبر مساحة. أما الرحلات الداخلية لشركة "كروس آر" فمحدودة. انها تصل بين خمس مدن فقط تتباعد مسافة تراوح بين ٨٠ و٣٣٠ كيلومتراً.

إن الانطلاق الى ما وراء الحدود ضرورة. وسوتر يؤيد التجارة الحرة. ولدعم حقوق الطائرات الوطنية شارك في تأسيس منظمة الشركات الاقليمية الاوروبية للطيران ومقرها جنيف.

وعبر السنين نمت العلاقات مع الخطوط السويسرية على نحو مرض. ويؤكد موريتز سوتر أن "التعاون مع الشركة الوطنية سيكون له دور مهم في مستقبل كروس آر."

من المكتب الجوي في مطار زوريخ يرقب الرجل المربوع بعينين ضاحكتين طائراته المصفوفة وقد تهيأت للاقلاع في اتجاه أي من المحطات السبع عشرة في ثمانية بلدان. ويرن جرس الهاتف باستمرار في المكتب، ويكون المتكلم في الغالب رجل أعمال أجنبياً يطلب خطاً جوياً يوصله إلى بلدته.

كانت "كروس آر" الشركة الاوروبية الاولى التي تفوز بالجائزة السنوية لشركات الطيران الامريكية الاقليمية. وبعد تسليم الجائزة ذكرت مجلة "دنيا النقل الجوي" الصادرة في العاصمة واشنطن أن "صيغة خدمات كروس آر تم تطويرها وسط ظروف ظنتها السلطات الاوروبية داعية الى الاخفاق. لقد تحدى مؤسسها ورئيسها موريتز سوتر ذريعة الحماية التي أجهضت محاولات الشركات الأخرى لتأدية دور مهم في نظام الطيران الأوروبي."

مرغريت ستودر ■

الفضول غريزة لا حدود لنطاقها. فهو، من ناحية، يدفع المرء الى التنصت خلف الأبواب الموصدة، ومن ناحية أخرى يقوده الى اكتشاف أمريكا.

خ.ك.

سَرَطانُ الثَّدْيِ: الجراحة لَمْ تَعُدْ العِلاجَ الأَمْثَلَ

واحدة من كل ١٤ امرأة تصاب بسرطان الثدي. وما زالت غالبية المصابات يخضعن لجراحة استئصال الثدي. لكن أساليب طبية جديدة تعتمد اليوم وتهدف الى الشفاء التام مع إبقاء الثدي سليماً

ايلين س. كاتبة فرنسية في الثالثة والاربعين من عمرها، بينما كانت تستحم ذات يوم من ربيع ١٩٨٢ اكتشفت ورماً في صدرها. وتقول: "لم يصب أي من أفراد عائلتي بالسرطان من قبل. لذلك خلت أن الورم ليس إلا كييساً." أما طبيبها فقد وصف الورم بأنه دهني غير خطر.

ولكن بعد مضي شهرين بات في امكان ايلين رؤية انتفاخ في صدرها لدى وقوفها أمام المرآة. لذلك ذهبت الى اختصاصي بأمراض الثدي فاكتشف أن الورم هو من النوع الخبيث. وأخبرها الطبيب: "في امكاننا شفؤك، لكنك ستخسرين ثديك."

وتتذكر ايلين: "بدت فكرة استئصال الثدي رهيبة." وبعدما درست وزوجها الأمر قرّرت البحث عن طبيب يفضّل علاجاً يتحاشى التشويه.

أمّا بالنسبة الى الباريسية سيمون د. التي كانت في الستين من عمرها، فاكتشاف كتلة بعرض ثلاثة سنتيمترات في صدرها لم يكن أمراً مفاجئاً. وهي تقول: "توفيت والدتي وخالتي بالسرطان. لذا كنت أفحص ثدييّ شهرياً مرة على الأقل." ودخلت سيمون معهد "كوري" في باريس، وهو أحد المراكز العالمية المتقدمة لمعالجة السرطان. وأثبت تحليل مخبري لخلايا مأخوذة من الورم المخاوف التي كانت تساورها.

تقول سيمون: "أول ما تبادر الى ذهني كان عمل كل ما هو ضروري للبقاء على قيد الحياة." وكانت والدتها وخالتها خضعتا لجراحة استئصال الثدي المصاب بالسرطان اضافة الى انسجة واقعة تحت الابط وغدد لمفاوية "لكنني لم استطع أن أتخيل كيف سأبدو من دون ثدي أو كيف سيكون رد فعل زوجي لدى رؤيته موضع الجراحة."

وعندما وجد ورم بعرض ثلاثة سنتيمترات ونصف سنتيمتر في صدر سيدة عربية في السادسة والأربعين من عمرها اقترح أحد الجراحين اجراء استئصال فوري للثدي بهدف منع امتداد الورم السرطاني. وتقول هذه السيدة: "كنت سمعت عن طرق للمعالجة تتحاشى استئصال الثدي، لكن الطبيب أعلمني انه يفضّل الطريقة المضمونة التي ثبتت جدواها."

وتحرّت السيدة العربية نسبة نجاح كل طريقة، وقررت الخضوع لعلاج أقل تعريضاً للتشوه. لذا طارت الى باريس.

الاستئصال الجذري - قبل اثنتي عشرة سنة لم يكن أمام النسوة الثلاث أي خيار. فسرطان الثدي كان يقتضي استئصالا جذرياً أو بسيطاً للثدي. أما اليوم فثمة خيارات عدة غير الاستئصال. فمثلا، خضعت سيمون د. لاستئصال جزئي، أي إزالة الورم والانسجة المحيطة به، تبعه علاج بالأشعة. وخضعت السيدة العربية لجراحة أبسط من جراحة سيمون، قضت بأحداث شق صغير يسمح باستئصال الورم وطبقة رقيقة جداً من الانسجة المحيطة به، اضافة الى زرع أسلاك إشعاعية في مكان الورم. أما ايلين س. فقد تحاشت الجراحة وخضعت لعلاج كيميائي ولآخر بالاشعة. واليوم تعيش النسوة الثلاث حياة طبيعية من دون ما يشير الى أنهن أصبن بسرطان الثدي.

ان تغيرات مثيرة طرأت على علاج مرض يصيب واحدة من كل ١٤ امرأة في العالم الغربي، وهو أحد الأسباب الرئيسية لموت الاناث فوق السن الخامسة والثلاثين.

وأول من شرح أسلوب الاستئصال الجذري في العام ١٨٩٤ كان الطبيب الامريكي وليم ستيوارت هالستد من كلية جونز هوبكنز للطب في بالتيمور. حتى ذلك الوقت كان سرطان الثدي يعتبر مرضاً غير قابل للشفاء. فأقل من ٢٠ في المئة من ضحاياه عشن أكثر من بضع سنوات بعد تفشيه. ومعظم الناجيات ابتلين بسرطان قاتل في موضع آخر من الجسم. ولكن بعد الاستئصال الجذري كانت قرابة ٥٠ في المئة من المصابات يعشن خمس سنوات أخرى. وثمة ٢٥ في المئة منهن "نظفن" من السرطان بعد مضي ١٥ سنة.

كان ثمن البقاء على قيد الحياة غالياً. فالثدي يُستأصل وأثر الجرح يبدأ في أعلى الذراع مروراً بالكتف نزولا الى الصدر. والجلد يبدو مسطّحاً ومشدوداً. وغالباً ما كان ينجم عن الجراحة شلل في حركة الذراع وانتفاخ دوري فيها وتقور في أعلى الصدر وألم في الجزء العلوي من الجسم نتيجة قطع بعض الاعصاب أثناء الجراحة. والى ذلك تبقى المصابة مهددة بظهور ورم سرطاني جديد. لهذا السبب عمد هالستد وغيره من الجراحين الى التعمق في الاستئصال بغية إزالة بعض الغدد اللمفاوية. وحتى بعد الحرب العالمية الثانية كان بعض الجراحين يتعمقون أكثر في استئصالهم الورم السرطاني، فيزيلون غدداً لمفاوية ثديية.

شق صغير - غير أن الراديولوجي(١) البريطاني الدكتور جيفري كينس عمد في العام ١٩٢٤ الى استعمال طريقة معدّلة تقضي باستئصال الورم السرطاني فقط، على أن تتبعه معالجة بـ"الراديوم" وبالاشعة السينية (إكس) بهدف القضاء على الخلايا السرطانية. أما في الثلاثينات فقد لجأ الدكتور فرنسوا باكليس وزملاؤه في معهد كوري بباريس

(١) الراديولوجي هو العالم باستخدام الطاقة الاشعاعية في الطب.

الى المعالجة بالاشعة فقط. وبعد سنوات قليلة عمد الدكتور ساكاري موستاكاليو في فنلندا والدكتور روبرت ماكويرتر في اسكوتلندا الى تخيير المصابات بين استئصال الثدي واستئصال الورم متبوعاً بمعالجة اشعاعية. وفي حين لم يؤد أي من هذه المعالجات الى زيادة معدل النجاة، إلا انها اثبتت أن المعالجة بالاشعاع يمكن أن تحل مكان الاستئصال الجذري في معالجة سرطان الثدي.

وفي غياب البراهين على تحسين معدلات النجاة استمر معظم الجراحين في اعتماد طريقة الاستئصال الجذري. ومع ذلك فهناك بضعة استثناءات. ففي العام ١٩٥٦ مثلا، عندما واجه الدكتور أوليفر كوب أستاذ الجراحة في كلية هارفارد للطب، مريضة أصرّت على إبقاء ثديها المصاب من دون استئصال، أحدث في صدرها شقاً صغيراً واستأصل الورم وحده وأتبع ذلك بمعالجة إشعاعية. وبعد خمس سنوات عاودها الورم كما عاود مريضة أخرى عالجها هذا الجراح بالطريقة نفسها، كذلك نسوة اخريات أجريت لهن جراحات جذرية. وكتب الدكتور كوب: "كان البرهان مقنعاً جداً، لذا أجريت آخر استئصال جذري في العام ١٩٦٠."

من غير أثر – أدخلت تحسينات ليس فقط في حقل الجراحة، بل في طرق المعالجة بالاشعاع أيضاً. ففي السنوات الاولى أدّت المعالجة بآلات الأشعة السينية غير المتطورة الى احراق الجلد. غير أن تطوير آلات أكثر قوة وتركيزاً أدى الى نتائج فضلى. وبحلول العام ١٩٨١، عندما خضعت سيمون د. للمعالجة في معهد كوري، كانت أكثر من ٧٠٠ امرأة عولجن بطريقة مشابهة قد اجتزن مدة الخمس السنوات والعشر السنين الحاسمة من دون ظهور أي دليل على عودة السرطان ومن غير معاناة تشوه في الثدي نتيجة التعرض للاشعاع.

بالنسبة الى سيمون التي ما زالت تحمل ذكريات الالم الذي عانته أمها وخالتها، لم تكن الطريقة التي عولجت بها نهاية المطاف. لقد عمد الجراح الى استئصال الورم والخلايا المحيطة به وبعض الغدد اللمفاوية في الابط وأخضعها لتحليل مخبري. وقدم الدكتور جاك روبير فيلكوك تقريره الطبي: الغدد اللمفاوية كانت "نظيفة". ومع ذلك أجرى الطبيب للمريضة علاجاً بأشعة "كوبالت" بعد عشرة أيام من الجراحة بغية تدمير أي خلايا سرطانية باقية في ثديها، وإن جاءت النتيجة ايجابية لخضعت سيمون لعلاج كيميائي اضافي.

وشفيت سيمون بسرعة. واذ تقترب الآن من نهاية السنوات الخمس بعد الجراحة فانها تزور معهد كوري مرة كل ستة أشهر لاجراء فحوص تحليلية. ويجرى لها تخطيط اشعاعي للثدي مرة كل سنة. ولأن الجراح جعل الشق في جعدة طبيعية فلا اثر في الثدي يدل على الجراحة.

تطهير الخلايا – ثمة أطباء حاولوا اعتماد معالجات أكثر اعتدالا. فمنذ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٩ أخذ الطبيبان الباريسيان المختصان بالاشعة البروفسور فرنسوا بابيه في مستشفى

"نيكر" والبروفسور كلود ميلان في مستشفى "سان لوي"، يطوران طريقة تتطلب جراحة أقل مصحوبة بمعالجة دقيقة بالاشعة، وطبقاها على ٨٥٠ مصابة بأورام سرطانية بلغ عرض واحدها، في حده الاقصى، خمسة سنتيمترات. ويشرح البروفسور ميلان ذلك: "في الجراحة التقليدية يستأصل الجرّاح جزءاً كبيراً من أنسجة الثدي التي تبدو طبيعية، خشية أن تكون هناك خلايا سرطانية "هاجرت" من الورم السرطاني الى المنطقة المجاورة."

أمّا طريقة ميلان - بابيه، وهي التي اختارتها السيدة العربية فتقضي باحداث شق صغير لاستئصال الورم وطبقة رقيقة جداً من الانسجة المحيطة به، بالاضافة الى عدد قليل من الغدد اللمفاوية في منطقة الابط بهدف تحليلها. والطبيب المختص بالأشعة الذي يشارك في العمليات يدخل ما يراوح بين ثلاثة وخمسة أنابيب بلاستيكية طرية في طبقة الورم. وبعد يوم من الجراحة تنقل المريضة الى غرفة مبطنة بالرصاص حيث تدخل أسلاك من مادة "اريديوم - ١٩٢" الاشعاعية في الأنابيب. ولمدة تراوح بين ٢٤ و٤٨ ساعة تعمل أشعة قوية جداً، تنبعث من الاسلاك، على تطهير الخلايا التي قد تكون نخرت الانسجة المجاورة. ولدى انتزاع الانابيب يبقى بعض الكلف الاحمر ظاهراً على الجلد وسرعان ما يختفي. وفي مرحلة لاحقة يأتي العلاج بأشعة كوبالت. واذا لزم الأمر يضاف العلاج الكيميائي بهدف القضاء على الانبثاث(٢). ويعلن البروفسور ميلان ان "هذا العلاج الذي يبقي المريضة على قيد الحياة لمدة خمس سنوات من دون نشوء ورم جديد أظهر حتى الآن نجاحاً بنسبة ٩٥ في المئة."

نظرية صائبة - أحرزت المعالجة الكيميائية تقدماً بارزاً بفضل تطوير أدوية أكثر فاعلية. وعلى رغم أنها تستخدم اليوم بمثابة خط دفاعي ثان او ثالث، بعد الجراحة والأشعة، فثمة من يعتقد أنها ستصبح قريباً العلاج الأساسي لسرطان الثدي.

وقد يكون أكثر الامثلة دلالة على ذلك ما تحقق في مستشفى "بيتييه - سالبتريير" في باريس حيث تلقت ايلين العلاج. والفكرة تعود الى الستينات عندما بدأ كلود جاكيبا العالم بالسرطان استعمال عقاقير لمداواة عدد من الامراض الخبيثة، ومنها ابيضاض الدم (اللوكيميا) لدى الأطفال ومرض هودجكن وسرطان الخصيتين. ففكر: "لماذا لا نعتمد الاسلوب ذاته في معالجة سرطان الثدي؟"

وسنحت له الفرصة لاختبار نظريته في ربيع ١٩٨٠. فقد اتصلت به صديقة للعائلة في الثانية والاربعين من عمرها، وأخبرته أنها اكتشفت ورماً في ثديها الايمن. كان الورم محسوساً منذ أشهر، لكن أمها كانت توفيت في السن الاربعين بعدما عانت الامرّين من سرطان الثدي، فخشيت هي من الذهاب الى الطبيب.

ويروي البروفسور جاكيبا انه "في

(٢) الانبثاث (metastasis) هو انتقال العامل المسبب للداء من مقره الاساسي الى جزء آخر من الجسم.

الوقت الذي حضرت المرأة للكشف كان قطر الورم بلغ ١٢،٥ سنتيمتراً، أي انه ضاعف حجم ثديها." وحكم أحد الجراحين بأنه ورم "لا تنفع معه الجراحة." فقر الرأي على معالجتها بالطرق الكيميائية. وفي اليوم التالي بدأ جاكيبا حقن اوردتها بمركبات مضادة للسرطان وهو مدرك ما يرافق ذلك من مضاعفات مثل الغثيان والتقيؤ والشعور بالتعب وتساقط الشعر. وكان تجاوب الجسم ضئيلا. بعدئذ أضاف جاكيبا عقاراً قويا جدا مضادا للسرطان يدعى "ادرياميسين"، ولاحظ ان "الورم بدأ يتضاءل فجأة." وبعد شهرين من العلاج تقلص الى حوالى سنتيمترين. وفي النهاية، واثر علاج كيميائي استغرق ثلاثة اشهر، اضافة الى علاج بأشعة كوبالت واريديوم (خمس جلسات في أشراف البروفسور بايبه في نيكر) اختفى الورم عملياً. وبقيت المريضة تخضع للمعالجة لفترة ١٨ شهراً أخرى تراجعت خلالها المضاعفات الناشئة منها. وعاد شعرها ينمو، وهي تعيش اليوم حياة طبيعية بصحة جيدة بعد انقاذ ثديها.

الوسيلة الاخيرة – على رغم هذا النجاح كان الجسم الطبي بطيئاً في اعتماد المعالجات الجديدة. وفي العام ١٩٨٥ نشرت مجلة "نيو إنغلند" الطبية الامريكية المرموقة مقالا جاء فيه أن استئصال الاورام، متبوعاً بمعالجة بالاشعة للمصابات كافة ومعالجة كيميائية للنساء اللواتي ضرب السرطان غددهن اللمفاوية، أثبت جدواه في معظم حالات الاصابة بسرطان الثدي في مراحله الاولى. ومع ذلك فان ما يراوح بين ٨٠ و٨٥ في المئة من هؤلاء المصابات في الولايات المتحدة ما زلن يخضعن لجراحات استئصال الاثداء المصابة. أمّا في أوروبا فنسبة اللواتي يخسرن أثداءهن تبلغ ٥٠ في المئة.

أين تقف المرأة المصابة حديثاً بسرطان الثدي من كل ذلك؟

يؤكد البروفسور بايبه: "يجب أن تدرس كل حالة على حدة بحسب أعراضها. ومن حق المريضة أن تحصل على تفسير واف للخيارات التي يمكن اعتمادها، مع اعطائها فرصة اللجوء الى طرق غير جراحية. ويجب أن تبقى الجراحة الوسيلة الاخيرة التي يلجأ اليها بعد اخفاق بقية الوسائل المتوافرة."

ويشير البروفسور جاكيبا الى ان "الجسم هو جسم المريضة. ولها حق المشاركة في اي قرار يتخذ في شأنه."

ستانلي انغلبارت ■



أناقة نهرية

سألت امرأة صاحبتها: "كيف خسرت عملك في محل الملبوسات؟"

– حسناً، بعدما جربت الزبونة نحو خمسة وعشرين ثوباً، قالت لي: "أظن اني سأبدو اكثر اناقة في لباس متدفق الالوان." فاقترحت عليها نهر المسيسيبي.

ف.ف.



مَعهَـــدُ رجَالِ الأعمَال

اذا أردت أن تنجح في ميدان التجارة والاعمال فان فونتينبلو هي المكان المناسب

كانت لوكسمبور قلقة من مسألة زيادة الانتاج. وعزت ذلك الى أنه لو اقتصر الانتاج على خط واحد للتجميع لعجزت الجماعة عن التأقلم مع سوق متغيرة. وربما كان عليها تجهيز المصانع بحيث تنتج سلعاً بالمفرق (القطاعي) وبالجملة.

وتساءلت فرنسا: "ولكن ماذا لو ازداد الطلب؟" حينئذ لن تتوافر الآلات الكافية للتلبية.

"فلننتج بطاقتنا (الكاملة)،" اقترحت احدى الدول بحماسة.

وتنهدت دولة اخرى وقدمت حلا ثورياً : "أقترح أن نحافظ على انتاجنا الحالي."

وكان الاعضاء في هذه الشركة الوهمية ينتجون سلعة وهمية ايضاً. فاجتمعوا لتلقيم الدماغ الالكتروني أرقام انتاجهم ومعرفة رأيه في قراراتهم التنفيذية.

قبل انقضاء النهار تناول المجتمعون الى الانتاج والتسعير، مسألة الاستخدام والصرف من الخدمة والتسويق والتمويل وتدوين الحسابات، اي كل السبل التي تؤدي الى اعمال ناجحة.

بعدئذ ارادوا بحث النتائج مع استاذهم، وهو ايراني. وتعلموا سريعاً ان ليس ثمة شيء سهل في الحياة، سواء في ميدان العمل او في "إنسيد"، المعهد الاوروبي لادارة الأعمال(١).

"إنسيد" هي كبرى المدارس في اوروبا لتعليم ادارة الاعمال، وأفضلها عموماً. وفي السنوات السبع والعشرين التي أعقبت انشاءها خرّجت هذه المؤسسة الخاصة المستقلة، والتي لا تتوخى الربح، اكثر من ٥٠٠٠ شخص يحملون شهادة ماجستير في ادارة الأعمال، ومعظمهم يتبوأون اليوم أعلى

(١) Institut Européen d'Administration des Affaires «INSEAD»

المراكز او يديرون شركاتهم الخاصة.

في غمرة التنافس الذي يشهده العالم في مجالي التجارة والصناعة، توفّر "إنسيد" الاستراتيجيات التي تؤدي الى نجاح الاقتصادات... او اخفاقها. والمدرسة ملاذ عملي للتفكير التحرري الهادف الى حل المشكلات. والامثولة التي تعلّمها هي: "اعملوا بفاعلية ومعاً."

مؤسسة رفيعة المستوى - يعترف السويسري جان بيار سالزمان مدير شؤون الخريجين والعلاقات العامة في المعهد: "بعض المديرين الاوروبيين يظنون ان مدارس ادارة الاعمال هي للحمقى. وهم يثقون بالغريزة في الادارة. لكننا وصلنا الى نقطة حيث الحدس لا يكفي. فما من احد سوقه المحلية محمية من تنافس خارجي. وثمة عدد من الشركات الاوروبية لم يعد موجوداً لانه لم يدرك ذلك."

الرغبة في تجنّب هذا النوع من اليقظة الفجائية الفظة هي ما جذب سالزمان وزملاءه المتعددي الثقافة (١٦ جنسية ممثلة في هيئة اساتذة المعهد) الى "إنسيد" في الدرجة الاولى. وتضم الهيئة التدريسية ٥٣ أستاذاً يعملون بدوام كامل اضافة الى اثني عشر استاذاً زائراً، وهي الافضل في نوعها في اوروبا. ومن بين كل خمسة اساتذة هناك أربعة يحملون درجة دكتوراه من جامعات في الولايات المتحدة حيث نشأت فكرة التعليم العالي في الادارة.

اما مؤسس "إنسيد" جورج دوريو المولود في فرنسا والمترعرع فيها، فقد انتسب الى مدرسة هارفارد لادارة الاعمال في الولايات المتحدة في اوائل العشرينات. ومن ثم علّم فيها مدة ٤٠ سنة تقريباً. وبعد الحرب العالمية الثانية شهد دوريو ولادة السوق الاوروبية المشتركة وكان راضياً عنها. لكنه أصبح مقتنعاً بأنه اذا أريد لهذه السوق النجاح فينبغي ان تخدمها مؤسسة رفيعة المستوى. فأقنع جان ماركو رئيس غرفة التجارة والصناعة في باريس بدعم خطته، وعين ثلاثة خريجين جدداً في هارفارد للعمل على تنفيذها، وهم اوليفييه جيسكار ديستان الذي أصبح مدير المدرسة وهو الآن نائب رئيس مجلس مديري "إنسيد" والمصرفي كلود جانسين وهو الآن رئيس المجلس، ورجل الأعمال جان ريندر.

اقترح دوريو ان تقدّم هارفارد الى "إنسيد" مكتبة أساسية تضم "قضايا" مهمة وملخصاً عن اوضاع الشركات. ونظام القضايا الذي أوجدته هارفارد يضع الطلاب في مكان المديرين الحقيقيين، فيعطيهم جميع المعلومات المتوافرة ويطلب منهم اتخاذ القرارات.

تدريب وافٍ - انطلقت المدرسة في العام ١٩٥٩ في جناح استعارته من قصر فونتينبلو التاريخي خارج باريس. وكانت هيئتها التعليمية تضم رجال اعمال اوروبيين ناجحين واساتذين "بالاعارة" من هارفارد، وخصصت لها اموال كافية لتغطية موازنتها السنوية الاولى. وفي ١٦ سبتمبر (ايلول) وصل أول صف لطلاب الماجستير، وكانوا ٥٢ طالباً من ١٤ بلداً اوروبياً.

مجلة المتعة الدائمة

- "المختار" مجلة مريحة ومتفائلة، تسلّي من غير تجهيل وتثقّف من غير وعظ وتفيد من غير اضجار.
- "المختار" لافراد عائلتك مجلة انيقة لا يمترض تهذيبها حاجز.
- "المختار" تزيد معارفك وتوسّع آفاقك وتغنيك عن مطالعة عشرات الكتب والمجلات.

للاشتراك في "المختار" املأ القسيمة بخط واضح بالعربية أو الاجنبية، وارسلها بالبريد الجوي المسجّل (المضمون) مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً امريكياً هو بدل الاشتراك في ١٢ عدداً من المجلة لمدة سنة، الى احد العنوانين الآتيين:

Bank Almashrek S.A.L.
P.O. Box 1524
Beirut — Lebanon

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت - لبنان.

Allied Business Bank S.A.L.
P.O.Box 113-7165
Beirut — Lebanon

البنك المتحد للأعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان.

قسيمة اشتراك

Name .... الاسم

....

Address .... العنوان

....

Profession .... المهنة

Date .... التاريخ

Signature .... التوقيع

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:
اشتراك في مجلة "المختار"

اما اليوم فقد باتت "إنسيد" مؤسسة تعليمية قوية تمتد على حرم من ٦٠٠٠ متر مربع شيدت عليه مبان وعشرة مدرّجات ومكتبة تضم ٢٧ الف مجلّد (بينها دراسات قضايا "إنسيد" الاوروبية التي تجمعت على مدى سنين) ومركز معلوماتية ومجمع سكني يشمل غرفاً لطلاب من انحاء العالم. ويؤلف الطلاب غير الاوروبيين نسبة ٢٥ في المئة من صف الماجستير. والمدرسة ليس لها وقف خاص. وتشكل أقساطها ٨٠ في المئة من موازنتها التي بلغت ١٤٥ مليون فرنك (نحو ٢٢ مليون دولار) في السنة الدراسية ١٩٨٦ - ١٩٨٧. أما البقية فيغطيها رجال اعمال ومتبرعون.

أحد أنجح خريجي "إنسيد" هو رونالد شميتز من شركة «BASF AG» الالمانية العملاقة للكيميائيات. وبعدما قضى ثلاث سنوات في قسم التمويل في الشركة طلب منه تحليل مشاكل انتاج الاشرطة الممغنطة في الولايات المتحدة. واستعان شميتز بالنظريات الواسعة التي تعلمها في "إنسيد" وبرهن ان المشكلات لا تكمن في الانتاج فحسب، بل لها علاقة كذلك بالتمويل والموظفين والتسويق. وفي اقل من سنة وضع العملية في الطريق الصحيح. واليوم يحتل شميتز البالغ من العمر ٤٨ عاماً منصب رئيس قسم في الشركة وهو عضو في مجلس مديريها.

يقول: "ان السنة التي قضيتها في المدرسة وطريقة معالجة القضايا ساعدتاني كثيراً. فبعد ان تتناول مئات القضايا تصبح معتاداً التفكير على نحو اسرع ومتكامل، وتفكر بلغة الحلول. ونظام القضايا يرفع عنك الخوف أيضاً. ان إحدى المسائل المعقدة في الشركات الكبيرة هي الموازنة: كيف تخصص الاموال لمشاريع الاستثمار المختلفة. وعندما تنهي دراستك الجامعية تكون متردداً ازاء هذه القضية. ولكن بعد الانتساب الى "إنسيد" تصبح لديك ثقة بالنفس كبيرة، لأن المدرسة وفرت لك تدريباً وافياً."

تفاوت ثقافي - مع ارتقاء خريجي "إنسيد" سلّم العمل نمت سمعة المدرسة باطراد. وغدت مديرة القبول الفرنسية كلير بيك تتلقى سنوياً ٢٠٠٠ طلب انتساب، واحياناً اكثر. لكن ٣٠٠ طالب فقط يتم قبولهم في صف الماجستير، ويقسمون صفين في كل منهما ١٥٠ طالباً، يبدأ احدهما الدراسة في سبتمبر (ايلول) والآخر في يناير (كانون الثاني). ويبلغ متوسط اعمار الطلاب ٢٧ عاماً، وخبرتهم قصيرة غالباً، ويكون في امكانهم الحصول من مؤسساتهم على اجازة مدتها سنة والقسط الدراسي الذي يبلغ ٨٦ الف فرنك (نحو ١٣ الف دولار).

الشهران الاولان من برنامج الماجستير يعتبران صعبين. فالاختصاصيون الشباب يجدون أنفسهم مرهقين بفعل برنامج تعجيزي وقائمة كبيرة للقراءة وزملاء ذوي خلفيات ثقافية مختلفة ووجهات نظر متباينة. في اختصار، ان "إنسيد" هي عالم صغير من العلاقات الدولية.

ومع اخذ التفاوت الثقافي في الاعتبار تقسم "إنسيد" كل صف وحدات تضم كل منها ستة طلاب او سبعة يجري اختيارهم

بحيث يفتقرون الى عامل التجانس في ما بينهم. وهكذا يضطر اعضاء كل وحدة الى اختبار الآخرين ودخول جدل شفهي حول القضايا المطروحة.

ان ثمانين في المئة من الدروس في "إنسيد" تعطى بالانكليزية التي اصبحت اللغة الاولى في ميدان العمل الدولي. أما النسبة الباقية فتعطى بالفرنسية. واما الالمانية فهي إضافية.

الحياة الاجتماعية لا يجوز التقليل من اهميتها، سواء في ميدان العمل او في المدارس التي تهيىء الشباب لدخوله. ونظرة الى لوحة النشاطات في "إنسيد" تظهر ان هناك عدداً كبيراً من المسرحيات اضافة الى نزهات في نهاية الاسبوع واحداث رياضية. وتؤكد شانتال فيلار وهي وسيطة فرنسية في حقل الضمان حصلت على درجة ماجستير في العام ١٩٧٤: "ان الاتصال البشري أمر مهم في "إنسيد". فكلما تعرفت الى طلاب جدد زاد اكتسابك من خبراتهم."

في المدار الصحيح - تدرب "إنسيد"

ايضاً نوعاً ثانياً من الطلاب هم الزوار الذين ينتسبون لفترة قصيرة الى برامج التطوير التنفيذية التي تعدّها. وتعمد الشركات الى دفع أقساط موظفيها الذين ترسلهم الى فونتينبلو لفترة تراوح بين ثلاثة أيام وسبعة أسابيع. أما فكرة التدريب الدائم على الادارة التي اعتمدت في العام ١٩٦٨ فبرهنت على نجاح كبير الى حد انه في العام ١٩٧١ اجتمعت ست شركات اوروبية رئيسية (هي الآن ٤٢ شركة) وقررت تأسيس "سيديب" أي المركز الاوروبي للتعليم المتواصل(٢). وهذا المركز الملحق بحرم "إنسيد" يشاطر المعهد اساتذته ويوفر للشركات برنامجاً يدوم ١٢ اسبوعاً يحضره موظفوها الكبار. والبرامج جميعها، سواء أكانت طويلة الامد ام قصيرة ام موضوعة بحسب الطلب شركات تحدد حاجاتها، ضمّت ٤٠ الف موظف تنفيذي دربتهم "إنسيد" منذ ١٩٦٨.

ومن المنظمات الشقيقة القائمة على حرم "إنسيد" المركز الاوروبي الآسيوي الذي تموله ١٣٠ شركة اوروبية وآسيوية، وهو مكرس للتفاهم المتبادل ولعلاقات العمل الفضلى. ويعلن هنري كلود دو بتينييه مؤسس المركز ومديره: "ان آسيا هي المستقبل، واذا لم تدرك اوروبا ذلك قضي علينا."

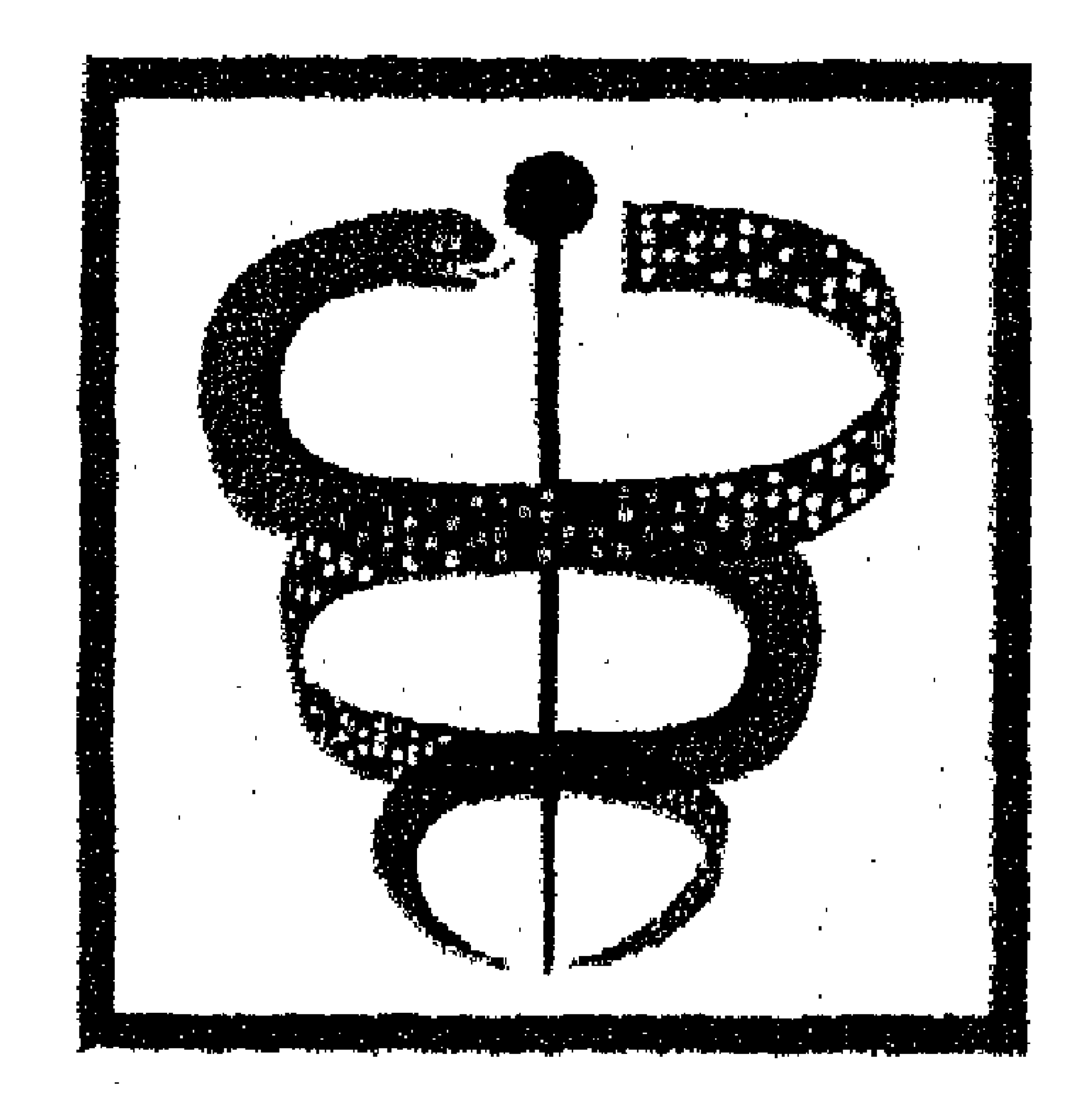
ليس ثمة برهان أفضل على نجاح "إنسيد" في تدريب كبار الموظفين من اجتماع رؤساء ٣٥٠ شركة في فونتينبلو لتحية حملة الماجستير الجدد في كل حفلة تخرّج. وفي هذا الصدد يقول دوني لومرسييه وهو مهندس فرنسي شاب وخريج فونتينبلو: "انسيد تضع خريجيها في المدار الصحيح."

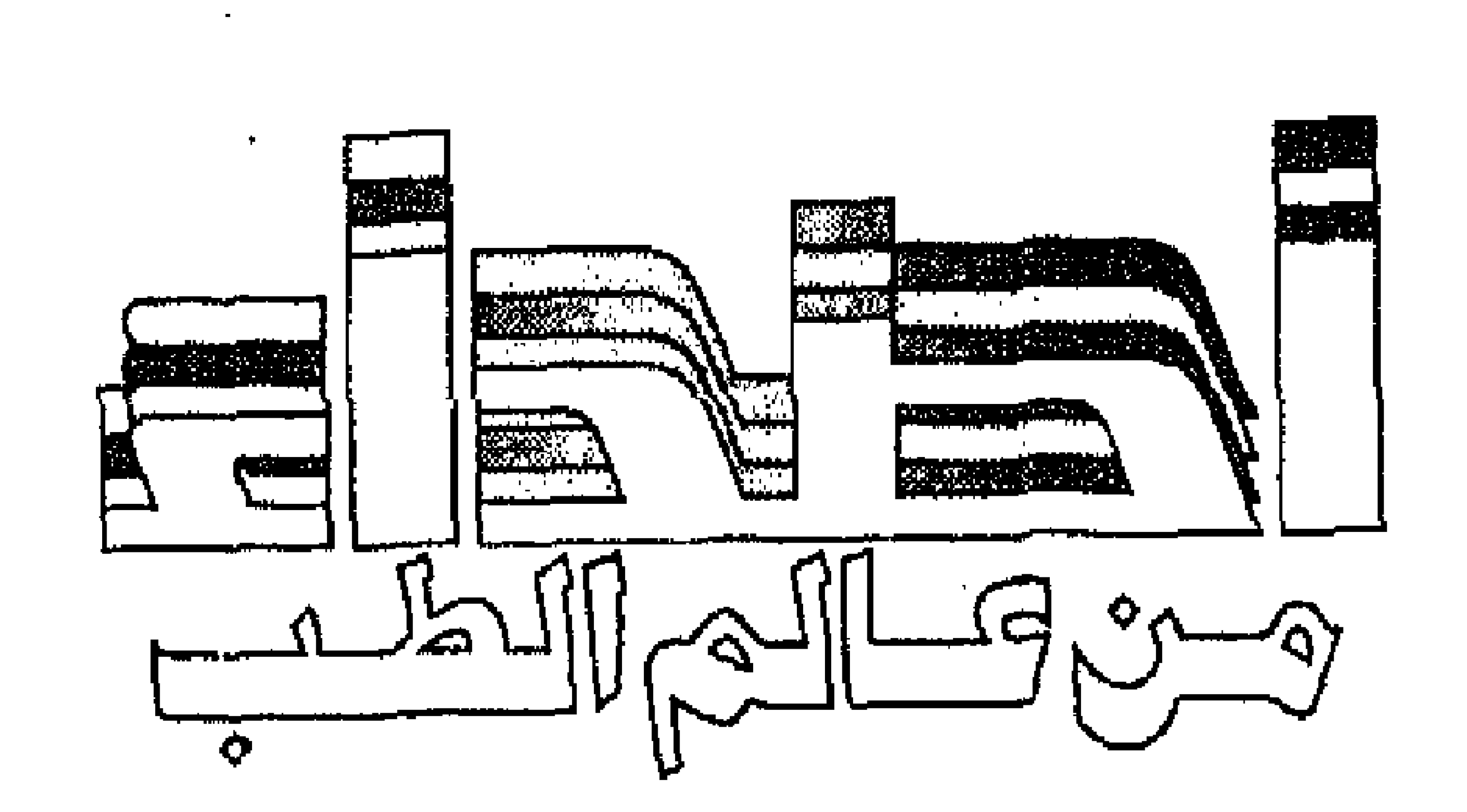
رودولف شيلمنسكي ■

(٢) Centre Européen d'Education Permanente «CEDEP»

اللسان الطويل ينهش صاحبه.

ك.ت.





الصوت علاج للعين

ثمة طريقة لا تزال في طور الاختبار، برهنت عن جدواها في خفض كمية السوائل الخطرة التي تضغط على العين من جراء الزرق، أحد الاسباب الرئيسية للعمى.

ويقوم العلاج الجديد على تسخين السطح الداخلي للعين بحزمة من التموجات فوق الصوتية. وهذا من شأنه إحداث قناة تنصب عبرها السوائل الخطرة. وقد سجل هذا العلاج نجاحاً يتجاوز ٨٠ في المئة بالنسبة الى ١٦٠ مريضاً في مستشفى نيويورك - كورنل كان العلاج السبيل الاخير لشفائهم، كما يقول اختصاصي العين الدكتور جاكسون كولمان. ووجد أعضاء فريقه أن في الامكان تكرار العلاج نفسه في حال تكوُّن السوائل من جديد، الأمر الذي يعسر تحقيقه مع الوسائل التقليدية. والكثيرون من ضحايا الزرق لا تنفع في حالهم العقاقير أو أشعة الليزر وتلزمهم جراحة طويلة ودقيقة. وربما كان العلاج الجديد ناجعاً في حالهم. ولا تزال الاختبارات جارية عليه في معهد ويلمر التابع لجامعة جونز هوبكنز في بالتيمور (ولاية ماريلاند) ومؤسسة نيو إنغلاند لأبحاث الزرق في جامعة بوسطن (مساتشوستس). وربما استغرق البحث سنوات قبل معرفة قيمة هذا العلاج في المدى البعيد. الا أن الدكتور بايرون ديموريست رئيس الأكاديمية الأمريكية لأمراض العين يعبر عن تفاؤله بالعلاج الجديد.

مجلة "الصحة الأمريكية"

الجديد في فحص الأجنّة

خلال السنوات العشرين الأخيرة، عمد الأطباء الى استخدام حزمة من التموجات التي تتجاوز سرعتها سرعة الصوت لفحص نمو الجنين البشري داخل الرحم. واعتبرت الطريقة سليمة عموماً، الى ان أشارت مجموعة خبراء ضمهم مؤتمر لمؤسسات الصحة الوطنية في الولايات المتحدة الى احتمال انطواء هذه الفحوص على أخطار.

ولم يأتِ التحذير نتيجة أي برهان مباشر على أن الفحص الصوتي جرّ الأذى على الأجنة أو الحوامل. لكن ثمة اختبارات أجريت على الحيوانات والخلايا المزروعة مخبرياً، أظهرت علاقة

بين الفحص الصوتي من ناحية وأجهزة المناعة والأعطال الكروموزومية من ناحية أخرى.

وأشارت المجموعة الى أن الفحص الصوتي مفيد في ثلث حالات الحمل، ومضت الى تعداد ٢٧ فائدة له، ومنها تحري بعض العلل الموروثة.

لكن اللجنة الطبية أعلنت أن اجراء الفحص لا لشيء سوى معرفة جنس الجنين قبل ولادته هو أمر غير مستحبّ، وأن سيئاته الطبية قد تتجاوز حسناته النفسية والاجتماعية.

مجلة "نيوزويك"

الورم القتامي

أعلنت الجمعية الامريكية للسرطان أن معدل الوفاة بالورم القتامي الخبيث (melanoma) وهو أخطر أنواع سرطان الجلد، ارتفع في الولايات المتحدة على نحو أسرع من معدل الوفاة بالسرطانات الاخرى باستثناء سرطان الرئة، فازداد أكثر من ضعفين في أمريكا خلال عشر سنين. ومع ذلك فان فحصاً ذاتياً لمدة خمس دقائق كل شهر يمكن أن يكشف هذا الداء الخبيث في وقت مبكر يضمن الشفاء.

ومن أجل اجراء هذا الفحص الذاتي ما على المرء سوى أن يستعين بمرآة طويلة ويتناول مرآة اخرى في يده بحيث يتمكن من رؤية كل أجزاء جسده. ويتسنى كشف جلدة الرأس بواسطة مجفف للشعر يعمل بالهواء البارد.

ويمكن تمييز الاورام القتامية من الشامات العادية أو من أي سرطان جلدي آخر أقل خطراً بملاحظة الظواهر الآتية: امتدادها غير المتناسق وحدودها ولونها وقطرها. فالاورام الخبيثة عادة لا تمكن قسمة مساحتها نصفين متشابهين، وتكون حدودها غالباً متعرجة أو متشرمة ولونها متفاوت الظلال بدلا من أن يكون منسجماً أو صبغة واحدة، ويغلب أن تعادل في مساحتها ممحاة قلم رصاص. ويذكر الخبراء كذلك الحكة او الطراوة في الشامة أو التبدل في ارتفاعها وسطحها أو صلابتها أو تغيرات أخرى في البشرة المحيطة بها. ولدى الارتياب بوجود ورم قتامي أو بروز أي شامة جديدة في بشرة شخص تجاوز الاربعين تجدر مراجعة طبيب. واذا اكتشف الورم في مرحلة مبكرة فيمكن استئصاله جراحياً وتحت التخدير الموضعي قبل أن يبدأ الانتشار في أجزاء أخرى من الجسم.

وكالة "اسوشيتد برس"

المستشفى ليس للراحة

اذا كنت تفكر في دخول المستشفى للراحة فقط، فاهجر فكرتك هذه. عندما دخلت بربارة وينتش، المسؤولة في مركز العلوم الصحية في جامعة تكساس للتكنولوجيا، المستشفى على أثر التواء في عمودها الفقري، عمدت الى تسجيل العدد اليومي لزوارها في مفكرتها. وكان معدل هؤلاء ٧٥ شخصاً يومياً، بين أطباء وممرضين ومنظفين، يبدأون نشاطهم في السابعة صباحاً. وخلال الايام الستة التي أمضتها هناك لم تستطع وينتش النوم نهاراً الا مرة ولمدة ساعتين.

وفي رسالة الى مجلة "نيو انغلاند" الطبية خلصت وينتش الى القول: "المستشفيات، خصوصاً التعليمية منها، هي أمكنة غير صالحة للراحة، على رغم ارتفاع مستوى العناية فيها. وأفضل كثيراً للمريض الذي ينشد الراحة أن يذهب الى فندق."

ا.ف.

مأساة واقعية

ارتمت الام مذعورة في البركة الجليدية، فرأت طفلتها تطفو الى السطح جسداً هامداً. لكن النجدة جاءت من حيث لم تنتظر

جندي بلا ساقين ينقذ طفلة من الموت

ذات صباح من يونيو (حزيران) ١٩٨٦ تسلل الطفل شون كرول، البالغ من العمر سنتين ونصف سنة، الى الحمّام حيث كانت أمه مشغولة بتجفيف شعرها. وأشار نحو المطبخ مغمغماً: "جنيفر... في الماء."

يبدو أنها، مرة أخرى، صبّت الماء على الارض من صنبور مياه الشرب. هكذا فكّرت الأم تامي كرول.

وهرعت الى المطبخ. رأت الباب الخلفي مفتوحاً، لكنها لم تجد أي أثر لطفلتها جنيفر التي لم تجاوز الاولى من سنيها.

دبّ الذعر في قلب الام وخرجت الى المصطبة المؤدية الى بركة مرتفعة عن الارض. جنيفر لم تكن في أي مكان. وفكرت تامي: يا الهي! البركة! الماء لا يجاوز علوّه المتر لكنه كان وسخاً عقب شتاء طويل. ولم تبصر تامي شيئاً تحت

Illustration: Tricia Zimic



السطح الموحل. ومن غير تفكير ارتمت في الماء الجليدي. واذا بها ترى، والرعب يملأ قلبها، جسماً صغيراً في ثوب أحمر يطفو الى السطح. كان ذلك جسم جنيفر.

سارعت تامي الى التقاط الجسم الفاقد الحياة. وبمشقة بالغة خرجت من البركة. جسّت نبض جنيفر. كان ساكتاً. فحصت تنفسها. لا شيء. شفتا الطفلة وأصابعها زرقاء، ذراعاها مسترخيتان كأنها لعبة من خِرق. فصرخت الام: "جنيفر! ولدي!"

صراخ قديم – ركضت تامي الى المطبخ حاملة الطفلة الهامدة. قبضت على هاتف الحائط وضغطت الرقم صفر الخاص بالاستعلامات. وتعالى الرنين في الطرف الآخر وتامي تتوسل: "هيا! هيا! أجب!" وبعدما توالى الرنين أجاب صوت مرتفع بكلمات مسجلة: "نعتذر لهذا العطل الطارىء، لا يمكننا تلبية طلبكم فوراً." وألقت تامي السماعة يائسة.

وفيما هي تُضجع الطفلة على مصطبة المطبخ فكرت في عملية انعاش القلب والرئتين. يجب ادخال الأوكسيجين رئتيها!! وتذكّرت معلّم الاسعافات الاولية في المدرسة الثانوية وقوله بضرورة الافادة من كل ثانية. وألصقت فمها بأنف الطفلة وفمها: نفَخ. توقف. نفخ. توقف. ثم رفعت رأسها وصرخت تطلب النجدة.

في الشارع الواقع خلف منزل آل كرول في ضاحية شيكاغو كان جايمس بتردج، وهو رجل مُلتح أشقر في الثامنة والثلاثين من العمر، يتنشق هواء الصباح المنشط شاعراً بأن الدنيا جميلة وقد عمر صدره بالامتنان لبقائه على قيد الحياة. فقبل عشرين سنة في فيتنام فقد ساقيه كلتيهما الى ما فوق الركبتين. وانطفأت احدى عينيه وأصبحت الثانية شبه سوداء.

كان جالساً في كرسيه ذي العجلات. ومد يده ليتناول كيس نفاياتٍ وينقله الى المرمى الخاص في الشارع حين سمع صراخاً خافتاً، ونظر في اتجاه الصوت البعيد ورمى الكيس ودفع كرسيه الى الطريق الفرعية ثم الى فسحة واسعة. وتوقف مصغياً فسمع صوتاً نسائياً يشبه الولولة يقترب وينفذ الى صدره مثل تيار كهربائي.

تذكّر الصراخ الذي انطلق ذاك اليوم في فيتنام، يوم ٣١ مارس (آذار) ١٩٦٦ في مكان قريب من دانانغ. كان جايمس يتقدم الفرقة البحرية التي شقت طريقها في حقل مُعشب. فجأة انفجرت عبوة ناسفة قتلت الرجال الذين خلفه وقذفت به في الجو مثل كرة. وفي تلك اللحظة سمع أحد رفقائه الجنود يصرخ: "لا تدعوني أموت!"

رجل عزم – بات جايمس بتردج كسيحاً وأعمى في عُرف القانون، وخصص له معاش من مديرية قدماء المحاربين في الولايات المتحدة. وله ابنان من زواجه الاول يسكنان مع والدتهما في جوار منزله. وفي ١٩٨١ تزوّج سو فولر وتبنى ابنها الصغير. وكان يصرف معظم وقته منهمكاً في أشغال طارئة أو لاعباً مع أولاده.

"جايمس! جايمس!" كان هذا صوت

سُو تدعوه من الخلف. لم يتوقف جايمس لينظر الى الوراء، بل واصل دفع كرسيه بمزيد من القوة وقد عرقلت سيره قضبان وحجار متناثرة في الطريق. كان العرق يتصبب من جبينه وصدره على رغم هواء الصبح البارد.

"أين أنتِ؟" صاح مخاطباً الصوت النسائي الآتي من أمامه. "قولي لي أين أنتِ!"

وتوقف الصراخ: "هنا في هذه الناحية!"

ها هي سو بجانبه، فسألها: "هل ترين شيئاً؟"

أجابت:"لا. لكني أرى سياجاً وأشجاراً صغيرة متشابكة لا يبين شيء من خلالها." كانت سو مرتعبة، واختلطت النداءات وخيِّل اليها أن قاتلا هناك يرتكب جريمة.

لكن سو علمت أن لا شيء يمكنه ان يثني جايمس عن عزمه متى صمم على عمل ما، كاصلاح سيارة أو جز عشب المرج أو طرح أولاده أرضاً. وفي دقائق قطع الامتار الثمانين الى الجهة الاخرى من الفسحة.

منذ نعومة أظفاره تعود جايمس الاقدام والعزيمة. فهو نشأ في مزرعة قرب كلاي سيتي في جنوب ولاية إيلينوي. وكان أصغر اخوته الستة الذين تعوّدوا أيضاً الكفاح للوصول الى ما يريدون. وفي المدرسة الثانوية قرّر أن يلتحق بالبحرية ونفذ قراره. وتخرَّج في يوم جمعة من مايو (أيار) ١٩٦٥ وانضم الى معسكر للتدريب في سان دييغو بولاية كاليفورنيا، يوم الاثنين التالي.

سباق مع الموت – مزّق الهواء صراخ آخر. وتدحرج جايمس من كرسيه الى الارض، وشق طريقه بين شجيرات كثيفة معتمداً على يديه. ثم راح يرجع جسمه بين ذراعيه ويجتاز الارض متجها نحو البيت. يجب أن أصل الى هناك! فكر في ذلك وهو يبالغ في مدّ ذراعيه ملتزماً أقصى السرعة.

بين الشجيرات وبيت آل كرول ٣٥ متراً. وصعدت سو قفزاً الدرجات الثماني الفاصلة بين البقعة المعشبة ومصطبة المطبخ.

أما جايمس فزحف على ساقيه المبتورتين "مجذّفاً" بيديه حتى تمكن من تسلق الدرج.

وصرخت تامي: "لا تدعا طفلتي تموت!"

تموت من أي شيء؟ تساءل جايمس. ماذا حدث؟

رفعت تامي عينيها فأبصرت سو تركض نحوها فهتفت: "اطلبي سيارة إسعاف!" وخيل الى سو أن الطفلة ميتة، فقد ازرقّ جسمها وانقلبت عيناها.

شعرت سو بانهيار مُطبق وسألت زوجها: "جايمس، هل أطلب الاستعلامات أم الطوارىء؟"

فرد جايمس: "الافضل أن تجرّبي الطوارىء." كان صوته هادئاً حين عبَر المصطبة زحفاً وانتقل الى جانب تامي بسرعة فلم تلحظ أنه بلا ساقين.

جسّ جايمس عنق الطفلة باحثاً عن النبض فلم يحس شيئاً. ولمس جلدها فاذا فيه برودة جليدية سبق أن عرف معناها في ساحة الحرب. انها برودة

الموت. وفكّر: كم من الوقت مضى على وفاتها؟ وتبين له أنه حتى إن تم انعاشها فكل ثانية تمرّ من دون أوكسيجين تعرّض الدماغ للتلف.

صراع من أجل الحياة – حين أدنى جايمس عينه شبه المطفأة من الطفلة علم أن أمها جرّبت عملية انعاش القلب والرئتين، ولكن بأسلوب خاطىء، وتذكّر أنه قبل عشر سنين تلقى درسا في هذا الموضوع. وهو كان بالطبع وسيلة لتمضية الوقت، فكم مرة يحدث أن يدعى رجل مبتور الساقين الى انقاذ حياة شخص آخر؟

وتذكر أولى قواعد الانعاش: فتح مجاري التنفس. فتناول الطفلة من أمها وأمال رأسها الى الوراء، فلم يجد اشارة الى التنفس. وحاول أن ينفخ في فمها فلم ينجح. وضغط معدتها برفق ليفتح المجاري المسدودة فانبجس الماء من فمها وأنفها. وأضجعها على ظهرها وباشر تقنية ايقاعية مرتكزة على المناوبة بين التنفس والضغط.

بين تنفس وآخر كان يحادث الطفلة بلطف محاولا أن يوقظها. ومن بعيد سمع أصوات الصفّارات. وهو كان طوال الوقت يصغي منتظرا تلك الاصوات ويصلي لأجلها. أما الآن فقد عرف أن النجدة آتية. تنفس، اضغط، تنفس، اضغط.

مع اقتراب أصوات الصفّارات أحس جايمس رعشة مفاجئة في الطفلة ولهثة تشير الى رغبة في التنفس. وأخبر تامي: "انها تحاول التنفس! أشعر بقلبها يخفق!" الا أن الخفقات كانت خافتة متقطعة. وواصل جايمس العملية متغافلا عن كل شيء سوى اختلاج الحياة بين يديه. ثم رأى جماعة من الناس يتدافعون في اتجاهه ويركعون حيث جثم هو بجانب الطفلة.

كان أول القادمين النقيب وليم أندرز والاطفائي بيتر دالي ومسعفون طبيون من فرقة ونفيلد للاطفاء. وبواسطة آلة امتصاص سحبوا الماء من مجاري الهواء في الطفلة ووضعوا فوق وجهها الصغير قناعاً موصولا بقارورة أوكسيجين. كانت جنيفر تتنفّس!

بعد قليل حضر المسعفان الطبّيان مايكل تورنر وكلي كندلين من فرقة ليونارد للاسعاف. ففحصا نبض الطفلة الذي اقتصر على خمسين خفقة في الدقيقة بدلا من مئة، وهي العدد الطبيعي لنبض الاطفال. وحين حاول تورنر ادخال أنبوب في وريد اليد أطلقت الطفلة صرخة.

شعر جايمس بانفراج الأزمة. وقالت له سو باطمئنان: "حالها جيّدة. لقد زال عنها الخطر."

بعد رحيل فرقة الاسعاف زحف جايمس ببطء الى السلم ونزل الدرجات واحدة واحدة. ثم انتصب معتمداً على يديه وارتمى بجسمه التعب في الكرسي. وبعد دقائق قليلة كان في مرأب بيته ينقل أكياس النفايات. وبدا له النهار واعداً بالخير.

وفي مستشفى دوباج المركزي نعمت جنيفر بشفاء عاجل. فالماء الجليدي في البركة أنقذ دماغها من الاذى، وعملية جايمس صنعت البقية.

حضور أعظم - بعدما روت تامي كرول وزوجها مايكل قصة انقاذ طفلتهما على يدي الجار جايمس بتردج، تناقلتها الصحف ومحطات التلفزة في أنحاء الولايات المتحدة وجعلت من جايمس بطلا وطنيا. وتدفقت على منزله المكالمات الهاتفية من أصحاب التمنيات الحارة. كثيرون من المهنئين كانوا رفقاء له في فيتنام عبّروا عن افتخارهم بانجازه. وجاءته مكالمة من منظمي مسيرة لقدماء المحاربين تقام في "يوم العلَم"، طلبوا منه أن يكون ضابط شرف للموكب ويتقدم المسيرة في شوارع شيكاغو. ومع أن جايمس لم يرغب في اقحام مثل هذه التنظيمات في حياته الخاصة فانه رضي بالانضمام الى المسيرة. لكنه رفض أنواعاً أخرى من التكريم كالهدايا والدعوات الى المناسبات، لانه أراد الرجوع الى الحياة الهادئة التي كان يستمتع بها.

وبعد مرور يومين على الحادث توقفت قرب منزل آل بتردج سيارة تنقل مايكل وتامي كرول ومعهما جنيفر عائدة من المستشفى. ووضع مايكل الطفلة برفق بين ذراعي جايمس الذي أخذ يهدهدها ويلاطفها.

ثمة شيء حدث في ذلك الصباح الذي تم فيه الانقاذ، شيء يجد بتردج صعوبة في الافصاح عنه. ويقول: "دعوني أشرحه كما يأتي: حين يموت الانسان - وجنيفر كانت مائتة - ماذا يمكن انساناً مثلي أن يفعل؟ لا شيء."

ويشعر جايمس بأنه كان آلة توجهها قوة عظمى. وجميع أفراد أسرة كرول يعرفون أنهم فقدوا ابنتهم ذلك الصباح، وأن جايمس بتردج كان هناك ليُعيدها اليهم. وقد وجدوا هذا التفسير وحده كافياً.

صاموئيل شراينر الابن ■



الزوجة - المفتش

خلال عملي أتناول غدائي شطائر تحضرها لي زوجتي كل صباح وتضعها في كيس انقله معي الى مكتبي. ودهشت مرة اذ وجدت احدى الشطائر مقضومة. لكن دهشتي زالت عندما قرأت ملاحظة من زوجتي جاء فيها: "عاينها المفتش العام."

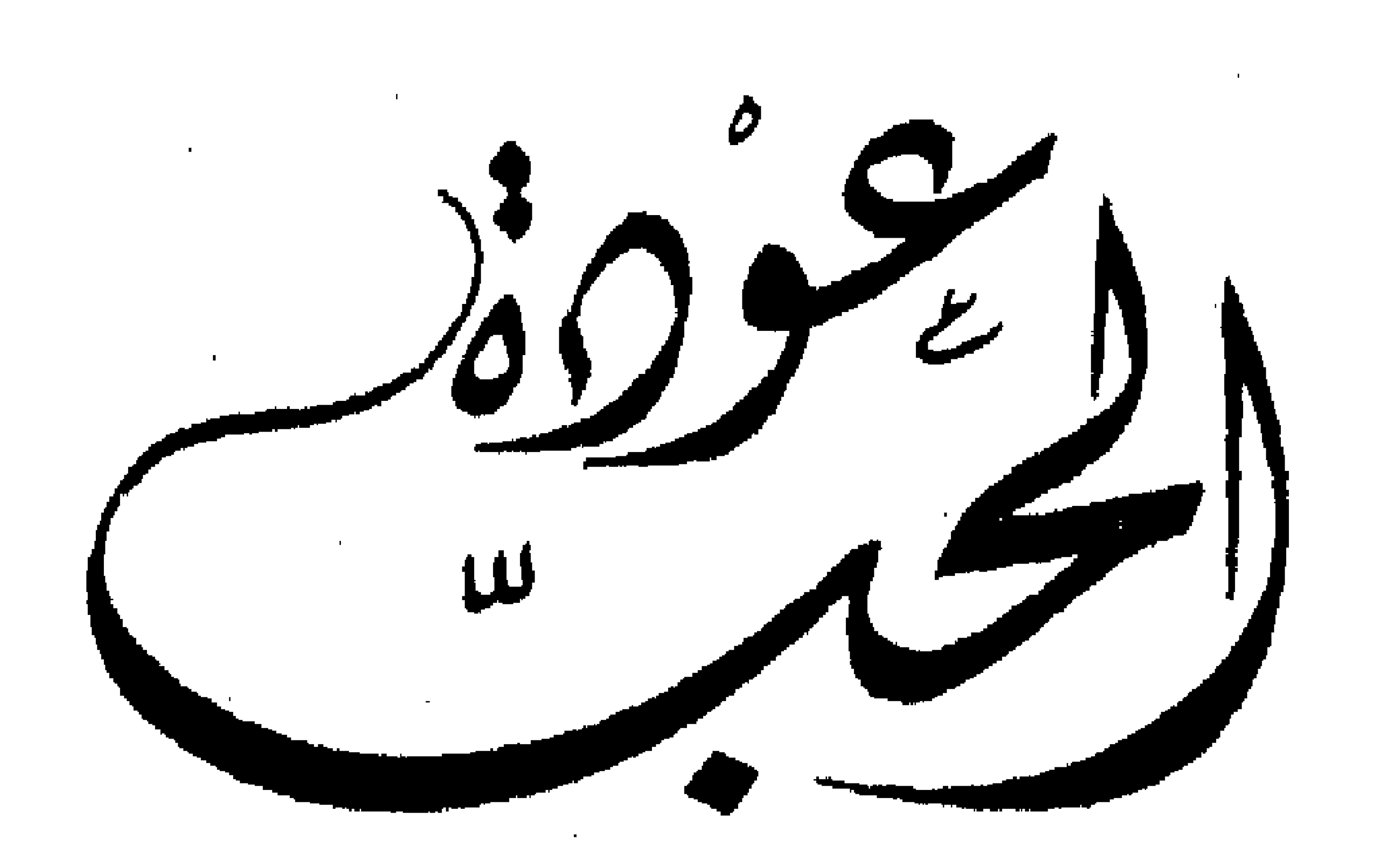
ج.ك.

مصباح المصعد

عُين لأحد عمال الصيانة مساعد متمرن. وفي اليوم الاول طلب من المساعد أن يبدل المصباح الكهربائي في مصعد احدى البنايات. وسأله معلمه هل يعرف موقع البناية فأجاب: "نعم، ولكن في أي طبقة أجد المصباح المعطل؟"

ا.ك.





قطعت على نفسي عهداً وأنا أقود سيارتي في اتجاه الكوخ الصغير الذي استأجرته على شاطىء البحر لتمضية العطلة. فسوف أحاول، لمدة أسبوعين، أن أكون زوجاً وأباً محباً، أن أحب بلا أي قيد أو شرط.

طرأت الفكرة على بالي حين أدرت جهاز الراديو في سيارتي، فسمعت مذيعاً يقرأ نصاً حول اهتمام الازواج بزوجاتهم. قال: "الحب عمل ارادة. وفي وسع المرء أن يقرر ان يحب."

كان لا بد لي من الاقرار بانني كنت زوجاً أنانياً، وبأن حبنا، أنا وزوجتي، فتر بسبب بلادة شعوري. كنت أثور لأتفه الامور، فأوبخ إيفلين على تأخّرها وأصرّ على مشاهدة البرامج التلفزيونية التي أحبها أنا وأرمي صحف البارحة مع علمي أن إيفلين تود قراءتها. حسناً، لمدة أسبوعين سيتغير كل ذلك.

وتغير ذلك فعلا حالما عانقت زوجتي على عتبة الباب وقلت: "إن هذه الكنزة الصفراء الجديدة تبدو رائعة عليك."

فأجابتني بدهشة وسرور مع شيء من الحيرة: "لقد لاحظتها يا توم!"

بعد قيادتي السيارة تلك المسافة الطويلة وددت أن أجلس وأقرأ. لكن إيفلين اقترحت المشي في نزهة على شاطىء البحر. وكدت أرفض اقتراحها، لكني عدت وفكرت في أن إيفلين بقيت وحدها مع الاولاد طوال الاسبوع، أما الآن فهي تريد أن تظل معي أنا وحدي. فتمشينا على شاطىء البحر بينما راح الاولاد يلهون بطائراتهم الورقية.

وسارت الامور على هذا المنوال. ومضى الاسبوعان من غير ان أتصل بشركة الاستثمارات في شارع وول ستريت(★) حيث أعمل مديراً. وزرنا متحف الاصداف

(★) وول ستريت هو شارع المال في نيويورك.

مع أنني أكره المتاحف، بل اني تمتعت بهذه الزيارة. وكنت أتمالك نفسي حينما تؤخرنا إيفلين عن موعد عشاء.

وهكذا مرت العطلة كلها في جو من الراحة والسعادة. وعاهدت نفسي من جديد على أن اختار الحب دوماً.

غير أن غيمة سوداء واحدة ظللت سماءنا. وما زلنا أنا وإيفلين نضحك كلما تذكرنا الامر. ففي الليلة الاخيرة التي أمضيناها في الكوخ الصغير، بينما كنا نتهيأ للنوم، حدّقت إيفلين اليّ وفي عينيها حزن شديد.

فسألتها: "ما الامر؟"

أجابتني وصوتها مفعم بالاسى: "أتعرف أمراً أجهله أنا يا توم؟"

– ماذا تعنين؟

"ذاك الفحص الطبي الذي خضعت له قبل أسابيع... طبيبنا... هل قال لك شيئاً عني؟ لقد كنت طيباً جداً معي يا توم... هل أنا مشرفة على الموت؟"

للوهلة الاولى لم أستوعب ما عنته زوجتي. لكني سرعان ما انفجرت ضاحكاً. فضممتها بين ذراعي مطمئناً: "لا يا عزيزتي، لستِ مشرفة على الموت، بل أنا أشرفت على الحياة."

توم أندرسون ■



وعد يناير

ها قد بدأ التغيير. وهو تغيير طفيف. انه كلام يجدر قوله في شهر يناير (كانون الثاني).

ساعات النهار تطول بدلا من أن تقصر. وقد يشتد البرد ويتراكم الثلج ويتكثف الجليد على صفحة البركة أو النهر، لكن مغيب الشمس يتأخر الآن. وفي نهاية يناير سيتاح لنا الاستمتاع بثلاثة أرباع ساعة اضافية من نور النهار.

هكذا تتبدل أيام الشتاء، مثلما يتحرك يناير ببطء الدبس اللزج. ولكن حين نراقب المغيب بانتباه يمكننا أن نلمح نهاية الشتاء. وفي أيام البرد القارس نرى ذلك النور المخضرّ يوشح الافق، حتى في الوقت الذي تهز الريح الباردة النوافذ والابواب. لكنه يتأخر عن الموعد الذي جاء فيه قبل اسبوع. إنها دقائق فحسب، لكن التغيير بدأ. ذلك هو الوعد، وذلك هو الدليل.

من مقال افتتاحي في الـ "نيويورك تايمس"

حدود المراهقة

خرج فتى في الثالثة عشرة من عمره في نزهته الاولى مع رفيقته. ولدى عودته سأله والده هل يشعر بأنه اصبح راشداً بعد هذه المناسبة فأجاب: "الحقيقة لا، خصوصاً بعدما علمت أن أمي دوّنت هذه المناسبة في كتاب ذكريات طفولتي."

ل.ب.



"إنما الجمال وعد بالسعادة."
ستاندال، اسم مستعار لكاتب فرنسي هو هنري بال (١٧٨٣ - ١٨٤٢).
Photo: Anonyme

لوحاتُ طفولة

كتب الشاعر والفيلسوف الالماني فريدريك هولدرلن: "الجمال صفة ينعت بها الاطفال." والحق ان الطفولة كانت إيحاء لكثير من الفنانين. والتقاط الصور للاطفال هو من أحب مصادر الابتهاج الى قلوب الآباء. ولتكريم ذكرى تلك الحقبة الغالية من حياتنا، هنا عيّنة من أجمل اللقطات الطفولية، منذ الولادة وحتى الحب الاول، ذاك النذير ببداية المراهقة. فما هو الوصف الذي يذكّرك بطفولتك أكثر من سواه؟

ايميه ليموان ■

"ما جدوى الحياة
إن لم يستغلها الاولاد
أكثر من آبائهم؟"

غوستاف كوربيه.

Photo: Willy Ronis

"ليس للأطفال أمس ولا غد.
انهم يبتهجون في الحاضر،
وهذا ما لا نفعله
نحن إلا نادراً."

جان دي لا برويير.

Photo: Jacques — Henri Lartigue





"وحدهم العصافير والاطفال والاولياء جديرون بالاهتمام.

أوسكار فلاديسلاس دي لوبيكز ميلوز.

Photo: André Kerteez

"لهو الاطفال ليس بلهو،
انما يجدر اعتباره عملهم الاساسي."

مونتين.

Photo: Valérie Clement

"ترُى لمّ ينعم الله على الانسان
بأفضل ما في الحياة في بداية العمر؟"

فيكتور هيغو.



"أيها الحب، أنت حورية ثلج
ووجه مغمض العينين..."
لوي ايميه.
Photo: Nadine Saunier



"الطفولة رحلة منسية."
جان دي لا فاراند.
Photo: Valérie Winckler

"انما السعادة
شكل من أشكال البراءة."
مارغريت يورسنار.
Photo: Henri Cartier — Bresson

لكل مدينة وقرية في العالم
أمثلتهما في الشجاعة والشرف وعمل الخير

حَصَادُ الجِيَاع

فيض العطاء

الساعة التاسعة والنصف عشية عيد رأس السنة، في ٣١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٥، شب حريق في أحد الابنية بمدينة نيوارك في ولاية نيوجرزي. وحين وصلت سيارة الاطفاء الى مكان الحادث كانت امرأة مسنّة تجلس على حافة نافذة في الطبقة الثالثة، منحنية نحو الخارج. فسارع رجال الاطفاء إلى تثبيت سلّم على الحائط الخشبي، وتسلّق ماركوس ريديك (٢٦ عاماً) عشرة أمتار إلى الطبقة الثالثة. كان ماركوس من الرشاقة بحيث اعتاد الانزلاق على سارية العلم في مركز الاطفاء ورأسه إلى أسفل.

كانت غلوريا أوبيدا (٦٨ عاماً) امرأة قصيرة القامة ممتلئة الجسم. وهي جلست على حافة النافذة ورجلاها إلى الخارج. فلما بلغ ماركوس أعلى السلم طوّقته العجوز الملعة برجليها. ولما بدا أن ماركوس يواجه مصاعب، تسلّق أطفائي آخر السلم لمساعدته. ولعدة دقائق أمسك برجليه في حين كان ماركوس يمسك غلوريا. وبدا التوازن غير محكم.

فجأة سقط ماركوس عن السلم والعجوز البدينة متشبثة به. ووقع مصطدماً بحائط من الاسمنت بجانب السلم، فأوقف سقطة المرأة. أما هو فارتدّ وهوى مسافة ثلاثة أمتار متدحرجاً على السلم السفلي. ولما وصل اليه قائد فرقة الاطفاء كان فاقداً الوعي والدم يسيل من أذنيه.

وبعد ساعة أخبر مسعف طبي رجال الاطفاء أن دماغ ماركوس توقف عن العمل تقريباً. وأن حاله ستزداد سوءاً. وفي المستشفى تحدث الاطباء عن نزع الاجهزة التي كانت تبقي الشاب على قيد الحياة. وسألوا عائلته هل ترغب في وهب أعضائه. فأتاهم الردّ ايجاباً.

في السادس من شهر يناير (كانون الثاني) حمل رجال الاطفاء نعش ماركوس ووضعوه على سيارة اطفاء

صفراء. وانضم مئات الاطفائيين الى الموكب السائر عبر شوارع نيوارك. وشيعهم التلاميذ بنظراتهم من نوافذ مدارسهم. ولمّا مرّ النعش أمام مركز اطفاء أدّى له التحية فريق من الاطفائيين.

ويوم وفاة ماركوس وُهب قلبه الى كارلوس تورس (٤٥ عاماً) الذي شارف الموت. كان ذلك الانسان الثاني الذي أنقذ ماركوس حياته ذاك الاسبوع.

مايكل وينريب

في "نيويورك تايمس" ■

فضلات المحاصيل

كلّما مرّت جودي وليمس (٣٨ عاماً) بسيارتها في الطرق التي تحوط منزلها في مقاطعة أورانج بولاية كاليفورنيا، ثارت نفسها. ففي بساتين البرتقال كُسيت الأرض بالثمار الطازجة التي سقطت عن الاشجار. وكان الامر مماثلا في حقول أخرى، فثمار البندورة (الطماطم) والقنبيط والافوكادو تركت لتهترىء.

وتقول المرأة النشطة وهي أم لثلاثة أولاد: "لطالما أحزنني التبديد على أنواعه. واستهجنت أن يهدر كل هذا الطعام في حين ندفع ضرائب للمساعدة في شراء الاعانات للجياع."

قررت جودي أن تقدم على عمل ما. وفي شهر مارس (آذار) من العام ١٩٨٤ أنشأت حركة رائدة، هدفها جمع فضلات الحصاد في منطقة أورانج. وبعد أسبوع قادت مجموعة متطوعين لجمع 'النتاج المتروك في المزارع المحلية.

وترى جودي أن "منطقة أورانج وافرة الغنى، لكنها تعجّ بألوف الاشخاص الذين يفتقرون إلى مأوى أو يعيشون على الاعانات." والواقع أن آل وليمس كانوا قبل ١٥ سنة ينتمون الى تلك الفئة بعدما سُرّحت جودي وزوجها من العمل.

لذا تعرف جودي معنى العيش على اعانات مصلحة الانعاش، وتدرك أهمية اكتشاف سبيل للعودة إلى الحياة المنتجة. وأحد هذه السبل التقاط فضلات الحصاد. وهي تقول: "كثيرون من الذين يعيشون على الاعانات يصابون بالاحباط والانهيار. فهم لا يشعرون بالجدارة الذاتية. ولكن عندما يخرجون إلى الحقول ويلتقطون فضلات الحصاد ويملأون شاحنة بالبرتقال، يترسّخ في نفوسهم شعور بانجاز عمل مثمر."

في بضع ساعات يستطيع عشرة أشخاص أن يجمعوا ١٨٠٠ كيلوغرام من المحصول. فيأخذ العمال ما يحتاجون إليه أو يبيعونه أو يقدمونه الى مراكز خاصة ليوزع على المحتاجين.

وتتذكر جودي امرأة تعيش على اعانات الانعاش، وهي أم لسبعة أولاد. سمعتها تقول يوماً وهي تحمّل سيارتها بالطعام: "أشعر بأن الحياة أصبحت أفضل لانني كسبت هذا الطعام بعملي بدل أن أتلقاه حسنة."

عندما بدأت جودي حركتها الرائدة حددت لنفسها هدفاً يقضي بتغيير حياة ٢٥ عائلة محتاجة في السنة الاولى. لكنها لاحظت أن عدد العائلات التي ودعت الاعانات فاق ذلك بكثير. فلقد جمع المشروع طعاماً وفيراً حتى انه يساهم في

تحويل المحاصيل وسواها من الاغذية الموهوبة إلى أكثر من ثلاثين وكالة تعمل في خدمة المحتاجين.

"كريستشان وومان" ■

يا حب بلادك...

تقع مدرسة هيكوري فلات في أصغر مقاطعات ولاية مسيسيبي وأفقرها، وتضم ٣٦٠ طالباً. ومنذ منتصف الستينات خصصت للصفوف الابتدائية أربع عربات مقطورة سيئة الحال، أرضها غائرة وترشح المياه من سقوفها وتأبى أبوابها أن تقفل أيام الشتاء.

أمضى الأهالي ست سنوات يجمعون المال لبناء مدرسة جديدة. وأعلمتهم سلطات الولاية والحكومة الامريكية أن المال غير متوافر.

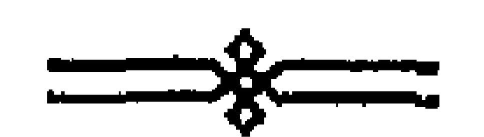
خلال سنتين، جمع السكان مبلغ ٦٥ ألف دولار بالتماس التبرعات وبيع السمك المقلي والهمبرغر وتنظيم المزادات العلنية. وباع مجلس المقاطعة أرضاً مشاعاً بمبلغ ٣٥ ألف دولار قدّم مساهمة في المشروع.

أما أعمال البناء فأنجزها متطوعون ليلا وفي عطل نهاية الاسبوع. واكتمل البناء الذي يضمّ عشر غرف في شهر أغسطس (آب) من العام ١٩٨٤ عشية موعد بدء التدريس.

ويقول جيمي غريشام الرئيس السابق لرابطة المعلمين والاهالي: "ليلة انتهينا من تشميع الأرض قدت شاحنتي الصغيرة عائداً الى البيت. ولم أتمالك نفسي، فهتفت بصوت عال حامداً الله على مساعدتنا لاجتياز تلك المرحلة الصعبة. لست أدري إن كان في وسع جماعات أخرى أن تؤدي عملا كهذا، لكنني أنصحها بالمحاولة. فهذا البناء جعل كل شخص في هيكوري فلات شديد الفخر."

وليم شميت

في "نيويورك تايمس" ■



رغبة نافذة!

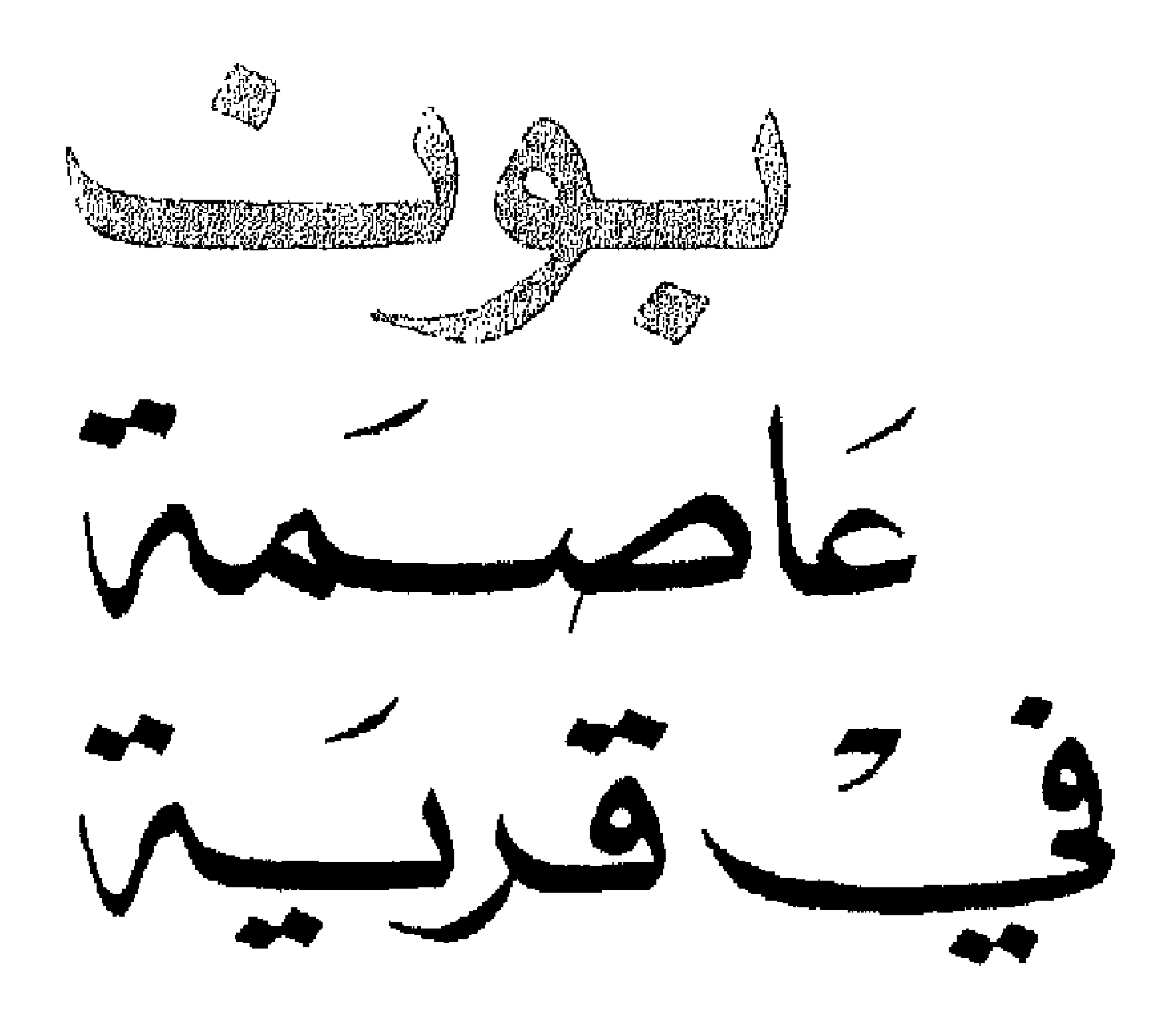
في مصلحة الماء حيث أعمل تحفظ طلبات ابدال العدادات القديمة في ملفات. وفي اسفل كل طلب مكان للملاحظات. وقد دون احد العمال الملاحظة الآتية: "الكلب لا يرغب في تغيير العدّاد."

ا.م.

نداء الغاب

في احدى رحلاتنا انهمك زوجي في شغل متواصل في المخيم، يقطع الحطب ويوقد النار ويسخّن الماء للاستحمام ولغسل الثياب والأطباق. وخيل اليّ، وهو يبدي هذا النشاط، انه يتمتع بكل دقيقة من وقته. الى أن سمعته يشكو الى أحد الاصدقاء: "لقد سخنت الكثير من الماء حتى بت أشعر كأني قابلة قانونية."

ف.م.

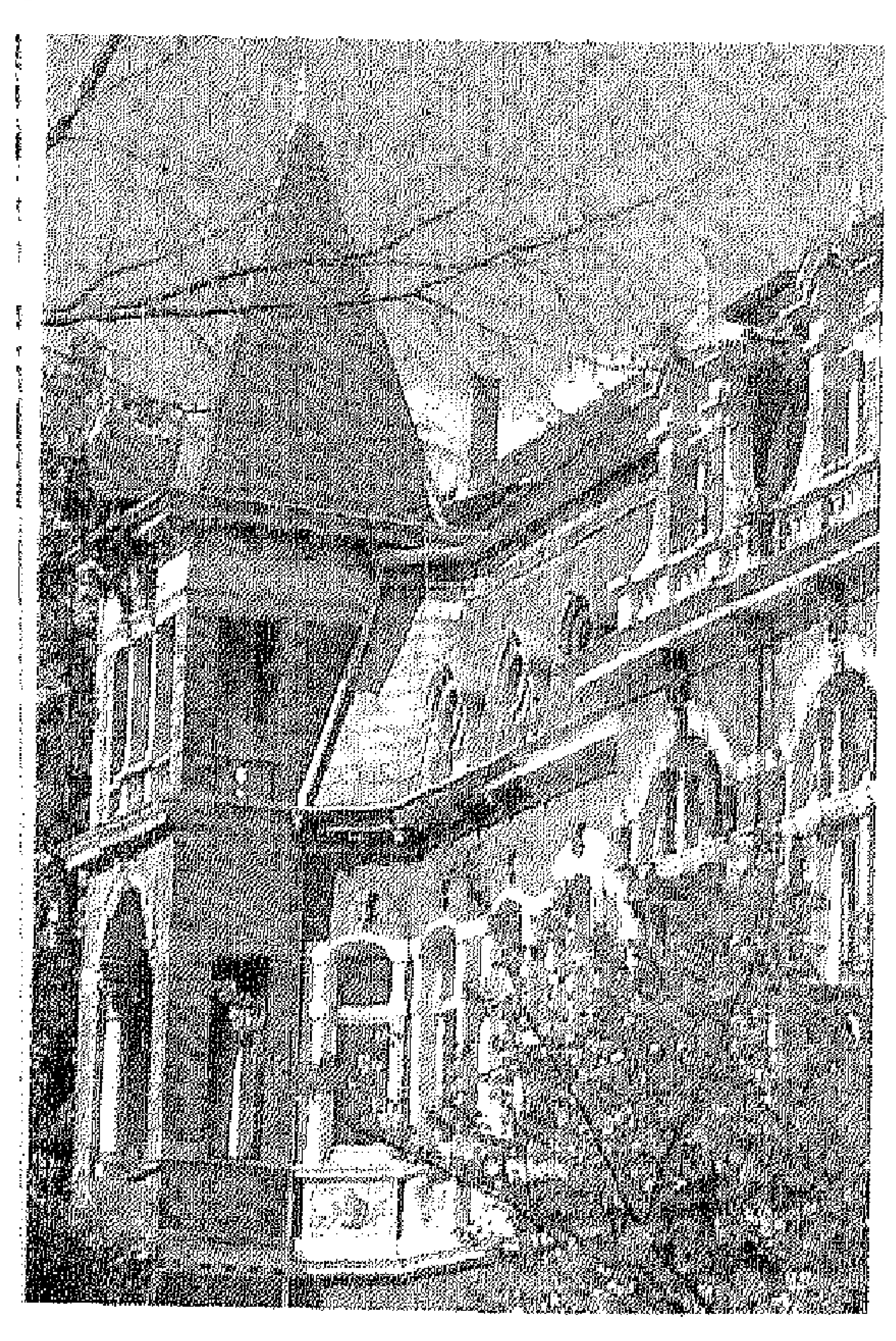


بون عاصمة في قرية

هذه المدينة
الالمانية الصغيرة
أصبحت مصادفة
مركزاً سياسياً وثقافياً مهماً

بون، إسم يلفظ في الاوساط الدولية بالنبرة نفسها التي تلفظ بها أسماء مدن مساوية لها من حيث المرتبة، مثل واشنطن وموسكو وروما وطوكيو. وتقف وراء هذا الاسم المكانة الدولية والقوة الاقتصادية لجمهورية المانيا الاتحادية.

ومع ذلك، هل قوبلت اي عاصمة اخرى بهذا المقدار من السخرية؟ فمساحة بون،



قصر رائع لأحد المتقاعدين الأغنياء يرجع الى القرن التاسع عشر.

كما ورد في نكتة قديمة، "توازي نصف مساحة مقبرة شيكاغو الرئيسية، ولكنها أموَت منها بضعفين." حتى السفارة البريطانية في بون وصفت بأنها "البعثة الديبلوماسية الانكليزية الوحيدة التي تقيم في حقل قمح." وكلا القولين يلمح الى صغر حجم بون النسبي، اذ تبلغ

Photo: Michael Sondermann / Presseamt der Stadt Bonn

مساحتها ١٤٠ كيلومتراً مربعاً ويصل عدد سكانها الى ٢٩٠ الفاً، كما انهما يشيران الى جوّها الريفي. ففي اي عاصمة اخرى تمكن مشاهدة قطيع من الخراف يرعى في مدى النظر من مبنى البرلمان؟

كيف اختطفت هذه "المدينة الصغيرة في المانيا،" كما وصفها ذات يوم الروائي جان لوكاريه، الاضواء الدولية؟ لقد حصل ذلك مصادفة!

ففي صيف ١٩٤٨ أعطى الحكام العسكريون التابعون للحلفاء تعليمات الى رؤساء حكومات المقاطعات الواقعة ضمن مناطق الاحتلال الامريكي والبريطاني والفرنسي، ليلتئموا في "مجلس نيابي" من اجل وضع مسودة دستور لحكومة المانية غربية. ووقع الاختيار على بون لكونها تملك التسهيلات الملائمة.

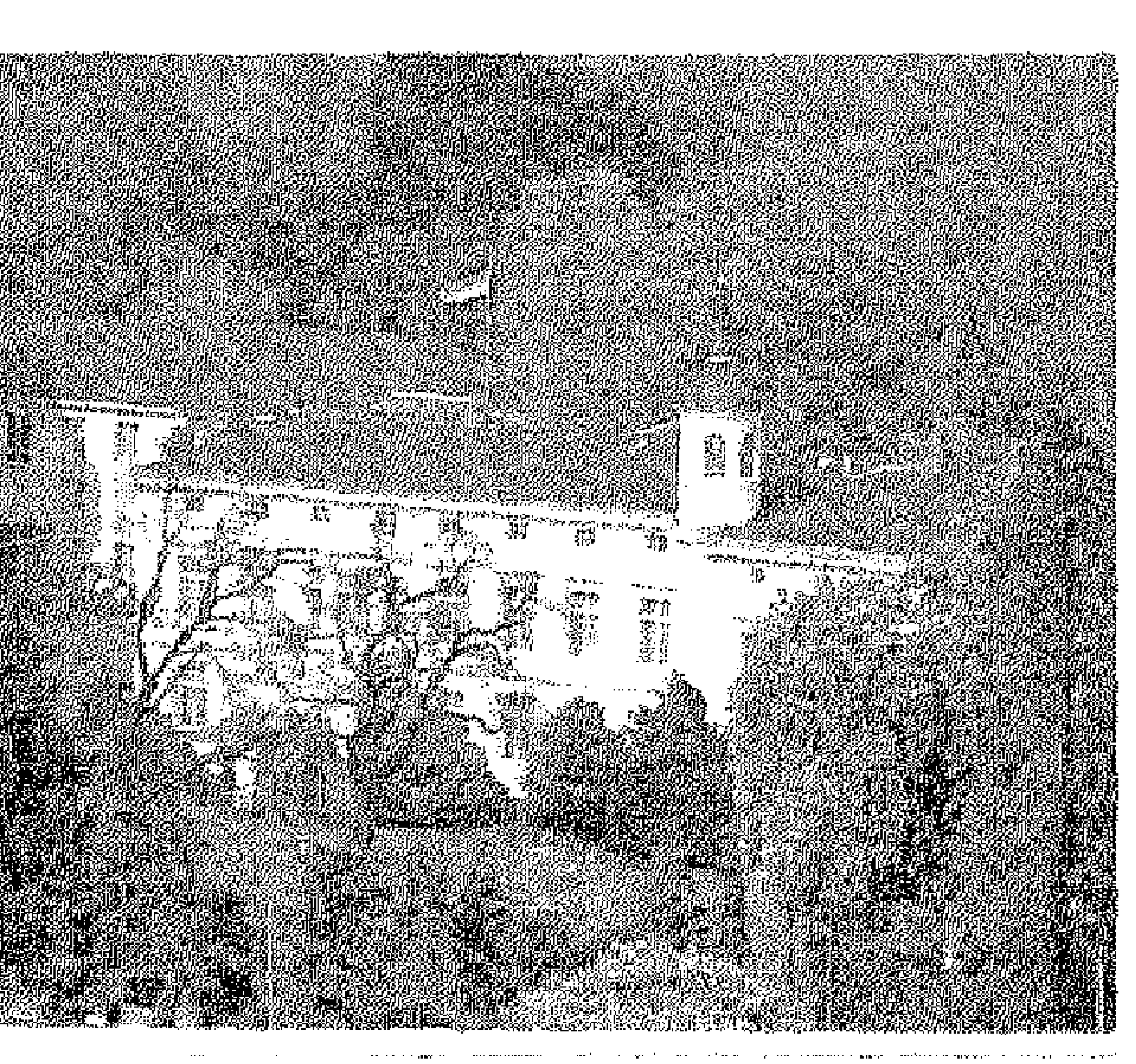
ضم المجلس ٦٥ عضواً ورأسه كونراد اديناور العمدة السابق لكولونيا. واقر الدستور في ٨ (مايو) ايار ١٩٤٩. ولم يبق امام هؤلاء سوى اختيار العاصمة. وبدت فرنكفورت الخيار الواضح، لكن اديناور قرر ان تكون بون هي العاصمة، لأنها سلمت نسبياً من الحرب في حين دمرت فرنكفورت بنسبة تزيد على ٥٠ في المئة. وشدد اديناور، في اختياره بون، على موقعها "الحيادي" فضلا عن الاعتبارات المالية.

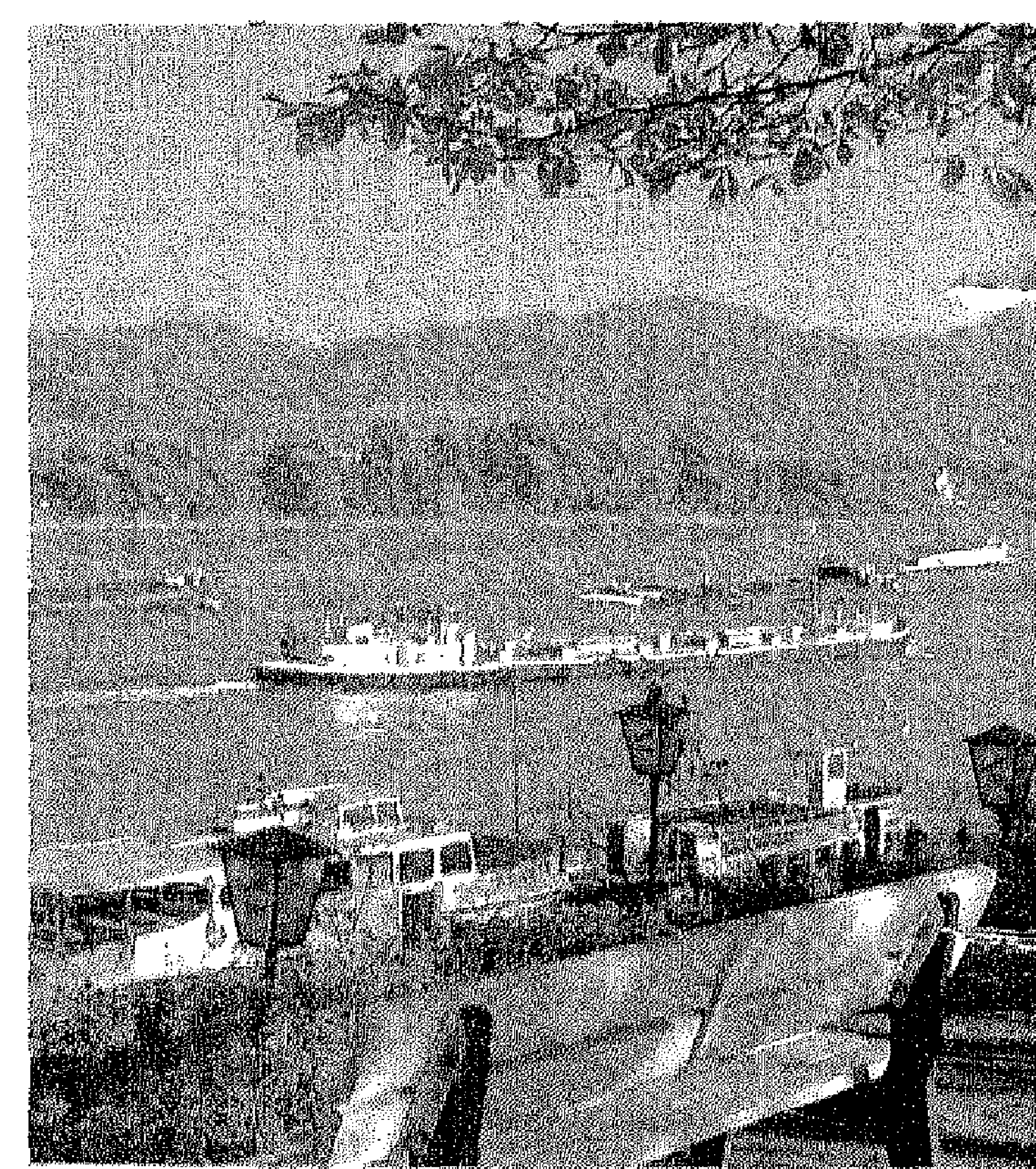
غير انه كان هناك المزيد من الأمور المعقدة. فقد اعتبرت جمهورية المانيا الاتحادية الجديدة، دولة موقتة الى ان يعاد توحيد الالمانيتين (الغربية والشرقية) وتعاد برلين عاصمة للدولة الموحدة. وهكذا تعهدت بون الا تكون سوى بديل موقت. وبدت، بسبب طابعها الريفي، بعيدة عن واقع العاصمة الحقيقية، التي ربما رمزت عندئذ الى استمرار انقسام المانيا بعد الحرب. وفي ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٩، واثر مناقشات عدة قرر البرلمان ان يبقى حيث هو، أي في بون. وهكذا يكون خيار النواب وقع على واحدة من أقدم المدن الالمانية.

وعندما ستحتفل بون سنة ١٩٨٩ بالذكرى الأربعين لتسميتها عاصمة اتحادية، ستحتفل ايضا بمرور الفي عام على نشوئها كمستوطنة مدينية. ويعود اسم بون الى ما قبل الرومان. وقرابة العام ٧٠ كانت "بونا" تشكل معسكراً محصناً ومهماً بالنسبة الى المؤرخ الروماني كورنيليوس تاسيتوس ليذكرها في الكتب التي دوّنها. بعد الرومان، جاء الفرنكيون وبعدهم البافاريون ثم الفرنسيون فالبروسيون.

ولم تحظ غالبية الحكام بشعبية كبيرة من سكان أراضي الراين. حتى أن بعضهم، ومنهم نابوليون، قوبل ببغض شديد. ولا عجب في ذلك، اذ لعبت جامعة بون، منذ تأسيسها عام ١٨١٨، دوراً عمليا في ثورة ١٨٤٨ في المانيا. وهي كانت المحاولة الاولى لاقامة الديموقراطية وتحقيق الوحدة في المانيا.

أما بقية القرن التاسع عشر، فانقضت بهدوء في بون. اذ جذبت المدينة المتقاعدين الأغنياء بفضل جمال بيئتها، وخصوصاً هضابها الخضراء الخصبة ونهر الراين المهيب ومياه باد غودسبرغ الشافية، فضلا عن طقسها المعتدل.





فوق: ساحة سوق بون النابضة بالحياة. تحت: قصر شاومبرغ مقر مستشارية المانيا الاتحادية حتى العام ١٩٧٦. الى اليمين: الراين وهضاب زيبنغبرغيه.

Photos: Bildarchiv Hans Huber

وقبل الحرب العالمية الأولى، كان يقيم في بون ما لا يقل عن ١٣٠ متقاعداً ثرياً بنوا كل القصور والدور الفخمة التي تستعمل اليوم اما مقرات لسفارات اجنبية واما مساكن للسفراء او مكاتب تابعة لحكومة المانيا الغربية، ومن أشهر هذه القصور والمنازل، ڤيلا همرشميت المعروفة بـ"البيت الابيض على الراين" وهي مقر رئيس المانيا الاتحادية ومكتبه منذ العام ١٩٥٠. وتقع في ارض مسيّجة تبلغ مساحتها أربعة هكتارات. ويجاورها قصر شاومبرغ الذي ظل مقراً لمستشارية المانيا الاتحادية الى أن نقل المقر عام ١٩٧٦ الى مبنى حديث يقع على بعد امتار عدة الى الجنوب من القصر.

في الواقع، سجلت السبعينات تحولا في سياسة المانيا. فقد بقيت بون مدة ٢٠ سنة فاصلة بغيضة في السعي الى اعادة توحيد الالمانيتين. وبدلا من أن تبني الحكومة المكاتب او تشتريها، عمدت الى استئجارها. وهي التي شجعت السفارات والجماعات الضاغطة ووكالات الأنباء على أن تحذو حذوها. فأقامت وزارات في ثكن، استعملت بدائل موقتة. واستمر هذا الوضع حتى العام ١٩٧٠ حين أقرّت حكومة المستشار ڤيلي برانت الجديدة بوجود المانيتين اصبحتا عضوين كاملين ومستقلين في الأمم المتحدة واعترف العالم بهما ديبلوماسياً.

وفجأة توافق الجميع على أنه يجب أن يكون لبون على الأقل، حرم حكومي معترف به يضم مباني تعبّر عن دور المانيا الغربية في العالم. ونصّ عقد وقّع بين حكومة المانيا الاتحادية ومقاطعة الراين الشمالي - فستفاليا وادارة المدينة، على توفير تمويل منتظم لبون وتطويرها كعاصمة دائمة. وعام ١٩٦٩ شيد مبنى من ٢٩ طبقة خصص للنواب. وبنيت مذذاك دور للوزارات والسفارات والاحزاب، اضافة الى الفنادق والمركز الصحافي. واليوم يجري العمل على تجديد مبنى البرلمان الذي هو من طراز "باوهاوس".

ومع ذلك فان بون ليست مدينة بمقدار ما هي مجموعة من ثلاث مدن صغيرة هي: بون نفسها وبويل على ضفة النهر المقابلة ومنتجع باد غودسبرغ اللطيف. وتتألف هذه المدن من ٣٧ قرية ودسكرة تمتد مسافة ٢٧ كيلومتراً على طول ضفتي نهر الراين. ولكل من هذه القرى ميزاتها الخاصة وطابعها المعماري.

وهكذا فان ما يصح في بون يصح ايضاً في موفندورف التي هي مثال القرية الصغيرة ذات الشوارع الضيقة المرصوفة بالحصى والمنازل الرائعة نصف الخشبية. ويصح كذلك في شفارتز - رايندورف وفي كيسنيخ وكرويتسبرغ وبوبلزدورف الشهيرة بقصرها المبني في القرن الثامن عشر والذي يعتبر مدخلا الى حديقة النبات.

ان الكلام الذي يقال عن بون، يصحّ ايضاً في ثلاثة مجتمعات متميزة تطورت منذ العام ١٩٤٩. اولها مجتمع أهالي بون الحقيقيين المعروفين باسم "بونشيه" والذين يشكلون قرابة ٦٠ في المئة من سكان المدينة. ويعمل عدد كبير منهم في الصناعات المتوسطة الحجم مثل الحلوى ومستحضرات التجميل والأدوية والأسمنت والادوات الموسيقية (خصوصاً الارغن)

Photo: Michael Sondermann / Presseamt der Stadt Bonn



بون الأخرى: موفندورف، القرية الصغيرة بشوارعها الضيقة المرصوفة بالحصى ومنازلها الرائعة نصف الخشبية.

والالمنيوم والاجهزة الكهربائية. ويعمل البعض الآخر في الحرف الصغيرة والتجارة والمهن الحرة.

ثم هناك الأربعون ألف طالب الذين يقصدون بون من كل انحاء المانيا الغربية، والاساتذة الجامعيون والموظفون الاداريون البالغ عددهم سبعة آلاف.

وأخيراً هناك نحو ٧٠ الفاً بين سياسي وموظف رسمي ودبلوماسي وصحافي وعضو في جماعات ضاغطة وعاملين معها. وان غالبية النواب البالغ عددهم ٥٢٠ يقيمون في شقق صغيرة جداً ٤ ايام في الاسبوع (الثلثاء حتى الجمعة) عندما يكون البرلمان ملتئماً، متجاهلين بون الحقيقية. وبين هؤلاء عدد كبير لم يعرف ابداً الوسط التجاري في المدينة. وينطبق هذا الوضع على الآلاف الذين يزورون بون سنوياً من أجل أعمالهم.

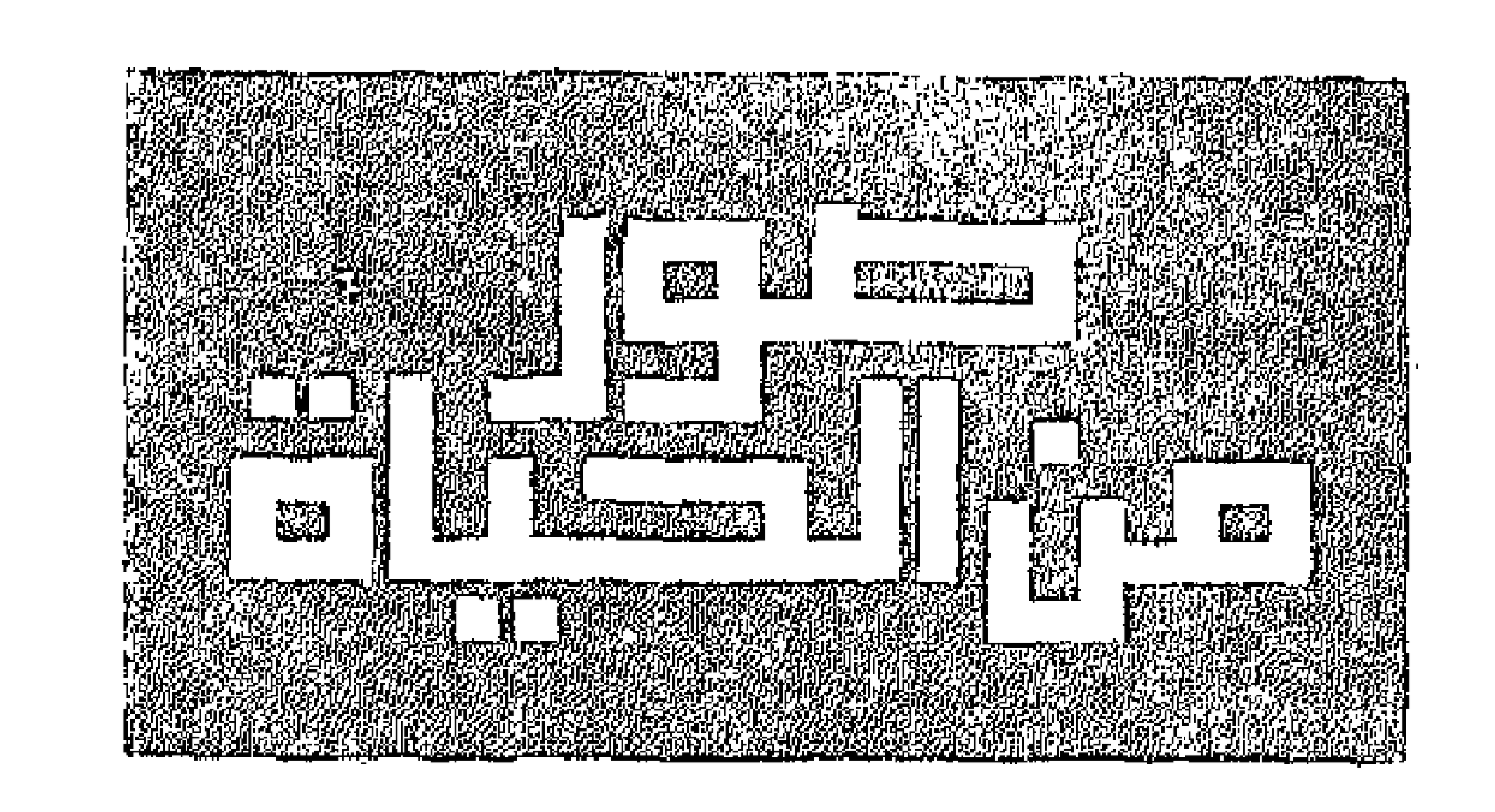
أما السائح، فيتجول في بون الحقيقية، في ساحة السوق النابضة بالحياة. سِرْ على مهل على طول أوسع متنزه للمشاة في البلد حيث ينتشر الموسيقيون والعازفون الهواة. شاهد القصر البلدي القديم ذا الطراز الباروكي الجميل، والمنزل الذي ولد فيه بيتهوفن. ثم قم برحلة في مركب على الراين، واقصد سوق السلع الرخيصة الأكثر شعبية في المانيا والتي تقام في "راينوربارك" بين ابريل (نيسان) وسبتمبر (أيلول) كل ثالث سبت من الشهر. وفي المساء إحضر الحفلات الموسيقية التي تؤديها اوركسترا بيتسبورغ السمفونية وغيرها اضافة الى مجموعات الموسيقيين العالميين والعازفين المنفردين.

واليوم اصبحت بون، بفضل التبدل في المواقف المحلية ووجهات النظر السياسية، احدى مدن المانيا الاكثر سحراً، تنبض بروح مجتمع حديث وتزخر بنشاطات ثقافية بارزة، كما انها اصبحت غنية من حيث مستوى الحياة.

جون دورنبرغ ■

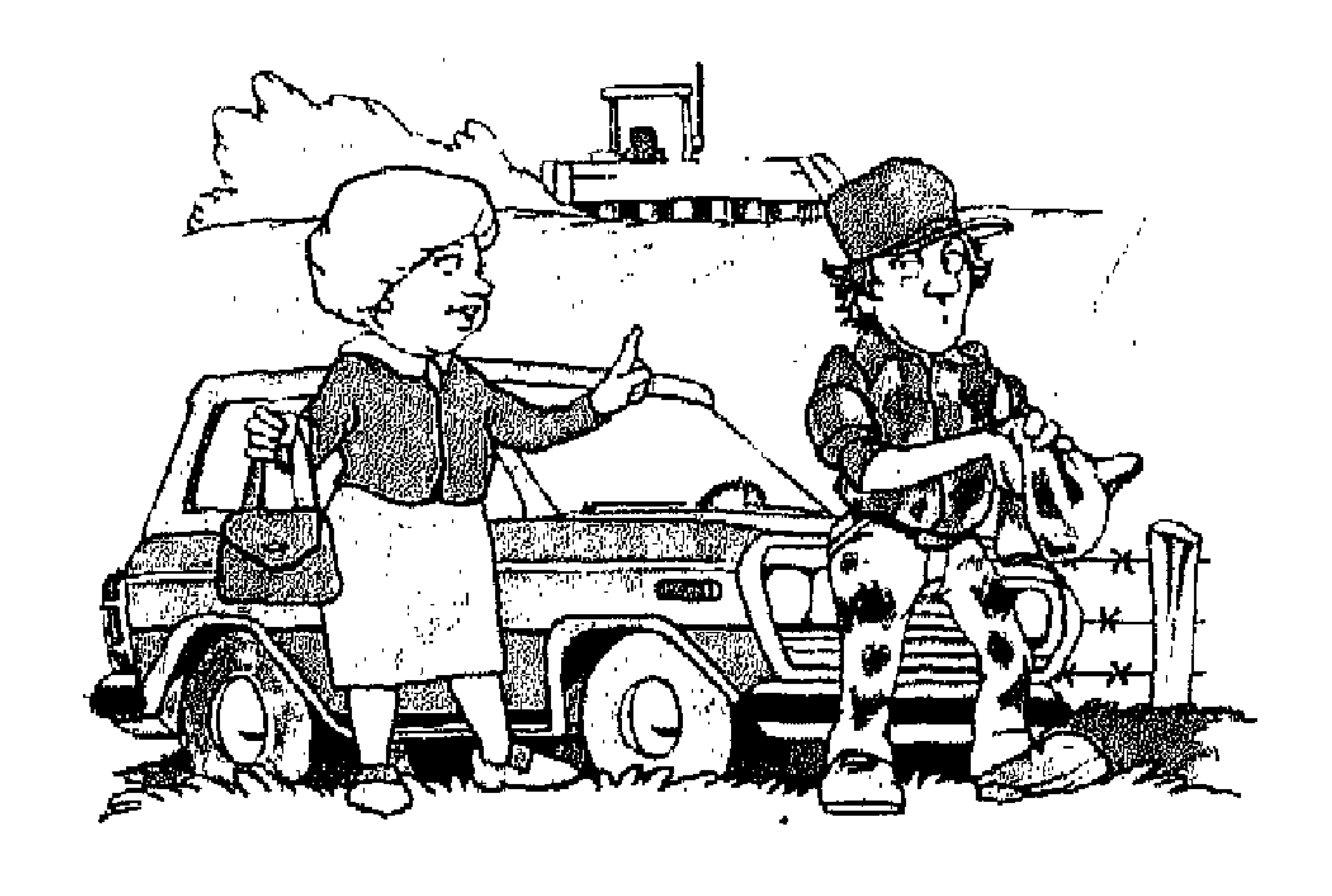
الحياة من دون أعياد كالطريق الطويلة الخالية من أي نزل.

ديموقريطس، فيلسوف يوناني



اللياقة فن!

أوقف رجل شاحنته على جانب الطريق لكي يساعد امرأة تعطلت سيارتها. ثم توجه الى المدينة واشترى قطع الغيار اللازمة وأصلح لها السيارة.
وفيما هو يتأهب لمغادرة المكان تقدمت منه السيدة وعرضت عليه مبلغاً



من المال. فأجابها: "لا يا سيدتي. فربما ساعدتني يوماً ونقلتني في سيارتك اذا تعطلت شاحنتي القديمة."
فنظرت المرأة ملياً الى ثيابه الملطخة ببقع الزيت والشحم، والى ذقنه التي لم تعرف الحلاقة منذ أيام، وقالت له: "الافضل ان تقبل ما أدفعه لك، فانني لن أنقل في سيارتي شخصاً في مثل هيئتك."

ر.ن.

استاذ قصير النظر

اعتاد احد اساتذتنا طرح كثير من الاسئلة الصعبة في محاضراته. ولما كان مصاباً بقصر نظر اعجزه عن رؤية الجالسين في النصف الخلفي من القاعة، فقد اعتاد الطلاب ان يهربوا من الاسئلة بالجلوس في آخر القاعة حيث لا تمكنه رؤيتهم. وفي احد الايام، بينما كان الجميع يتزاحمون عل الامكنة المفضلة في آخر القاعة، ارتفع صوت احدهم محذراً: "من يأتِ متأخراً يتحمل المسؤولية أويجلس في مرمى الاسئلة."

عزت ابو العينين حسين
طنطا، جمهورية مصر العربية

حديث على الهاتف

كنت أرتاد الأماكن التي تلذ النظر في مدينة نيويورك. وأردت معرفة الوقت، فتواريت داخل حجيرة للهاتف وأدرت القرص على الصفر. وجاءني صوت أنثوي على الطرف الآخر: "هنا الاستعلامات، ماذا تريد؟"
سألتها: "أيمكنك ان تخبريني كم الساعة من فضلك؟"
أجابت: "لا يسمح لنا بافشاء هذه المعلومات. اطلب الاستعلامات العامة واسأل عن الرقم الذي يعطي الوقت، ثم ادر القرص على ذلك الرقم."
واذ لم أرغب في اجراء مكالمة هاتفية أخرى، سألتها: "لكن الا تضعين ساعة على معصمك؟"
وران صمت خاطف تلاه تنهد. قالت: "انها الخامسة والنصف، لكنك لم تسمعها مني!" وأنهت المكالمة.

م.و.



نيدو الحليب الأفضل
INSTANT
NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
Lait entier en poudre
Full cream powdered milk
حليب مجفف كامل الدسم
نيدو الأفضل طعماً، الأسرع ذوباناً، الأضمن نتيجة والأوسع إنتشاراً.
نيدو السريع الذوبان: ضمانة أكيدة لنمو أولادكم.
Nestlé
نستله

نيفادو دل رويز

وادي ريو لاغونيلا

آرميرو

مجرى سيل الوحل.
الى اليسار أوميرا سانشيز
سجينة تحت أنقاض بيتها.



تساقط نثار من الرماد على المدينة ثم هطل
أغرب مطر عرفته البلاد

بركان نيفادو دل رويز الذي يبلغ ارتفاعه ٥٤٠٠ متر والواقع على بعد ٥٠ كيلومتراً من آرميرو المدينة الكولومبية الهادئة، بقي خامداً طوال ١٤٠ سنة. وفي شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤، أخذ البركان يظهر نشاطاً اهتزازياً ثم بدأ ينفث أدخنة وغازات وبخار ماء ويهدر بقوة ملايين الاطنان من الصخور المصهورة في جوف الارض. وبحلول شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٨٥، راح الثلج المتراكم على قمّة البركان يذوب وتساقط نثار من الرماد فوق منطقة واسعة. وفي ١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) انفجر البركان ناراً وماء وتراباً انهمرت على آرميرو في شكل جدار زاحف من الوحل، بارد في البداية ثم محرق في ما بعد. وقد دفنت هذه الثورة البركانية مدينة آرميرو و٢٠ الفاً من سكانها، بينهم ٨٠٠٠ طفل، تحت سيل من الحمم والحطام البركاني بلغ عمقه خمسة أمتار.

الناجون من هذه الكارثة، ومنقذوهم، رووا قصصاً بطولية مذهلة. وهنا تقرير خاص جمع من مصادر كولومبية ومكسيكية وأمريكية وأوروبية.

أغرب مطر

الساعة الخامسة تساقط نثار من الرماد الدقيق تلاه سيل عارم. وفجأة أنحبس المطر وبدأ يهطل أغرب وابل في تاريخ كولومبيا: شؤبوب من الرمل الدقيق الساخن.

الساعة العاشرة والنصف توقف هطول الرمل، وغمرت المدينة رائحة كبريت قوية فخرج الناس الى الشوارع وقد استبد بهم الهلع. وأخذ يلف المدينة ضجيج يشبه صوت جسم جلدي ضخم يُجَرّ فوق واد صخري.

زاد دييغو اوريبي لوندونيو سرعة شاحنته الصغيرة التي امتلأت بأناس تسلقوها. وألقى رجل يمتطي دراجة نارية بفتاة صغيرة داخل الشاحنة. كما تعلّق شابان على جانبيها. ورأى أوريبي من خلال المرآة العاكسة موجة من الوحل والماء تلاحقه. فضغط دواسة الوقود الى حدها الاقصى وانحرف في الطريق المؤدية الى ماريكيتا.

ظلت موجة الوحل المتعاظمة تطارده مسافة ثلاثة كيلومترات. عندئذ قاد شاحنته صعوداً الى قمة تل مرتفع حيث قضى ركابها الليل وهم ينصتون الى شبح الموت القريب منهم.

جيرمان سانتاماريا

في صحيفة "إل تيمبو"، بوغوتا ■

نهاية العالم

ذلك الانفجار في جوف القمة الوعرة المكسوة بالثلج في جبال الأندس نجم عن تجمع كبير لصخور مصهورة وغازات محبوسة سبّبه تحرك اثنتين من طبقات الارض. الانفجار الاول قذف بالبخار وملايين الاطنان من الرماد عالياً في جو الأندس. وكان الانفجار الثاني من القوة بحيث جعل الهواء يهتز في كالي التي

Illustration: Bonneville / Paris Match. Photo: J. Langevin / Sygma

تقع على بعد ٢٤٠ كيلومتراً الى الجنوب الغربي من آرميرو.

وبدأت الصخور المصهورة ذات الحرارة العالية جداً في جوف نيفادو دل رويز تذيب الطبقة الكثيفة من الثلج والجليد التي تغطي القمة. وتحول وشل شحيح من الماء القذر سيلا هائلا من الاوحال والحجار والرماد والحطام بقشرة تراوح كثافتها بين ٥ امتار و٣٥ متراً، واندفع منحدراً فوق السفوح الحادة بسرعة وصلت احياناً الى ٥٠ كيلومتراً في الساعة.

وعلى بعد نحو ٥٠ كيلومتراً من نيفادو دل رويز، في جوار وادي نهر لاغونيا، تقع مدينة آرميرو. وهي مركز زراعي مزدهر.

كانت الامطار الغزيرة التي انهمرت طوال ثلاثة أيام ادت الى فيضان النهر في وقت انقض الموت الصاعق على المنحدر الجبلي. وخلال بضع دقائق من ليلة الاربعاء اختفت تلك الحياة الرغيدة من المنطقة. ويستعيد أحد الناجين ذكرى تلك الليلة: "زحفت الموجة على المدينة ورافقها صوت يشبه النواح. ثم بدأت المنازل تتصدع تحت وطأة نهر الوحل الزاحف. وبدا كأننا نشهد نهاية العالم."

جورج رصل

في "تايم" ■

العمدة

كان رامون انطونيو رودريغز، عمدة آرميرو، اقترح قبل شهرين اخلاء المدينة فلم يصغ اليه احد. ويوم الكارثة وجه العمدة، وهو خبير في البث اللاسلكي للهواة، اربعة نداءات اخيرة كان احدها موجهاً الى خطيبته اورورا آرياس التي كانت في مدينة ايباغوي عاصمة المقاطعة التي تقع على بعد ٨٤ كيلومتراً من آرميرو. كان ذلك الساعة الحادية عشرة ليلا. وقال لها: "الوضع هنا خطير. سيكون من الضروري اخلاء المدينة." فسألته: "لماذا لا تأتي الى ايباغوي الآن؟" فاجابها: "لا... علي أن أساعد الناس للخروج من المدينة. وسأكون آخر من يخرج منها."

وكان العمدة احد الاوائل الذين التهمهم سيل الوحل الجارف.

رامون ماركيز

في صحيفة "اوناماسونو"، مدينة مكسيكو ■

وحل ونار

اوسفالدو ايشيفري آلمانزا (٢٦ عاماً) رئيس دائرة المستخدمين في مستشفى آرميرو، استيقظ حين كان الرمل البركاني ينهمر. فهرع الى المستشفى لينذر الموظفين، الا أن زملاءه لم يلقوا اليه بالا. أما في الشوارع خارجاً فكان ٥٠٠ شخص يركضون هرباً من سيل مندفع من الوحل والصخور. فانضم ايشيفري اليهم وعدا مسافة ٥٠٠ متر، واذ بسيل آخر يظهر الى يساره. غير أن الوحل حوّل اتجاهه، وبأعجوبة وجد نفسه على بقعة صغيرة من الارض مع قرابة ١٥٠٠ شخص آخرين.

بائع الفاكهة والخضر لويس فنسنت سواريز (٢٤ عاماً) كان لا يزال نائماً هو وزوجته الحامل في شهرها الخامس حين سمع أصواتاً تهيب به أن ينهض. فامسك

بيد زوجته وركضا نحو ملعب آرميرو حيث احتشد نحو ٣٠٠ شخص. وقبل أن يتسنى لهما ولوج المدخل رفعهما دفق من الوحل اللاهب فأحترق ظهر سواريز وانفصل عن زوجته، وحمله الوحل الزاحف الى مدينة غوايابال التي تبعد عن آرميرو مسافة ٨ كيلومترات. وهناك تمسك بحركة يائسة بغصن شجرة وبقي متعلقاً به حتى أنقذ عند بزوغ فجر اليوم التالي.

جوزف كونتريراس

في "نيوزويك" ■

طفلة من ورق

ماريا آليسيا مونيوس كوريدور كانت فرغت للتو من اطعام طفلتها البالغة من العمر ١٨ شهراً وأسمها بيبي. وفجأة شعرت بسقوط شيء ضخم أعقبه صراخ وعويل. فهرولت وحملت بيبي تحت ذراع وكارلوس، أبنها، تحت الاخرى. والفت نفسها فجأة تعوم في بحر من الاوحال وهي تضم ابنتها بين ذراعيها فيما ابنها يكاد يختفي عن نظرها.

وطغت موجة من الوحل والحجار انتزعت بيبي من أمها. ولدقائق ظلت ماريا آليسيا قادرة على رؤية الطفلة عائمة كقطعة من الورق على سطح الماء وهي تبكي. وتمكنت من الوصول اليها مرتين ولامست يديها بضع مرات، ولكن في كل مرة كان الوحل اللزج يسحب الطفلة. واخيراً ابتلعتها موجة من الحصى."

كريس آنجيلو

في "اسوشييتد برس" ■

شوكولاتة بالدخان

بعد ٢٤ يوماً على الكارثة حصل ألبرتو نونييز على اذن خاص للذهاب الى بيته ومحاولة انقاذ ما امكنه من محتوياته. وفي الطرف الآخر من بحر الوحل الذي بدا كأنه شاطىء أغبر لا نهاية له، رأى عموداً رفيعاً من الدخان يتصاعد من كوخ نصف مغمور بالوحل.

سار نونييز بحذر نحو الكوخ متحاشياً الوحل. وعلى مسافة ٥٠ متراً منه عبقت رائحة كولومبية جداً في أنفه، انها رائحة شوكولاتة ممزوجة بدخان نار مكشوفة. ووجد داخل الكوخ ماريا روزا ألفيرا اشيفري (٧٥ عاماً) ذات الوجه المتغضن وقد بقيت على قيد الحياة بفضل قطع الشوكولاتة وبعض الرز قدمها اليها جيرانها واصدقاؤها. كانت تطهو الحفنة الاخيرة من الرز والقطعة الاخيرة من الشوكولاتة حين تم انقاذها.

فابيو كاسترو

في "نوفيدادس" ووكالة الصحافة الفرنسية ■

سباحة في الوحل

الوحل الذي غمر آرميرو كان أسود وظل ساخناً حتى اليوم التالي وهو يترامى على التلال والجرف كأنه بحر زاخر. وعندما توجه فريق الانقاذ الذي رافقته نحو المدينة عبر الحقول المغمورة بالاوحال كنا نرى قوائم مواش نافقة. وشاهدنا ناجين جالسين على رؤوس التلال ومتعلقين بالاشجار. وكان هناك رجل نجا من الغرق بالسباحة على سطح الوحل حتى

تسنى له أن يتمسك بشجرة. وبدا أثر الصدمة عليه من خلال الرجفة التي كانت ترافق كلامه. فوضع يديه على رأسه وقال: "يا ألهي، أين زوجتي؟ اين ابنتاي؟ اين ابني؟ كنت أضمه بين ذراعي. هل رأيتموه؟"

في ليريدا، على بعد ١٢ كيلومترا من آرميرو، أقام الجيش قاعدة للطائرات المروحية حيث كان المصابون اصابات بالغة ينقلون للمعالجة. مئات من اقارب المصابين كانوا ينتظرون خارج السور المحروس في صمت يقطعه نشيج متواصل.

وما كانوا ليتكلموا الا حين تخرج سيارة اسعاف أو يخرج حملة المحفات بناج مصاب. حينئذ كان صراخ مخنوق ينطلق: "من هو؟ بحق الله، من هو؟" وكان حملة المحفّات يصرخون منادين بالاسماء وهم يواصلون العدو.

طوني جنكنز

في "الفارديان" ■

طفل من صلصال

انقضت ٦٥ ساعة على وقوع الكارثة. كنا نحلّق على مستوى سطح الاوحال القذرة تقريباً باحثين عن ناجين. رأيت ما يشبه جثة طفل ملتف على نفسه في الوحل ويداه بين ساقيه وعيناه مفتحتان كما لو كان متحجراً، وهو عار تماما ومتروك. وفجأة رأيته يتحرك. فصرخت بالطيار بما يشبه زعقة من هو مشرف على الموت. يا الهي! شكرا لك! انه حي! انه حي! وفجأة وقف الطفل على قدميه، وتذكرت أني مصور صحافي... واخذت التقط صور أسعد لحظة في حياتي.

المنقذان أوفيليا مونتيس وآلفارو آغوديلو رفعاه وأخذته اوفيليا بين ذراعيها تلاطفه بحنان. وراح الولد يبكي ويسأل بلهفة: "اين أمي؟ أين أمي؟ انا اسمي غييرمو باييز. أنا جائع... جائع جدا."

قدمت اليه أوفيليا قطعة من الخبز مع نقانق. وبدا لنا كأنه تمثال من صلصال هب فجأة الى الحياة في واحدة من القصص الاسطورية. وحين رفعت نظري لاحظت أننا كنا جميعاً نبكي.

جورج بارغا

في "إل تيمبو" ■

"بومبيي الآندس"

تجاوز الكولومبيون كل حد في سخائهم. فالقرويون في ليريدا جادوا بكل ما يملكون على جيرانهم المتضررين الذين كان كثيرون منهم عراة ويغطي اجسادهم الوحل حين انقذوا. وفي بوغوتا وقف ٥٠٠٠ شخص في صف طويل على مدى ساعات ليتبرعوا بالدم. وارسل سكان الاحياء الفقيرة كميات كبيرة من الالبسة. واتصل مئات بمحطات الاذاعة عارضين تقديم بيوتهم للناجين.

العون الدولي كان مؤثراً كذلك. فقد أرسلت الولايات المتحدة ١٢ طائرة مروحية اضافة الى الطعام والدواء ومعدات الانقاذ والمولدات الكهربائية والخيام والأغطية الصوفية وأجهزة الراديو والمال. وساهمت فرنسا والمانيا الغربية

واسبانيا بأطباء ومعدات وأدوية واغطية وخيام وطعام ومال. والمكسيك التي تلقت عونا من كولومبيا حين ضربتها الزلازل اخيراً ودمرت مدينة مكسيكو وألحقت اضراراً جسيمة بمدن وقرى اخرى في داخل البلاد، ردت الجميل بأطباء وأدوية ومستشفى ميداني لمواطني "بومبيي(★) جبال الاندس."

بيني ليرنوكس

في "كريستشان ساينس مونيتور" ■

(★) اشارة الى مدينة بومبيي الايطالية التي دمرها بركان فيزوف عام ٧٩.

اوميرا البطلة

كانت اوميرا سانشيز (١٣ عاماً) الأولى في صفها، وكانت تلعب مع فريق كرة السلة في المدرسة. وحين عثر عليها كانت انتظرت النجدة مدة ١٣ ساعة. فقد حبست الفتاة تحت انقاض بيتها، فغمرها الوحل والحطام حتى خصرها، واعاقت تحرك رأسها لوحة من الاسمنت. ومع بزوغ فجر الجمعة فرغ المنقذون من تحطيم لوحة الاسمنت وحاولوا رفع الانقاض. غير أن الماء تدفق وغمر الفتاة حتى الخصر، فوضع المنقذون تحت ابطيها اطاراً منفوخاً من المطاط. وسألت اوميرا عن اليوم الذي هي فيه، وحين قيل لها انه الجمعة هتفت: "فاتني يوم من المدرسة. سوف أخسر هذا الفصل." وظل مستوى الماء يرتفع، وبات من الواضح أن الأمر يتطلب مضخة لن تصل قبل اليوم التالي.

وسجلت آلات التصوير التلفزيونية محنة الفتاة التي غدت بطلة وطنية وعلقت صورها على جدران المدارس في أرجاء كولومبيا.

تمتمت اوميرا: "أحس بالبرد... فقدت الشعور بجسدي." وقضى رجال الانقاذ الليلة التالية معها في الماء محاولين بعث الدفء في اوصالها.

الساعة الثامنة صباحاً أحضرت طائرة مروحية مضخة ماء من بوغوتا.

أخذ مستوى الماء يهبط ببطء. ورأى طبيب ان بتر الساقين فوق الركبة يبدو ممكناً من أجل انقاذ حياة الفتاة. على اي حال فان اوميرا كانت أضعف من ان تحتمل ذلك ولم يكن لدى المنقذين اي معدات لاجراء مثل هذه الجراحة. وهكذا كانت الفتاة على درب الموت. غسل المنقذون وجهها ومشطوا شعرها بعناية وهم يبكون.

الساعة التاسعة والنصف صباحاً هوى رأسها الصغير الأسمر بهدوء فوق صدرها. ولفظت انفاسها.

ميشال بيرار

في "باري ماتش" ■

رائعة جديدة في "ديزني وورلد" يتحول فيها الزائر رائد أعماق يستكشف عجائب المحيطات



فوق، أكواريوم البحار الحيّة.
الى اليمين، غواص في الحجرة المغلقة.

جديد والت ديزني

«البحار الحيّة»

كان والت ديزني يفخر دائماً بمركباته التي تستخدم في رحلات "ديزني لاند" تحت الماء، وكان يخاطب زوار المتنزه الرئيسي في أناهايم بكاليفورنيا: "إن اسطول غواصاتي هو ثامن الاساطيل الكبرى في العالم."

أمّا اليوم فقد افتتح مشروع جديد هو "البحار الحيّة" في مركز "إبكوت" التابع لمتنزه "ديزني وورلد" في أورلاندو بولاية فلوريدا. ولو كان ديزني حياً لدعاه "سادس المحيطات الكبرى في العالم."

البحار الحيّة هي أكبر أكواريوم(١) في

(١) الاكواريوم مَربى مائي.

Photos: Courtesy Walt Disney Productions

العالم، اذ يبلغ قطرها ٦٢ متراً وعمقها ثمانية أمتار وتحوي أكثر من ٢٠،٨ مليون ليتر من الماء. أما ثانيه فهو الاكواريوم الوطني في بلتيمور بولاية ماريلاند، ويحوي ٤،٥ ملايين ليتر من الماء. وثمة ٥٠٠٠ عينة من الكائنات البحرية الحية في أكواريوم بلتيمور في حين يضم أكواريوم البحار الحيّة ٦٥٠٠ عيّنة، علماً أن العدد سيزداد تدريجاً. والجدير ذكره أن "محيط" ديزني كبير جداً بحيث يمكنك أن تقف أمام احدى نوافذه على عمق سبعة أمتار وتراقب الغواصين يتوارون في البعيد.

فكرة رائعة – بدأت حكاية أكواريوم البحار الحيّة مع كيم مورفي مدير قسم التكنولوجيا البحرية في شركة والت ديزني ومدير أكواريوم البحار الحية. ولد مورفي في ١٠ فبراير (شباط) ١٩٤١، وأحب المحيط منذ نعومة أظفاره.

أول اتصال أجرته مؤسسة ديزني مع مورفي بصفته مستشاراً في علم البحار كان في العام ١٩٧٥. وحينئذ كان مركز "إبكوت" الذي افتتح في العام ١٩٨٢ لا يزال في مرحلة التخطيط، وكان المصممون يفكرون في مشروع بحري يشمل حوريات وجزيرة أطلنطيد الغارقة. وخياليّو والت ديزني جماعة فريدة تضم فنانين ومهندسين ومعماريين، وهم طلبوا من مورفي الانضمام اليهم. وشعر مورفي بالزهو لكنه رفض العرض مفضلا التركيز على أعماله، وبدا أن رفضه كان من حسن الحظ.

عندما صوّرت شركة "كولومبيا" السينمائية رواية "العمق"(٢) للكاتب بيتر بنشلي عمل معه مورفي بصفة مستشار. وكان التحدي الذي واجهه خلق أجواء "تحتمائية" للتصوير تتفادى مشاكل متعلقة بعوامل المناخ كانت كبّدت فيلم "جوز"(٣) نفقات هائلة، وهو مأخوذ عن رواية سابقة لبنشلي صُوِّرت في عرض المحيط. والحل الذي وجده مورفي تمثّل في حفر أكواريوم ضخم في نجد صخري ومتحجرات مرجانية في جزيرة برمودا وطليه بمادة بوليبوريثان وملئه بالماء وبكائنات من المحيط الأطلسي المجاور. وقد صور معظم مشاهد الاعماق في ذلك المكان.

يقول مورفي: "بدا لي أن الخزان الذي بنيناه في برمودا قد يكون المفتاح لمعرض ديزني. واذا استطعنا إدخال آلة تصوير الى نظام حيّ، فبالتأكيد يمكننا إدخال اشخاص الى تلك البيئة." وهكذا كشف مورفي فكرته لكبار الموظفين في شركة ديزني عام ١٩٧٦.

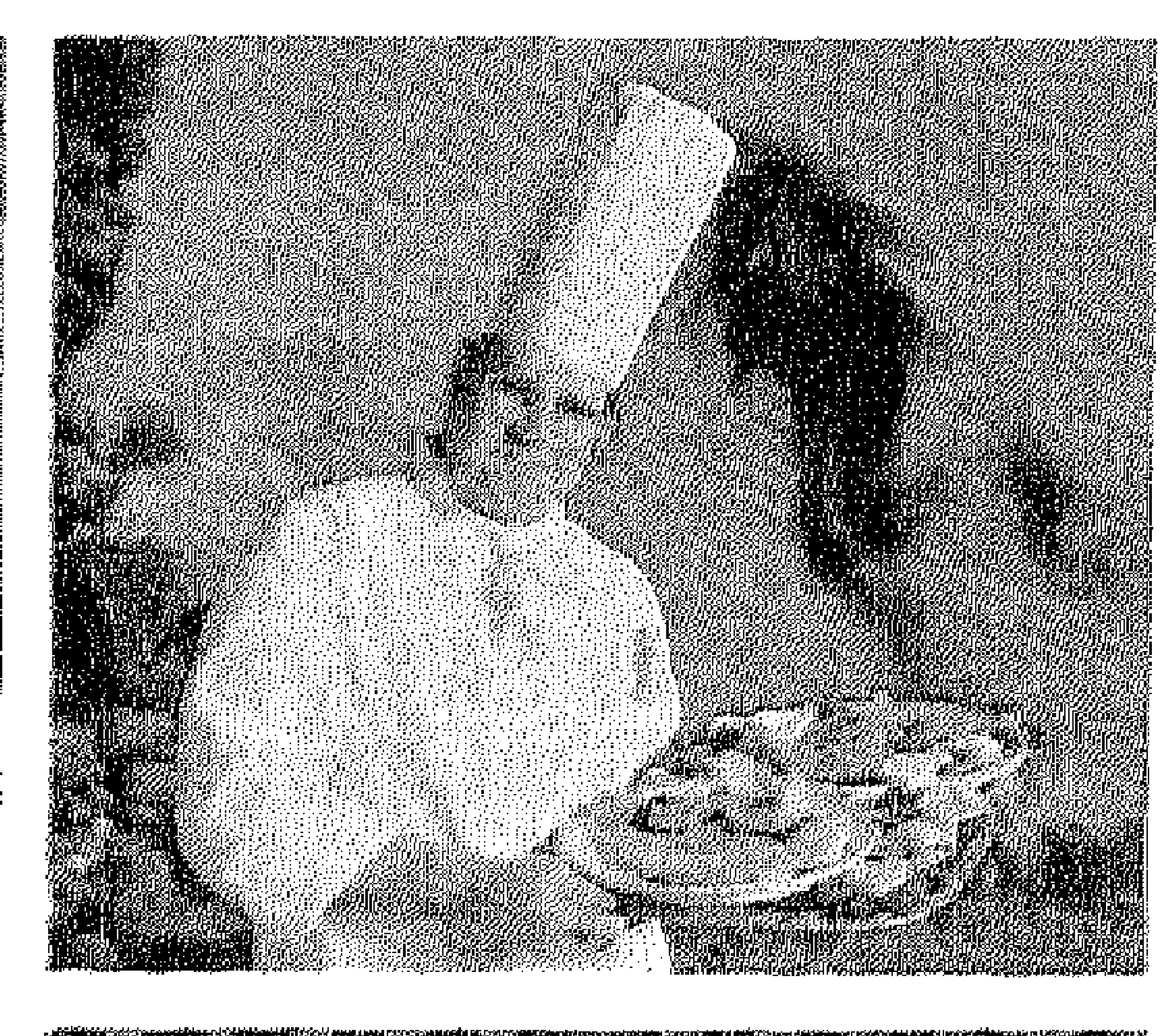
اخبرني المصمّم والمخرج تيم ديلاني: "تداولنا بمزاح فكرة الخزان الاصطناعي الشبيه بغواصة المملكة السحرية في ديزني وورلد. لكننا أيقنا بعدئذ أن الفكرة تتلاشى أمام حقيقة المحيط المذهلة."

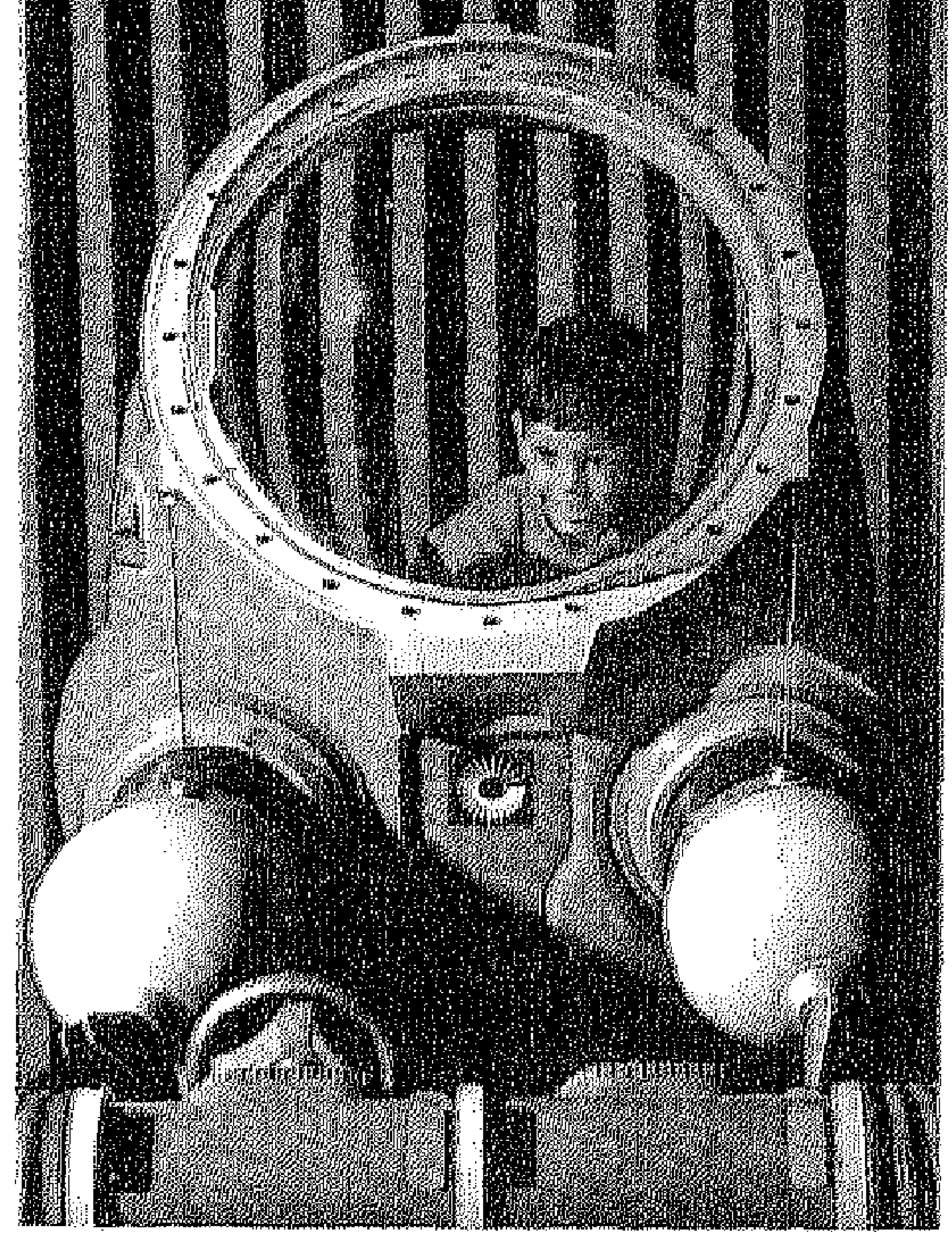
وتقبّل خياليّو ديزني فكرة مورفي، وصُنع الاكواريوم في اشرافه وضم حيداً مرجانياً له طابع البحر الكاريبي. ويضيف ديلاني: "إن حيداً استوائياً بمياهه الدافئة وسمكه الملوّن هو ديزني لاند المحيط."

---

(٢) The Deep
(٣) Jaws







فوق، غطاس يطعم دلفيناً في "المحيط".
على اليمين، كيث كيو رئيس الطهاة في المطعم المرجاني.
أسفل اليمين، ولد يتفحّص بذلة غوص.

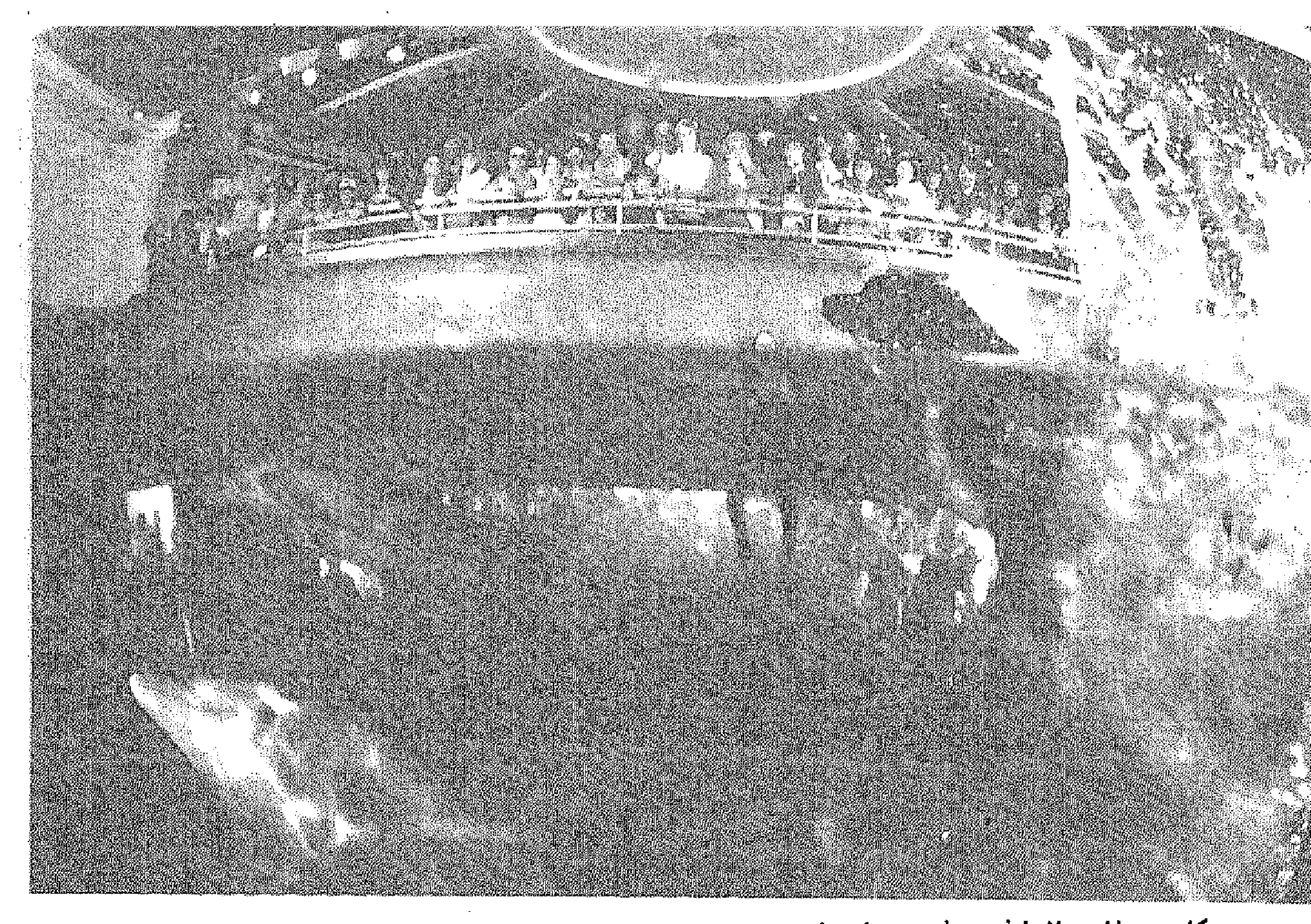
وبعدما تمّ صنع الحيد من مادة الزجاج الليفي (فايبرغلاس) بدا طبيعياً الى درجة أن السمك يقصده كبيئة مألوفة. ومن أجل آكلات المرجان، مثل السمكة الببغائية، أعدّ مورفي تركيبة "كعك مرجاني" يزود هذه الاسماك العناصر الغذائية من دون أن تضطر الى قضم الزجاج الليفي.

إن الدور الذي يراه مصممو ديزني لاكواريوم البحار الحيّة هو جعل عجائب المحيط قريبة اكثر ما يمكن من الناس.

ويقول ديلاني: "يصبح ضيوفنا رواد بحار يكتشفون حياة البحر وأعماقه عبر اشتراكهم في عدد وافر من الأنشطة."

القاعدة البحرية – في صيف ١٩٨٦، أي بعد عشر سنين من اقتراح كيم مورفي مشروعه على خياليي والت ديزني، وقفت أمام البناية التي هي ثمرة الاقتراح، وهي تتسم بشكل يشبه موجات متتالية تندفع الى الشاطىء. أمّا في الداخل، فالوقوف في الطابور متعة وعمل تثقيفي، اذ تضم قاعة الانتظار متحفاً يعرض جهود البشر في اكتشاف المحيطات. هناك يمكنك أن تشاهد نسخة مطابقة لأول حُجرة غوص

Top photos: Courtesy Walt Disney productions; bottom photo: © Wayne Eastep



كاي يطارد الدلافين في حوض التدريب.

استخدمها السير ادموند هالي ونماذج لبدلات غوص بدائية وصوراً لجهاز غوص كروي استخدمه تشارلز وليم بيبي في تحقيق رقم قياسي في الغوص الى عمق ٩٢٣ متراً وذلك في العام ١٩٣٤.

ويفضي الطابور الى واحدة من قاعتين لعرض الأفلام تحوي كل منهما ١٨٥ مقعداً. وبعد مشاهدة فيلم قصير يسبر أعمق أسرار المحيط، تصبح جاهزاً لتأدية دور عالم بحري على وشك الانتقال الى "القاعدة البحرية - ألفا" وهي مركز أبحاث تحتمائي. وبغية الوصول الى المركز ابتكر مهندسو ديزني مصعداً يعتبر قمة في الخيال.

أطلق على المصعد اسم "المهبط المائي" وهو يستخدم تأثيرات خاصة مثل أضواء كاشفة ومؤشرات ضغط وفقاقيع تندفع بمحاذاة الصخور بحيث تغوص لمدة ٣٠ ثانية وتتوهم بعدها أنك هبطت الى عمق ١٣ متراً.

الآن تركب عربة بحرية زرقاء توصلك الى نوافذ ضخمة مصنوعة من مادة الاكريليك تطل على المحيط الاكبر في البحار الحيّة، مع ما يرافق المشاهد من تشكيلات مرجانية وألوف الاسماك من صغراها الى كبراها. ويوضح مورفي: "أول ما وضع في أكواريوم البحار الحية السمك الصغير كي يتسنى له العثور على أماكن للاختباء."

ولدى وصولك الى باحة "القاعدة البحرية - ألفا" تشاهد تجهيزات تكنولوجية رفيعة المستوى مثل تلك التي

Photo: © Wayne Eastep

تراها في أفلام جيمس بوند. وأول ما يشدّك أسطوانة شفافة من طبقتين يطلق عليها اسم "الحجرة المغلقة". ففي غضون ٤٠ ثانية تمتلىء ماء ويخرج منها غواصون في حُبوس هوائية للتكلم مع الضيوف في الباحة.

والى جانب الباحة الرئيسية ست مركبات تتيح كل منها للمستطلعين اكتشاف وجه مختلف للبحار الحيّة. وثمة معارض وألعاب الكترونية وعروض تلفزيونية ومشاهد حيّة كتمثيل عملية المد في جنوب المحيط الهادىء حيث يمكنك التقاط نجمة بحر.

واحدى المركبات مخصّصة لاكتشاف عمق البحار. فترتدي بذلة غوص وتؤدي سلسلة من المهمات المتعلقة بالابحاث.

المطعم المرجاني - إن أفضل ما شهدته هو حوض تدريب الدلفين المؤلف من طبقتين ويعرف بمركبة أبحاث الثدييات البحرية. هناك تشاهد الدلافين والمختصين بالسلوك الحيواني يلهون معاً.

وسألت المدربة غريتشن جاكوبس عن المركبة فأجابت: "انها في الاساس برنامج أبحاث يتيح للدلفين القدرة على التحكم بمحيطه من خلال ما يصدره من أصوات. وبمساعدة دماغ الكتروني تحتمائي يحلل أصوات الدلفين، يأمل الباحثون تحليل معنى تلك الاصوات. وعندما يرغب الدلفين في اطفاء الانوار أو سماع الموسيقى، يصبح في الامكان الاستجابة لطلبه."

وفي بعض الأحيان، ترى كلباً متعدد الالوان يدعى "كاي" يلعب مع الدلفين. وقد درّب كاي للبقاء على أهبة الاستعداد حتى سماع كلمتي "وقت اللهو"، حينئذ يقفز الى الماء ويأخذ في تحريك قدميه بشدة، فيعمد الدلفين الى اثارته بغوصات متتالية.

اذا كنت من محبي المحيطات فستحب البقاء يوماً كاملا في أكواريوم البحار الحيّة. وقد تخرج منه بعد أقل من نصف ساعة حاملا معلومات سطحية عن عالم تحت البحار. وثمة حدث آخر تستطيع تحقيقه قبل تركك الردهة وهو تناول الطعام "تحت سطح البحر." المحيطات كانت دوماً أحد مصادر الغذاء للانسان، و"سادس أكبر المحيطات" لا يشذ عنها.

تتضمن لائحة الطعام في "المطعم المرجاني" الأسماك على أنواعها ومنها سمك موسى من دوفر في بريطانيا والكركند من ماين. وفي المطعم نوافذ تؤمن له مناظر فريدة.

أنا استمتعت الى أقصى الحدود باكتشاف عجائب البحار، فأكواريوم البحار الحيّة حقيقة تضارع الأحلام.

جون كالهين ■

كيف يشعر شاب ممتلىء عافية بالتعب في نهاية النهار، بينما يطير عصفور يزن أقل من ٣٠ غراماً قاطعاً القارات من دون توقف.

إ.ب.



دائرة المعارف

الوضوح من أهم مبادىء "المختار"، لذا تحرص المجلة على تقديم تفسيرات اضافية وافية لكلمات ترد في موضوعاتها، إما لأنها أعجمية وإما لأنها علمية وإما لأنها غير متداولة. وتأتي هذه التفسيرات عادة في هوامش الصفحات.

وهنا كلمات وردت لها تفسيرات في الاعداد الاثني عشر الاخيرة من "المختار" الصادرة في العام ١٩٨٦. وقد وضع امام كل منها أربعة معان، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **الاماثة:** الجغرافيا - الفراسة - علم المحيطات - علم الحياة السالفة.

٢. **الإنكا:** شعب أمريكي جنوبي - الحبر - من الطيور - حضارة آسيوية.

٣. **الكروموزوم:** معدن - غاز سام - جرم فضائي - خيط في نواة الخلية.

٤. **الروليت الروسية:** كافيار - لعبة انتحارية - مزلجة - لفافة شعر.

٥. **المنغولية:** بربرية - ثمرة لذيذة - بلاهة خلقية - حب الذات.

٦. **البوير:** هنود - نوع من الكلاب - قراصنة - افريقيون هولنديون.

٧. **الادرينالين:** هرمون - عقار للسرطان - درن خبيث - مضاد حيوي.

٨. **التراخوما:** غيبوبة - مرض يصيب العين - لغة قديمة - الحياة الفضلى.

٩. **السونار:** قصيدة - آلة تصوير - جهاز استكشاف صوتي - مشهد مسرحي.

١٠. **البراجم:** النجوم - الجفون - كلمات أعجمية - مفاصل الاصابع.

١١. **الخفّاف:** زجاج بركاني - غزال - ابن آوى - حذاء.

١٢. **الانترفرون:** بروتيين - هاتف داخلي - عقار مهدىء - جهاز تسجيل.

١٣. **الكونشيرتو:** دماغ الكتروني - لحن - جوقة غناء - خضر معلبة.

١٤. **السَلَس:** النعاس - الخرف - بلع الطعام - عدم استمساك البول.

١٥. **مقياس ريختر:** مقياس للزلازل - للرطوبة - للضغط - للمسافات.

١٦. **البمرنغ:** حيوان أوسترالي - انقليس - قوس قزح - قذيفة.

١٧. **الفايكنغ:** زورق نهري - ملوك الغجر - محاربون اسكندينافيون - شجر.

١٨. **أنتارتيكا:** جزيرة مفقودة - القطب الشمالي - قارة القطب الجنوبي - الارض.

١٩. **القيدوم:** مطرقة - مقدم السفينة - قنة الجبل - ذكر الضفادع.

٢٠. **الانثروبولوجيا:** علم الانسان - علم الآثار - علم اللغات - علم الحدائق.

٢١. **اللوكيميا:** كيمياء الذهب - الطب القديم - ابيضاض الدم - الصيدلة.

٢٢. **الكربوهيدرات:** مواد دهنية - مواد سكرية أو نشوية - فيتامينات - أملاح.

٢٣. **المَسْفَن:** صدر الطائر - موضع بناء السفن - الوتد - شفرة السكين.

٢٤. **النوّاسة:** مصباح خافت - فراشة الشمس - لعبة للاولاد.

٢٥. **الساموراي:** فرسان اليابان - آلة موسيقية - سمكة مفترسة - قطار.

الأجوبة الصحيحة

١. علم الإحاثة أو البليونتولوجيا: علم يبحث في أشكال الحياة في العصور الجيولوجية السالفة.

٢. الإنكا: شعب ساد البيرو (في أمريكا الجنوبية) من القرن الثالث عشر الى الاستعمار الاسباني في القرن السادس عشر، وكانت له حضارة غنية.

٣. الكروموزوم أو الصبغي: خيط في نواة الخلية يحوي الجينات التي تحمل الخصائص الوراثية.

٤. الروليت الروسية أو "لعبة الموت": في هذه اللعبة توضع رصاصة واحدة في أسطوانة المسدس وتدار الاسطوانة، ثم يضع اللاعب فوهة المسدس على رأسه ويضغط الزند فيكون حظه الموت أو الحياة.

٥. المنغولية (Mongolism) أو داء داون (Down's Syndrome) : بلاهة خِلقية يكون المصاب بها منحرف العينين مسطح الجمجمة عريض اليدين قصير الاصابع.

٦. البوير (Boers) : افريقيون جنوبيون من أصل هولندي.

٧. الادرينالين: هرمون منبه تفرزه الغدة الكظرية خصوصاً وقت الخوف والغضب.

٨. التراخوما أو الحثار: مرض يصيب العين.

٩. السونار: جهاز يستكشف الاجسام تحت الماء بواسطة موجات صوتية

١٠. البراجم: مفاصل الاصابع أو العظام الصغيرة في اليد والقدم.

١١. الخفّاف: زجاج بركاني خفيف جداً مليء بالنخاريب.

١٢. الانترفرون: بروتيين تنتجه الخلايا التي غزتها الفيروسات، وهو يمنع تناسخ هذه الفيروسات وتكاثرها.

١٣. الكونشيرتو: لحن يعزف على آلة منفردة أو أكثر بمصاحبة الاوركسترا.

١٤. السَلَس (incontinence) : عدم استمساك البول والبراز.

١٥. مقياس ريختر: نظام يسجل قوة الزلازل متدرجة من صفر الى ٨،٩ درجات. وكل زيادة من درجة واحدة تعني زيادة قوة الزلزال عشرة أضعاف.

١٦. البمرنغ (boomerang) : قطعة خشب ملوية يتخذ منها سكان أوستراليا قذيفة يرشقون بها هدفاً ما، ومنها ما يرجع الى راميه.

١٧. الفايكنغ: محاربون اسكنديناڤيون غزوا شواطىء أوروبا بين القرنين الثامن والعاشر.

١٨. أنتارتيكا: قارة القطب الجنوبي.

١٩. القَيْدوم: مقدَّم السفينة أو الطائرة.

٢٠. الانثروبولوجيا أو علم الانسان: علم يبحث في أصل الجنس البشري وأعراقه وعاداته ومعتقداته.

٢١. اللوكيميا: ابيضاض الدم، وهو نوع من السرطان.

٢٢. الكربوهيدرات: مركّبات سكرية أو نشوية تتألف من الكربون والهيدروجين والاوكسيجين.

٢٣. المَسْفَن: موضع تبنى فيه السفن.

٢٤. النوّاسة (seesaw) : لعبة تشتمل على مقعدين متقابلين يجلس عليهما ولدان فيهبط أحدهما ويرتفع الآخر.

٢٥. الساموراي: فرسان اليابان الشهيرون ببطولاتهم.

المستوى
٢١ – ٢٥: ممتاز
١٦ – ٢٠: جيد جداً
١١ – ١٥: مقبول

كبرن أمِّيات. وتزوجن وأنجبن وما برح شبح الجهل يلاحقهن. لكنهن لم ييأسن، بل عدن الى مقاعد الدراسة وثابرن ونلن الشهادات



مَدرَسة الأمّهات

كانت المدرسة والاخفاق يعنيان الامر نفسه بالنسبة الى السيدة الناحلة صاحبة الشعر القاتم هيلين ماكدوغال (٤٧ عاماً). فخلال طفولتها كانت المعلمات يضربنها بكتبها المدرسية على رأسها حين ترتكب أخطاء. ونعتتها والدتها بالغباء فأثبطت عزيمتها. وهي تتذكر هذا الامر المؤلم لكنها تضيف بلطفٍ: "بالطبع لم تكن المدرسة ذات أهمية في عصر أمي."

 Photo: Courtesy of Playing With Time Inc.

وفي عمر الخامسة عشرة، بعد ثلاث سنوات امضتها هيلين في الصف الخامس، غادرت المدرسة للعمل في مغسل باحد المستشفيات. وفي ما بعد حظيت في تورنتو بوظائف في مصانع ومصابغ عدّة اذ كانت تخبر أرباب العمل أنها درست حتى الصف الثامن.

تزوجت هيلين واستقرت كزوجة تمضي كل وقتها في العمل المنزلي. الا أنها بقيت تعاني هماً مؤرقاً هو عجزها عن القراءة لأولادها. وأخبرتها معلمة أن ابنها يواجه صعوبة في القراءة. وطلبت منها أن تأتيه بكتب يقرأها بصوت عال. فتقبلت هيلين الامر ممتعضة: "لم يسعني أن أعترف للمعلمة بأني لا أجيد القراءة. لكني أردت أن أساعد ابني، فأخذت أصغي اليه وهو يقرأ."

وكانت أليسون هانتر (٣٧ عاماً) تشكو من عجزها عن مساعدة أولادها الثلاثة في تحضير فروضهم. وقد هتف لها أحدهم يوماً: "أماه! هل أنت جاهلة الى هذا الحد؟" فأثر فيها هذا التعليق، وعاد الى ذهنها حين اضطرت الى مقابلة معلمي أولادها: "اني غبيّة وجاهلة ولا يمكنني التحدّث الى هؤلاء الاشخاص، فكيف أخبرهم بما يحتاج اليه أولادي؟"

وعلى غرار هيلين كانت ذكريات أليسون السعيدة عن طفولتها قليلة جداً. فهي ولدت في بريطانيا وسافرت الى كندا عندما بلغت الثانية من عمرها. وأخذت تتنقل من معسكر الى آخر مع والدها، وهو رقيب في سلاح الجو. ودخلت مدارس لا تحصى. وكانت تتغيب عن الصفوف فتطرد، ثم تعود، فتطرد.

وأخيراً، في الخامسة عشرة من عمرها، تركت أليسون المدرسة وانطلقت الى العمل. وتزوجت الا أنها ما لبثت أن فقدت زوجها وبقيت وحيدة ومعها ابنة عليها تعليمها. واعتادت أن تترك ابنتها عند أهلها وتذهب الى عملها الشاق في مصنع للفحم حيث كانت تحمل أكياساً يزن كل منها ٤٥ كيلوغراماً وتضعها في الشاحنات. ثم عملت في أونتاريو في مصنع للمأكولات المجلّدة، وبعد ذلك في قطف التبغ والبندورة (الطماطم). وبعد انتهاء عملها هذا عملت في حفر القبور وكانت تتقاضى ٥٠ دولاراً على كل قبر.

ذكريات أليمة – غالباً ما كان النقص في الثقافة يؤدي بهاتين المرأتين وأمثالهما الى الخوف من أصحاب النفوذ. فهن لا يفهمن تماماً المعلومات الصادرة عن المدارس، وتعوزهن الثقة للتكلم مع الاساتذة حول مصلحة أولادهن. ولا يحظين الا بوظائف وضيعة يتقاضين منها الاجر الأدنى.

كان حضور الصفوف طوال النهار أمراً غير عملي بالنسبة الى المرأتين نظراً الى ضرورة العناية بالاولاد. والاسوأ من ذلك ان أيام الدراسة تنطوي على ذكريات رهيبة. الا أنهما تخطتا هذه المخاوف بفضل المساعدة والدعم والكثير من العزم.

بربارة ماكاي عضو في مجلس التربية في تورنتو، وهي أول من باشر العمل. كانت تعرف كثيراً من نساء المنطقة وتدرك مدى رغبتهن في كسب المزيد من العلم. وهي حضّت زميلة لها في المجلس تدعى نولا كروي على خدمة القضية،

خصوصاً لأن هذه، على غرار ماكاي، عادت الى مقاعد الدراسة. كانت كلتاهما تفهمان المشكلة.

وأبلغ المجلس الى مجموعة من الامهات توافر صفوف للراشدين. الا أن هذه الصفوف كانت تعقد في مراكز بعيدة جداً عن منازلهن مما يصعب على النساء تأمين العناية اليومية لأطفالهن. والى ذلك كانت معظم الصفوف تعقد داخل مدارس نظامية، لكن دخول المدرسة مع جميع الذكريات الاليمة التي يعيدها الى الذاكرة، كان عائقاً نفسياً مربكاً جداً.

الا أن النسوة وافقن على الحضور يومين في الاسبوع، فلا يهملن عائلاتهن، بشرط أن يكون الصف قريباً من المنزل. عندئذ خاطبتهن بربارة ماكاي: "لقد أنجزتن الخطوة الكبرى الاولى."

صف للكبار - بدأت الامور تتحلحل: سيعقد صفهن في قاعة الرياضة في المركز المجاور، وسيؤمن مجلس التربية في تورنتو الطاولات والتجهيزات المدرسية. وقضت الخطوة التالية بانتقاء معلمة تكون مميزة وحسّاسة تجاه حاجات الطالبات.

واكتشفت المرشحة المثالية في أوساطهن. كانت ماريان دولان (٤٣ عاماً) كاتبة ومذيعة وصانعة أفلام سينمائية، تدرّس الشباب في المركز مبادىء تؤهلهم للوظائف التي ترعاها الحكومة. وكانت في السابق معلمة في مدرسة ريفية على جزيرة قبالة الساحل الغربي لكندا. وساعد في الامر أيضاً كونها أمّاً مطلقة. وتقول ماريان: "اختبرتُ معظم المشاكل التي تعترضهن كتربية الاولاد باليسير من المال والآمال الخاطئة والبدايات الجديدة والمحاولات لاعادة تنظيم الحياة."

وهكذا تسجّلت في شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٨١ عشرون امرأة تفوق مستوياتهن التربوية الصف الثالث، أملا بالحصول على أساس متين في المواد التي تدرّس في المرحلة الابتدائية. الا أن دخول المدرسة صباح اليوم الاول اقتضى كل الشجاعة التي تسلّحت بها أولئك النساء. واندفعت الى أذهانهن ذكريات أيام الدراسة في الطفولة وقررن عدم الاستمرار اذا بدا أن الامر سيتكرر.

ولكن لم يكن من داع الى القلق، فالامر لا يشبه المدرسة النظامية. ففي قاعة الرياضة كانت ماريان رتّبت الطاولات المفردة في شكل نصف دائرة غير ثابت حول اللوح الاسود. وكانت ترتدي سروال جينز وقميصاً صيفياً حين قدّمت نفسها الى المجموعة القلقة: "جميعنا مشتركات في هذه المهمة. ولست أكيدة من طريقة سير الامور، لكني أعرف أننا سننجح."

دفتر التمارين - بدأت ماريان اليوم الاول، وكل يوم من العام الدراسي، بالتحدّث الى طالباتها مدة نصف ساعة. فتكلّمن عن آمالهنّ ومخاوفهنّ وشكّلن رابطة متماسكة.

وكانت بربارة ماكاي قرّرت عدم اتباع المناهج المتعارف عليها، ما دامت لم تنجح مع أولئك النسوة في المحاولات القديمة الاولى. واختارت نصوصاً من الصحف والكتب مدونة بلغة مبسطة.

استهلّت ماريان الصباح الاول بكتاب بدأ بكلمات شائعة. وحين سألت طالباتها تهجئة ألفاظ مثل "كلب" و"قط" صرخن بصوت واحد: "آه! يمكننا ذلك بكل سهولة."

فردت ماريان: "لا بأس، سيصعب الامر تدريجاً."

كانت تبني على أساس ناجح، وهو أمر لم تألفه معظم النساء. وكانت كل امرأة تحتفظ بلائحة مفردات في دفتر للتمارين تضيف اليه نحو ثلاثين كلمة كل يوم.

ثم بدأن تأليف جمل باستعمال كلمتين تعلّمنهما في اليوم السابق، ثم ثلاث كلمات ثم أربع. كانت كل منهن تقاطع وتصرخ وتدخل تحسينات على أفكار زميلاتها. وكانت ماريان تقول لهنّ: "تابعن، كنّ سخيفات ما شئتنّ. المهم أن تثابرن." واختارت ماريان قصصاً موجزة من الصحف لتعليم الانشاء، تحللها الطالبات معاً الى أن يفهمن كل أقسام الحديث. ومع مرور الاسابيع أصبحت قدراتهن اللغويّة أغنى.

يأس وتشجيع – كان تعليم مجموعة من النساء اختلفت أعمارهن وتجاربهن أمراً مثيراً وخلّاقاً في رأي ماريان: "كنّ شجاعات، قويّات، يتدبّرن أمورهن على نحو رائع." وكانت قراءة إنجازاتهن بصوت مرتفع أكره المهمات بالنسبة اليهنّ. الا أن ماريان أصرّت على ذلك، وأدّت التجربة الى نتائج حسنة.

ولم تعد أليسون تخشى مقابلة الاساتذة.

وبدأ علم الحساب بجمع أعداد كاملة وطرحها وضربها. ثم عمل الصف على الكسور والاعشار باستعمال أمثلة عملية. فشرحت ماريان: "عندما تراجعن حسابكن المصرفي، عليكن أن ترتبن الارقام على نحو صحيح بعضها تحت بعض. فاذا وضعتن الأعشار في المكان الخطأ فستعتقدن أن لديكن مالا أكثر وسيرفض المصرف الحوالة."

وكيّفن مقادير الطهو مع المقاييس المترية، وعملن على الخرائط لحساب المسافات. ونظّمت ماريان جولات ميدانية الى مصارف ومكاتب. ولم تكن أليسون زارت مكتبة من قبل. هنا وجدت نفسها تدوّن ملاحظات من مراجع مختلفة. وتقر: "لم يخيّل اليّ يوماً أنني سأقدر على ذلك."

في رأي ماريان كانت الروح الجماعية رائعة. وكان أن توقفت بضع نساء عن حضور الصفوف اما بسبب الضغوط المنزلية واما بسبب العمل القاسي والجهد المطلوب للمثابرة واما لأنهن انتقلن الى مناطق أخرى. الا أن النساء الاثنتي عشرة الباقيات غَدَوْنَ صديقات حميمات.

كانت الطالبات يغادرن الصف راضيات في معظم الايام. ولكن صعب على الامهات حشر عملهنّ المنزلي بين الصفوف النهارية والفروض الليلية. وتأوهت أليسون: "اني منهكة، فما ان يحضر العشاء ويستحم الاولاد وينجزون فروضهم حتى يحين الوقت لأكب على كتبي. فلا أنعم بالراحة أبداً."

أما ابنة هيلين وعمرها ١٥ عاماً، وهي طالبة في الصف العاشر، فقد ساعدت

أمّها في التهجئة والقواعد. وكلّما تذمّرت هيلين لزوجها يائسة: "لقد سئمت، لن أعود الى المدرسة،" كان يشجعها على المثابرة مكرراً: "أعرف أن في مقدورك أن تنجحي." الا أن هذا التشجيع في البيت لم يتوافر لكل طالبة في الصف. فلاقت بعضهن امتعاضاً لدى أزواجهن أو خطّابهن بسبب الوقت الذي يستهلكه الدرس، وكأن تحسّن مستواهن يشكّل تهديداً معيناً.

الشهادة المنتظرة – قبيل عيد الميلاد أدركت بربارة وماريان أن المجموعة قد تنجح في امتحان يدوم ثلاث ساعات ويخول الطالبات دخول المرحلة الثانوية. ويجرى الامتحان عادة في شهر مايو (أيار). فنظمت ماريان زيارة الى مركز الامتحانات قبل بضعة أسابيع من الموعد لتحضير طالباتها لهذه الاجواء. ودخلت النساء الصف الغريب بثقة فريق منتصر. وبعد النظر الى ما كتب على اللوح صرخن: "لقد تعلّمنا هذه الامور."

ولكن في صبيحة يوم الامتحان تلاشى التبجح بالشجاعة، اذ لم تستطع أي منهن النوم طوال الليل الفائت. وكن جميعاً حاضرات للانطلاق في الصباح باستثناء أليسون. فاتصلن بها هاتفياً، وعندما لم يجب أحد ذهبن الى منزلها وطرقن بابها. كانت أليسون لا تزال في سريرها. فرمت اليها إحداهن سروال جينز وقميصاً وأمرتها: "انهضي وارتدي ملابسك!"

وقد شكرت لهن أليسون جهودهن في ما بعد، لكنها في تلك الساعة شعرت بالخوف والعياء.

وأخيراً قضي الامر. لقد بذلن قصارى جهدهن وانتهى الصراع الذي دام تسعة أشهر. وبقي عليهن الانتظار ثلاثة أيام كاملة لمعرفة النتائج. لكن الامر استحق هذا الانتظار، فقد نجحن جميعهن.

وفي أمسية حارة من شهر يونيو (حزيران) عام ١٩٨٤، خلال حفلة تخريج مثيرة حضرها نحو ألفي شخص من الاقارب والاصدقاء، نهضت كل من النساء الاثنتي عشرة عند سماع اسمها، وتوجهت لتتسلم شهادة ووردة حمراء.

وقالت بيتي لفتلي: "تلك كانت الشهادة التي لم نحصل عليها في أيام الدراسة الاولى."

وتابع بعضهن الدراسة الثانوية في السنة التالية، ومنهن من تفكر في دخول الجامعة. وتقول هيلين اليوم بعدما كانت يائسة لعجزها عن القراءة لاولادها: "ذات يوم ستحمل الي حفيدتي كتاباً، وهذه المرة سأكون قادرة على قراءته لها."

ايلين بتيغرو ■

عندما يتعب الغيتار

يتمتع عازف الغيتار الشهير اندريه سيغوفيا بشعبية واسعة.

وذات ليلة في لندن، بعدما استبقاه الجمهور مرتين وعزف حتى الارهاق، وكان عمره آنذاك ٩٣ عاماً، توقف سيغوفيا عن العزف معتذراً: "أنا أرغب في متابعة العزف، لكن غيتاري تعب."

صحيفة "تايمس"



سيرة رياضي عالمي ضرير حاز ١٠٣ ميداليات ذهبية لكنه ما لبث أن واجه التحدّي الأكبر

في ذاك المساء البارد من شهر مايو (أيار) عام ١٩٨٤ احتشدت الجماهير في باحة جفرسون التذكارية في العاصمة الامريكية واشنطن. فالجميع كان يترقب وصول الشعلة الاولمبيــة من مدينــة نيويورك في طريقها الى لوس أنجلس.

وتعالى الهتاف عندما برز اللهب في البعيد. وما لبث الهتاف أن تحوّل صيحات دهشة إذ رأى الجمع رياضيين اثنين يرتديان قميصي سباق البدل الاولمبي ويركضان جنباً الى جنب. وتعرف الكثيرون الى الأكبر سناً فصاحوا: "غوردي هاوا" وراح النجم الاسطوري للعبة الهوكي يبتسم يمنة ويسرة وقد أسند بيده مرفق شاب وسيم الطلعة يرفع الشعلة الوامضة عالياً. وهتفت فتاة صغيرة حملها والدها على كتفه: "أبي، إنه أعمى!"

وزادت حدة الهتاف فيما راح كريغ ماكفارلين يعدو بأقصى سرعته في الظلام الدامس الذي عهده منذ كان له من العمر سنتان ونصف سنة. وأشرق وجهه وهو يسمع الصيحات المشجّعة. وفكّر في سريرته: "يقال انني أعظم رياضي ضرير في العالم. ولكن ما قيمة الميداليات الذهبية كلها إذا ما قورنت بهذا الهتاف؟"

ولما اجتاز كريغ كيلومتراً مرر الشعلة الى العدّاء التالي، فتجمهر الصحافيون حوله يطرحون عليه الاسئلة: "لمَ خففت سرعتك في نهاية المطاف؟"

فأجاب: "هذه هي المرة الاولى أركض بعدما مزّقتُ أحد أوتار ركبتي وأنا أؤدي قفزة في الهواء عن وثّابة التزلج المائي."

وصرخ الصحافيون: "ماذا؟"



المرشد الذي ينساب على الثلج أمامه. فهو يجعل حواسه الاخرى تعمل محل بصره ويؤكد: "إن "رأيت" الامر استطعت القيام به. فالعمى ليس إعاقة، انما هو عائق لا شأن له."

الحادث العتيق – لم يكن كريغ ماكفارلين يعتبر مدهشاً أمر تزلجه على الثلج أو الماء أو تسديده ضربة غولف عن بعد ١٥ متراً من الحفرة. تراه يمشي من الطابة الى الحفرة وبالعكس، متحسساً أرض الملعب بقدميه وحاسباً في ذهنه تعرجها. هذا ما يدعوه "الذاكرة العضلية." وعندما يتزلج على منحدر ثلجي بسرعة حوالى ١٠٠ كيلومتر في الساعة، فانما يتعقب حفيف زلّاجات

ويتذكر كريغ شيئاً وحيداً رآه بعينيه وهو قنفذ في الغابة التي تقع خلف مزرعة العائلة بالقرب من سولت سانت ماري في أونتاريو بكندا. ويتذكر أيضاً أربعة أو خمسة من أولاد الجيران وقد خرجوا من مرأب راكضين وأحدهم يلوّح بمطرقة مشعل لحام. وعقب ذلك وميض ألم حاد فيما لطمت الآلة وجه كريغ. ويتذكر أنه راح يعدو ويصرخ حتى وصل الى الرواق واصطدم بباب المطبخ. فقد شقّت المطرقة مقلته اليسرى. وبعد ستة

Illustration: George Angelini

أسابيع انتقل الالتهاب الى عينه اليمنى فأطفأها.

ويتذكر بعد ذلك والديه وأخاه الأكبر يان، يحضونه برفق كي يمشي ويتعقب الاصوات ويستعمل يديه ويتحسس سبيله حول المنزل والفناء. وكانت أمه وهي معلمة، تجعله يتلمس ثمار التوت ليتعلم أن يترك الثمرة غير الناضجة ويقطف الثمرة الكبيرة. تلك كانت دروسه الاولى لتقوية "ذاكرته العضلية." وما لبث أن أصبح في مقدوره الخروج مع أبيه لنصب أشراك الصيد وحلب البقر وجز العشب وتجفيفه علفاً للدواب.

ولم ينفك كريغ الصغير يصطدم بالاشياء. وكثيراً ما أوشك على الاستسلام كلما أرهقه الغضب والحرمان. لكنه أبى استعمال عصا أو كلب مرشد، وبدأ تدريجاً ينمّي حسّه بالاشياء حوله. ولما أعلن نيّته أن يصبح لاعب هوكي كبيراً، لم يحاول أفراد عائلته إقناعه بالعدول عن فكرته. ولم يستعملوا قط كلمة "لا يستطيع" في حضوره، بل انتظروا أن يدرك بنفسه انه لن يستطيع أبداً الاشتراك في رياضات تعتمد على الفرق.

الفتى الضرير - لما بلغ كريغ السادسة من عمره أخذه والده الى مدرسة روس ماكدونالد للعميان في برانتفورد. لكنه كرهها. فذاك المكان هو للناس العميان، أما هو فقد ناضل طوال ذاك الوقت كله ليصبح سوياً بالفتيان المبصرين.

وبعدما أمضى كريغ سنتين في المدرسة وجد في الرياضة متحرراً من مرارته. واختار المصارعة الحرة في البداية لانها تبقي على لمس الاجساد وعلى الاحساس طوال المباراة. كان رشيقاً وقوياً وسريع البديهة، يلتوي تحت خصمه فيسقطه أرضاً ويثبته قبل أن يدري الآخرون ما حدث.

لكن كريغ لم يكن يشعر في المنافسة إلا بفرح ضئيل. فمع أنه ربح ٤٠ مباراة الا أنه كلما اقتيد الى الحلبة سمع الهمسات: "هذا هو الفتى الضرير." وكان يفكر بمرارة: "لي اسم. وقبل نهاية هذا اليوم ستعرفونه."

واشترك كريغ في مباريات في السباحة سعياً الى الحصول على الميدالية الذهبية، وكان يفوز بها في غالب الاحيان. وفي المضمار ركض مسافات السباق كلها. وعلّمه مدرّبه طريقة رمي الرمح والقرص وراح يتفرّج عليه في دهشة وهو يمطّ جسده بقوة إيقاعية وبلا مجهود ظاهر.

واكتشف كريغ أن هذه الانواع من الرياضة هي دون المصارعة حدة وتفوقها تسلية. ولم تبارحه قط إرادة الفوز المدهشة، لكنه تخلى عن ضراوة تثبيت كتفي الخصم على أرض الحلبة. وأصبح له أصدقاء كثر واتسعت افاقه. فراح يتعلم العزف على المزمار والبيانو والبوق. وبدأ يؤمن ان لحياته المظلمة امكانات كثيرة، ولربما استطاع تدريس العلوم السياسية والحقوق.

سمعة نامية - قرر كريغ أن حياته في المستقبل القريب انما تعتمد على الرياضة، وأنه سيسعى الى القمة. فخلال سنوات دراسته الثانوية دنا من ذروة

مهارته الرياضية، فراح يشقّ طريق مجده الى أن حاز احدى عشرة بطولة كندية وست بطولات عالمية في المصارعة والتزلج والسباحة والركض ورمي القرص والرمح.

وخلال سنته الاولى في جامعة كارلتون بمدينة اوتاوا في اونتاريو أقنع شركة "مولسون" بفكرة رعاية "مباراة كريغ ماكفارلين ومولسون في كرة المضرب" وهي مباراة للمشاهير تهدف الى تمويل الأبحاث التي تجري على العمى في كندا. واختير غوردي هاو رئيساً فخرياً، وأصله من ساسكاتشوان في كندا.

وسرعان ما شغف غوردي وزوجته كولين بذاك الفتى الاعمى الذي نظم المباراة وهو لا يتجاوز التاسعة عشرة من عمره. وأخبرهم كريغ أن والدته من أصل أمريكي وأنه يطمح الى زيارة مسقط رأسها. فدعاه آل هاو الى تمضية أسبوع في بيتهم الصيفي في ميشيغان، وما لبث كريغ أن قرر الانتقال الى الولايات المتحدة. فسرّ آل هاو كثيراً، وبناء على الحاحهم انتقل الى منزلهم في كونتيكت.

وكان غوردي في ذاك الحين مساعد رئيس فريق هارتفورد ويلرز للهوكي. فوظف الرياضي الشاب كقاطع تذاكر. واستمر كريغ يتدرب قبل العمل وبعده ويخوض المباريات في عطل نهاية الاسبوع.

ودعي كريغ ليحاضر في البطولة الوطنية الاولى للعميان في التزلج المائي التي أقيمت في سيبريس غاردنز في فلوريدا. فلبى الدعوة بشرط أن يسمح له بالاشتراك في المباراة.

وميزة هذه المسابقة هي في الانحراف الى الوراء وإلى الامام عبر الأثر الذي يخلّفه زورق القطر في الماء. ويحدد الفائز تبعاً لعدد الانحرافات التي أداها في وقت معين.

وتدرّب كريغ بضع ساعات قبل المسابقة وفاز بميدالية. ثم أعلن أنه يودّ أن يؤدي قفزة التزلج، وهي قفزة لم يقم بها أي متزلج مكفوف من قبل. فسأله القيِّمون: "متى؟" فأجاب: "الآن."

وانساب أحد المتزلجين المحترفين على الماء الى جانب كريغ صارخاً: "أربعة... ثلاثة... اثنان... واحد!" إلا أن حبل القطر أفلت من يدي كريغ عندما حاول القفز للمرة الاولى فأصرّ على محاولة اخرى. وأنجز بنجاح تسع جولات.

التحديق الى الفراغ — في ربيع ١٩٨٤ طلب من كريغ الانضمام الى عدد من الرياضيين في الحملة الانتخابية الثانية للرئيس الامريكي رونالد ريغان. وفي بداية الحملة وقف على سلم متحف الفن في فيلادلفيا يحوطه اثنان من أبطال الملاكمة، وتكلّم عن المجهود الذي يبذله ريغان في سبيل المعاقين جسدياً. فتصاعد الترحيب الحماسي من الحشد ونُصّب كريغ نجماً للحملة.

وفي شهر أغسطس (آب) ترك كريغ الحملة الانتخابية ليشترك في المهرجان السنوي السادس لبطولات العميان في التزلج المائي التي أقيمت في النروج. ولما لم يكن في حال جسدية جيدة ولم يتمرّن، فقد جاء ترتيبه رابعاً. فكانت تلك الهزيمة ضربة قاسية سددت إلى

غروره، إذ نادراً ما أتى كريغ ماكفارلين رابعاً في مباراة. ترى هل انتهى أمره كرياضي؟

وعاد ليشترك في حملة اعادة انتخاب ريغان. ولما حلّ شهر نوفمبر (تشرين الثاني) كان تكلّم أمام (٢٣١ حفلا في ٣٩ ولاية. وفي الليلة الاولى من المؤتمر الوطني الجمهوري المنعقد في دالاس بولاية تكساس خرج كريغ أمام ١٣ ألف شخص وتكلّم في مبنى الاجتماعات العامة تحت وهج الاضواء ووسط هدير التصفيق.

وثمل الشاب، ابن المزرعة، بفعل تلك اللقاءات مع المرشحين وأشهر الأسماء في عالم الرياضة الامريكية. لكنه راح بعد ذلك ينظر الى مستقبله، فاكتشف أنه يحدّق الى الفراغ.

أبى كريغ أن يستسلم للانهيار النفسي الذي بدأ يزحف اليه. فانتقل الى منزل أصدقاء له في هيوستن بتشجيع من والديه اللذين ما انفكا يدعمانه مع أنه أصبح بلا عمل. وشرع يعيد النظر في خياراته. ففي السنة السابقة أخذ عطلة وجلس وحده على الشاطىء في ماين وسجّل لائحة بانجازاته. ولما راجعها أدرك انه ما زال يحارب "عائقه البسيط" ويصبو الى ايصال شهرته الى الآفاق البعيدة كما في أيام المصارعة الاولى.

وأدرك أيضاً انه كان سخيفاً عندما اعتقد أن في امكانه أن يشق طريقه منفرداً. فقد حفلت حياته بأشخاص ساندوه عندما احتاج اليهم. وفهم كريغ انه لم يحقق أي انجاز إلّا أنه حان وقت التواضع وآن له أن يمنح من ذاته.

وفي أوائل العام ١٩٨٥ أصبح كريغ أحد مستشاري المجلس الرئاسي الامريكي للياقة البدنية والرياضية، مهمته التحدث الى الاولاد المعاقين وارشادهم. وفي الوقت نفسه كلفته مجموعة من مراكز اللياقة البدنية القاء محاضرات تشجيع أمام الموظفين في أنحاء البلاد.

ومع أن ميدالياته الذهبية المئة والاثنتين الملقاة في صندوقه فقدت الكثير من أهميتها بالنسبة الى صورته الذاتية، إلا أنه أصرّ على الحصول على ميدالية أخرى، تلك التي خسرها السنة السابقة في النروج. وبعد أسابيع من التدريب البدني المكثف، سافر إلى النروج من جديد سعياً الى الميدالية. وفي التاسع من اغسطس (آب) ١٩٨٥ سجّل كريغ ماكفارلين رقماً قياسياً جديداً هو ٣٤ انحرافاً مائياً في ٤٠ ثانية.

تمرير الشعلة — بعد أسبوعين عاد كريغ الى تكساس، فشوهد يقف في بحيرة والماء يغمر وسطه وهو يشرح أساليب سباحة خاصة لمجموعة من الكشافة المكفوفين. وكان يركز على فتى في الرابعة عشرة من عمره بالغ والداه في حمايته فلم يدعاه يوماً يدنو من مجمّع مائي كبير. وبينما كان كريغ يحزم سترة النجاة حول الصبي فكر في والديه هو وفي تشجيعهما اياه وفي الحرية التي منحاه. فنادى الصبي: "هلم أيها البطل! أنا معك. أنا أعمى أيضاً. وأنا يمكنني أن أقوم بذلك، كذلك أنت."

وبعد دقائق جعل كريغ الصبي يقفز من

الحوض بين يديه. وفكّر في نفسه: "هذا أفضل مئة مرة من السفر والمحاضرة." ثم صعدا إلى زورق قطر للتزلج على الماء. كان الصبي غاية في الرعب، لكن كريغ ما انفك يمسك بيده إلى أعلى ليشعره بالهواء وإلى اسفل ليشعره بالماء الجاري. وأخيراً انتعل كل منهما زلاجتين، وشعر الفتى برعشة الانسياب على سطح البحيرة فيما ذراعا كريغ تلفان وسطه. وقال له كريغ: "بعد سنتين سيكون في وسعك أن تتخطى انجازاتي. عندذاك سأضطر الى التقاعد."

ويتحدث عن تلك اللحظة لاعب كرة القدم الامريكي الشهير أندي روبوستيلي الذي يعتبر صديق كريغ ومرشده الشخصي فيقول: "كان ذلك نوعاً جديداً من النصر وطريقة مختلفة للفوز. ففي الرياضة تحاول دائماً أن تهزم المتباري الآخر، أما هذه المرة، فقد حاول كريغ أن يساعد أحداً ففاز هو أيضاً."

ويتحدث كريغ عن الامر: "أخبرت الفتى انني أعمى. قلت له ذلك بملء صوتي، وللمرة الاولى صدقت ذلك فعلا. فالأمر شبيه بتمرير الشعلة بعد ظهر ذاك اليوم في واشنطن، كنت أمررها اليه. فأنا وهو كنّا في الفريق نفسه، لكنني كنت لاعب فريق لا غير."

أندرو جونز ■



درجات مسرحية

أسند الى الممثلة تالولا بانكهيد دور في مسرحية "السيدة تانكراي الثانية". وتعين عليها أن تصعد بضع درجات على المسرح توصلها الى باب في الوسط. ولدى رؤيتها الدرجات صرخت: "خذوها من هنا! لا يمكنني أن أمثل على الدرج." ورجاها المخرج أن تحاول وان مرة واحدة فقبلت.

وفي أثناء التمارين اعتلت الممثلة الدرجات وشعرت بالنشوة والاعتزاز وهي ترى نفسها أعلى من سائر الممثلين وتسيطر تماماً على المسرح.


ولم تأت على ذكر الدرج بعد ذلك. لكنها سُمعت في غرفة ملابسها تقول لمساعدتها. "لا تنسي أن تدعيهم يجهزون المسرح بالدرج، فأنا لا يمكنني ان اؤدي دوري من دونه."

هـ.ج.

مسافر مرتاع

كان أحدهم على وشك السفر في أول رحلة له في الطائرة. فأعرب لوكيل شركة الطيران عن الخوف الذي ينتابه حين يفكر في السفر. فطمأنه هذا مستشهداً باحصاءات تؤكد سلامة الرحلات الجوية. ولما شعر الرجل بالارتياح وافق على اختيار مقعد قرب النافذة. ثم تناول تذكرة السفر من الوكيل الذي مضى يشرح له بجدية: "خذ هذه التذكرة وتوجه الى الباب ٣٣، فهناك نسلّم الخوذ والنظارات الواقية والمظلات."

ت.هـ.



مساكن الاجراف هذه تؤوي تحفاً تعود الى العصر الذهبي للفن الهندي

Photo: Mathias Oppersdorff / Photo Researchers, Inc.



زوار على طول الجرف يتنقلون من كهف الى آخر.

Explorer / J.L. Nou



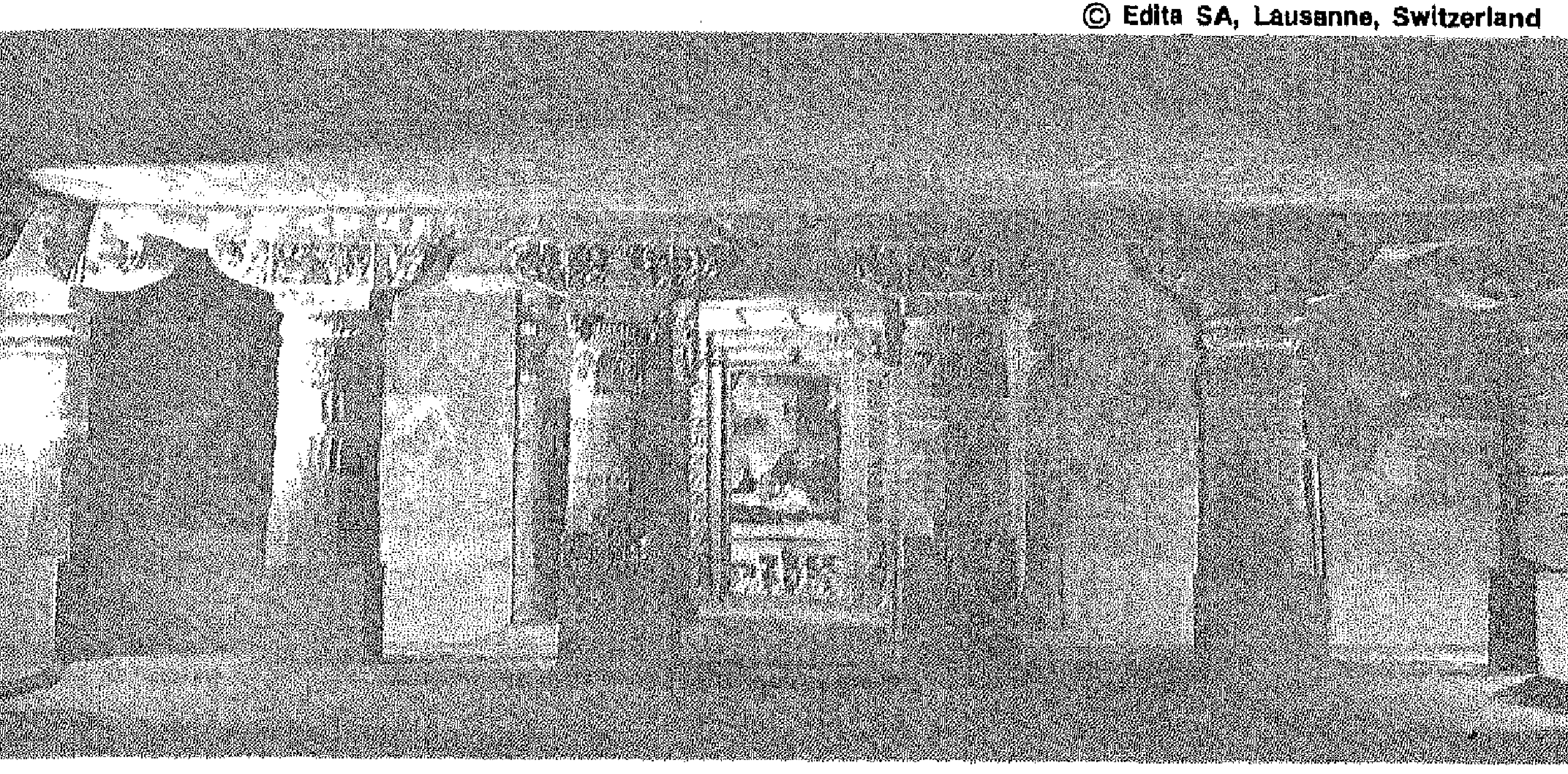


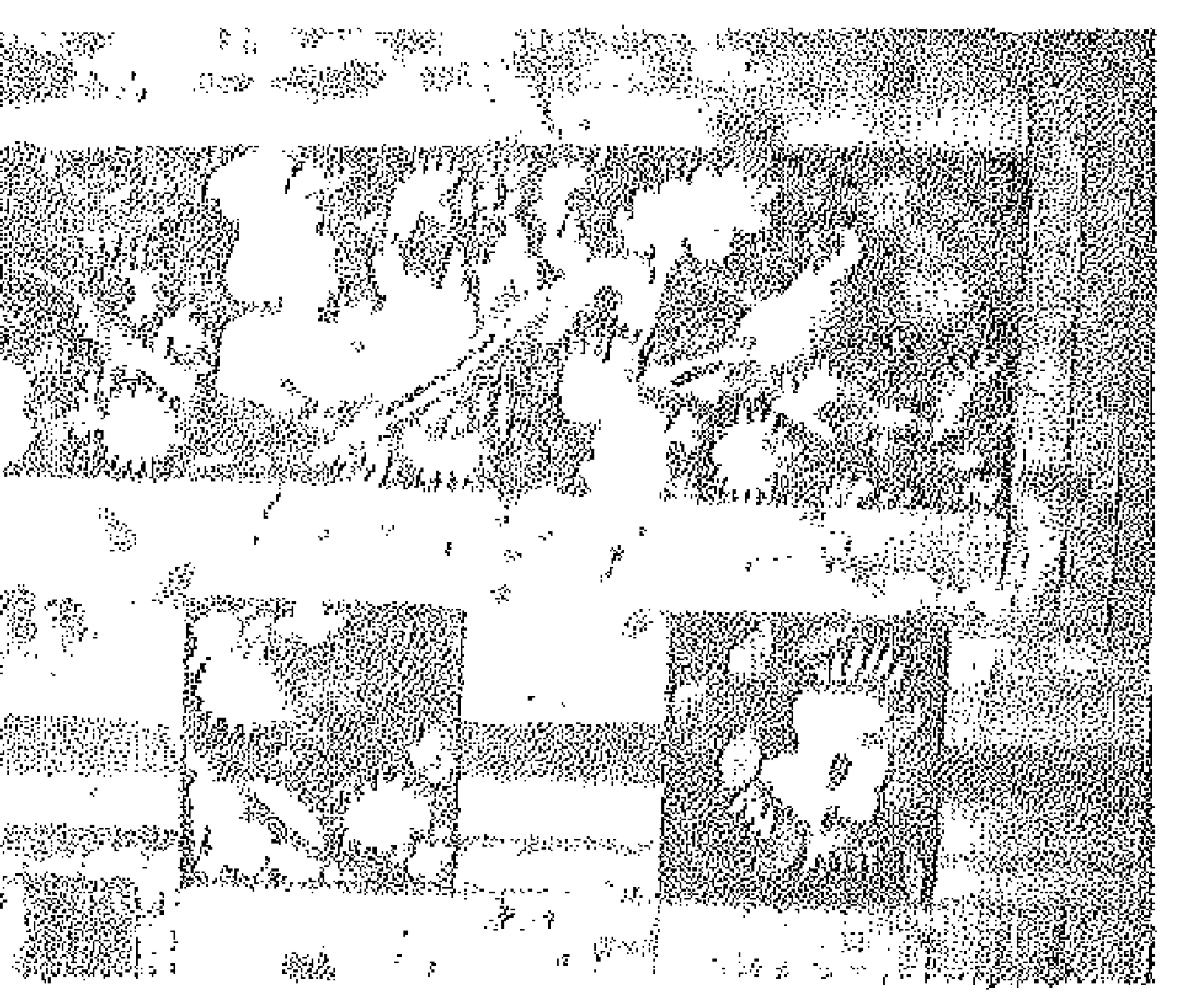
واجهة الكهف التاسع عشر.

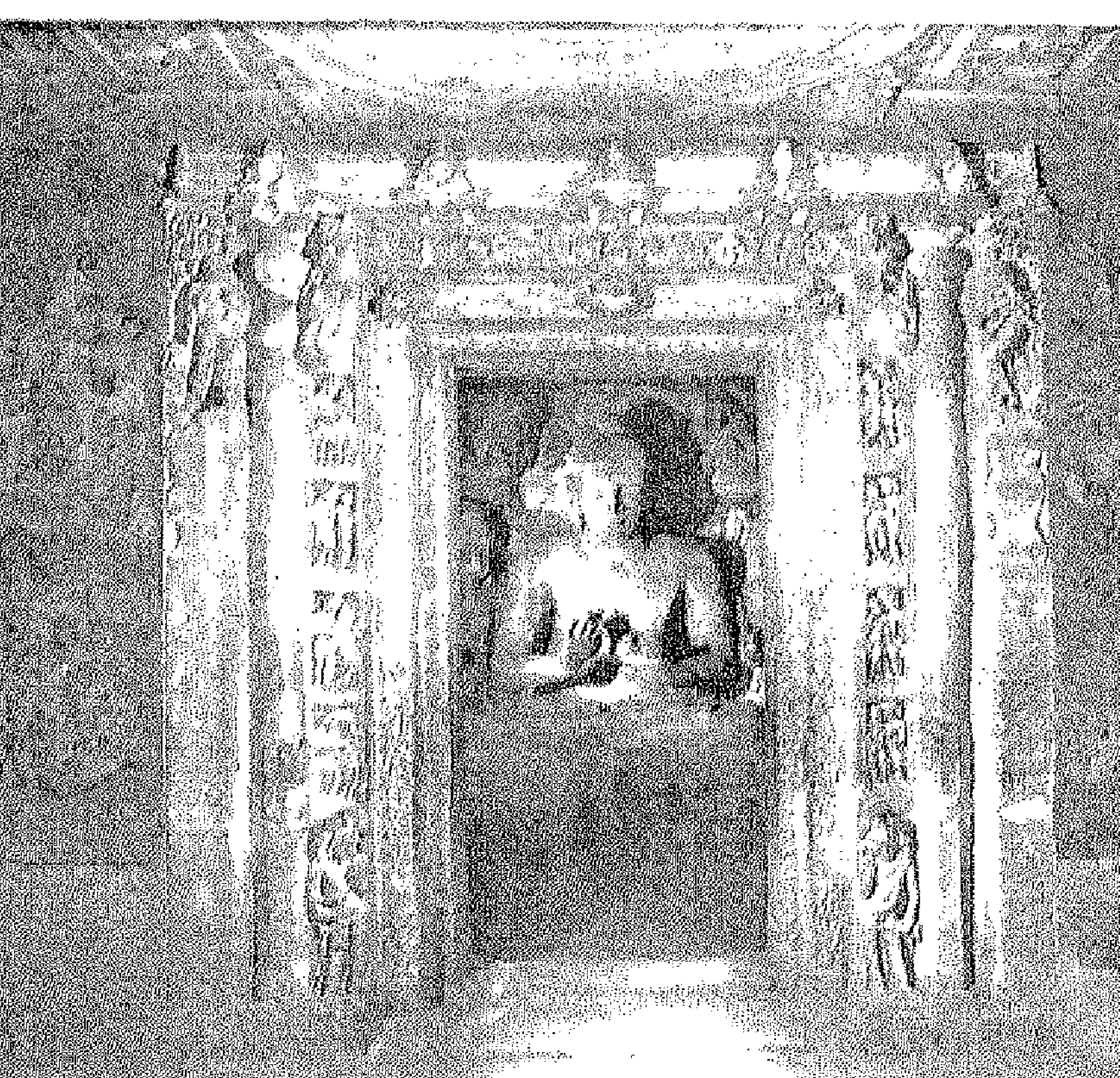
George Holton / Photo Researchers, Inc.

كهوف أجانتا الثلاثون الغارقة في الريف الهندي على بعد حوالى ثلاثمئة كيلومتر شمال شرق مدينة بومباي، هي في مرتبة عجائب الدنيا. وقد حفرت هذه الحرم الفسيحة داخل جرف بازلتي شديد الانحدار خلال الفترة الواقعة بين العام ٢٠٠ قبل الميلاد والعام ١٣٠٠ بعد الميلاد. وهي كلها حفرت بالمعول والازميل. ولا شيء في كهوف الهند الاثرية الاخرى، وعددها نحو ألف، يضاهي جداريات اجانتا التي تنافس الفن الايطالي في عصر النهضة.

وصل النساك الاوائل الذين كانوا يرتدون أثواباً صفراء الى المدخل المنعزل







فوق: داخل الكهف الاول، وهو مسكن يمتاز برسومه ومنحوتاته.
تحت: تفصيل لسقف ردهة.
الى اليمين: منحوتة تقليدية.

قرابة العام ٢٠٠ قبل الميلاد. وقد تعرفنا الى مظهرهم من خلال رسم وجد في الكهف السابع عشر. ونعرف أيضاً من الجداريات أنهم شيدوا أبنية من الخشب والخيزران قبل اقامتهم في مساكن الاجراف.

ويبين الكهف الرابع والعشرون الذي لم ينته العمل فيه أبداً، الطريقة التي حفرت بها الكهوف. نحتت الدهاليز أو الانفاق المتوازية في الصخر من الامام الى الخلف ومن أعلى الى أسفل. ثم وصلت بعضها ببعض بهدم الجدران الفاصلة. وأكملت الاجزاء الثانوية في وقت لاحق.

ونجد نوعين من الكهوف: مساكن الاجراف وقاعات التأمل. ويتألف المسكن النموذجي، كالكهفين الاول والسادس عشر، من رواق أمامي غني بالنقوش ويطل على الوادي، وشرفة واسعة وقاعة تبلغ مساحتها حوالى ٤٠ متراً مربعاً ولها سقف مسطح. وتنفتح حجيرات النساك على القاعة.

وتنتشر قاعات التأمل (الكهوف ٩ و١٠ و١٩ و٢٦ والكهف ٢٩ غير المكتمل) بين مساكن الاجراف. ويعد العاشر أكبر هذه الكهوف الرفيعة المقام وأقدمها. ويبلغ عمقه ٢٩ متراً وارتفاعه ١١ متراً. وينفصل صحنه الرئيسي الذي يتميز بسقف مقنطر، عن الاجنحة الجانبية بأعمدة مثمنة مما يجعل الشبه مدهشاً بينه وبين اماكن العبادة القديمة.

رسوم فاتنة - تمت زخرفة الكهوف بين القرنين الخامس والسابع خلال العصر الذهبي للفن الهندي. وكان رسامو أجانتا من المحترفين المتجولين الذين نشروا، حيثما حلوا، بساطاً عجيباً من الجيوش الزاحفة وحطام السفن والاغواءات والقصور المتألقة والاساطير. وجاءت النتيجة مزيجاً ساحراً من العقائد والتراث الشعبي. وتدل الرسوم على تضلع من رسم الشكل ومعرفة بالرسم المنظوري واحساس فاتن بالحركة والتعبير. وقد تفوق الفنانون في رسم الاشكال الخارجية، وغالباً ما كانوا يفعلون ذلك بضربة واحدة، كما يدل شكل القرد أو الأيل في الكهف السابع عشر. وتفعم رسوم الذكور بالطاقة والرشاقة. وتبدو النساء

بعقصات شعر لولبية وهن مرتديات عباءات ومزدانات بجواهر متقنة الصنع وعقود من الخرز تتدلى حتى صدورهن أو تطوق أرجلهن على نحو جميل.

لمن ابتكرت هذه الرسوم الفاتنة؟

لا شك في أنها هدفت بادىء الامر الى ابهاج المتبرعين المحتملين، وان يكن جميع الذين شاهدوها أفادوا من الدروس المعنوية التي تلقنها.. وكانت مجموعة المتنسكين تعتمد على الاحسان. وتخبرنا النقوش أن الامراء والوزراء كانوا يدفعون تكاليف بناء الكهوف وتزيينها في غالب الاحيان.

والى ذلك كانت أجانتا تقع على بعد بضعة أيام سفراً من طريق تكثر فيها القوافل. ومن المؤكد أن عجائب الكهوف استأهلت أن يعرج المرء عليها ويتبرع بهبة ما.

أضرار بالغة – ليست الجداريات لوحات جصية نموذجية، أي صوراً رسمت على الجص الرطب الذي يلتصق على الاساس المتروك ليجف. فهنا كان الاساس جافاً، وهو مزيج صلب من الطين وقشور الرز أو مادة نباتية تنشر على الحائط الحجري. ويغطى هذا الاساس الخشن بطبقة رقيقة ناعمة من الجص الابيض تنفذ عليها الصورة بدءاً بالرسم التخطيطي الاولي. وكانت الاصباغ، من أحمر وبني وأخضر ومغرة، تستخرج من المعادن المتوافرة محلياً. وكان أولئك الفنانون القدماء يحصلون على اللون الابيض من كلس الاصداف وعلى اللون الاسود من سخام المصابيح. وعندما فتحت التجارة الآسيوية أبوابها أمام التجارة الهندية قرابة العام ٤٥٠ وصلت حجار اللازورد من بلاد فارس. وكان سحن هذه الحجار دقيقاً يعطي مادة زرقاء صافية.

وفي العام ١٨١٩، خلال رحلة صيد، اكتشف ضباط بريطانيون الكهوف والرسوم. وكان من الانسان والطبيعة أن ألحقا بها الاضرار. فاقتلاع الاشجار التي كانت تحمي الابواب والنوافذ الواسعة المفتوحة أتاح دخول الحمام والسنونو والنحل، وأسوأ منها الوطاوط. وأقدم المخربون على تشويه الجدران. ولكن منذ عشرينات هذا القرن بدأ المرممون العمل ووضعوا حداً للتلف التدريجي.

وتعد كهوف أجانتا اليوم أثراً وطنياً ومن المفاتن الاساسية التي تجذب السياح الى الهند.

إرنست هاوسر ■





راقصة متبرجة
بالخرز والخلاخيل والأساور
تؤدي رقصتها
مع عازفات حسناوات
(الكهف ١) .

تحت الى اليسار:
أمير يحاول ابهاج زوجته
الحزينة لسفره الوشيك
(الكهف ١٧) .

رسوم في الكهف ١٧
لرجال وكلاب وأيائل وخيول
تبدو في حال حركة.



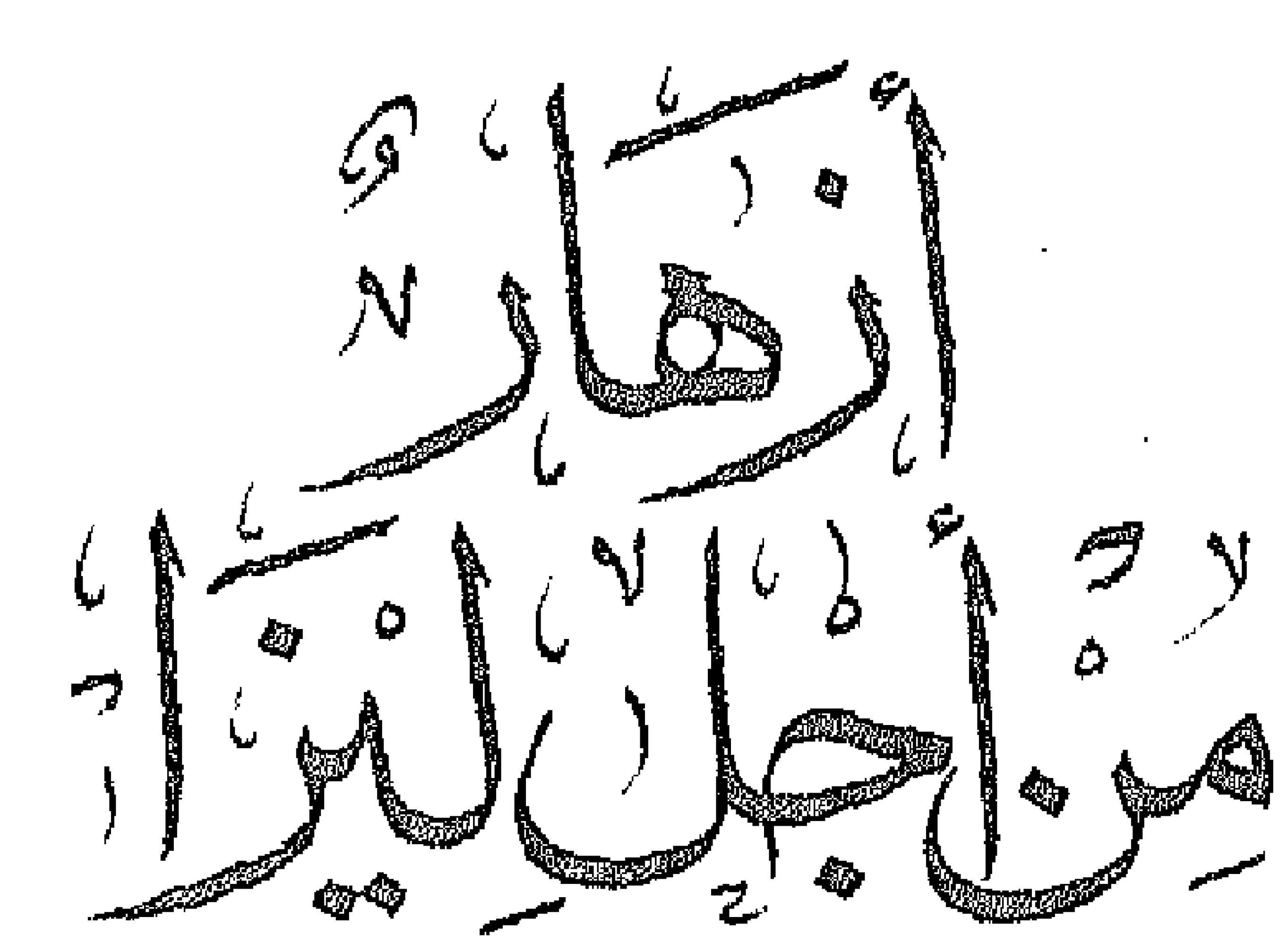


كتاب الشهر

ملخص من كتاب
بقلم جون بيكانن

أزهار من أجل ليزا





أزهار من أجل ليزا

كانت عائلة كيلي في غرفة الانتظار في المستشفى عندما تلقت النبأ المفجع. فحادث السيارة الذي تعرّضت له ابنتهم ليزا تسبب في تحطم جمجمتها وجعلها في حال وفاة دماغية. وعلى رغم هول المصاب، قررت العائلة ان تهب كلية ليزا لمن له حظ في الحياة.

احد المستفيدين كان طفلاً في الثالثة من عمره اسمه ماثيو، أجريت له عملية زرع للكلية التي تلقاها من ليزا. وهذه قصة كفاحه الشجاع ضد خطر مزدوج: العدوى الجرثومية، والمحاولات المتكررة لجهاز المناعة لديه لإتلاف الجسم الغريب

في تلك الليلة الباردة من شهر مارس (آذار)، تجمعت الغيوم في سماء غاب قمرها واكفهرّ الجو منذراً بمطر غزير. وقد شعرت الفتاتان بالريح تصفع وجهيهما وسمعتاها تعصف بين الاشجار والحشائش.

راحت ليزا كيلي، وهي فتاة دقيقة الحجم رشيقة الحركة، تنتقل بسرعة في الظلام ومعها صديقتها جون. وكانتا

تسيران على حافة طريق ريفية ذات خطين تؤدي الى سوق تجارية تبعد عنهما اقل من كيلومتر. وكانت اواصر صداقة حميمة تربط الفتاتين. فكلتاهما طالبتان في الصف الماقبل الأخير في المرحلة الثانوية وهما اعتادتا ان تمضيا ليالي السبت معاً.

قالت ليزا: "لن نذهب الى اي مكان سيراً على الاقدام بعد اليوم، فالاسبوع المقبل ستكون لي سيارتي الخاصة."

"الحمراء؟" سألتها جون.

– نعم، وهي بليموث ٧٦.

وبصوت علا على صوت الريح، صرخت جون: "أكاد لا اقوى على الانتظار."

وبفضل عمل جزئي، استطاعت ليزا ان تدخر مبلغ ١٥٠٠ دولار. وهي كانت توجهت الى والدها في وقت سابق من ذلك المساء وراحت تلاطفه وتعانقه حتى انتزعت منه وعداً بمرافقتها يوم الاثنين لشراء السيارة. وقالت له: "سأكون سائقة محترزة، سوف ترى."

ابتسم لها والدها وقال: "اعرف هذا يا عزيزتي."

في السابعة عشرة من عمرها كانت ليزا صارخة الجمال واجمل ما فيها عيناها الزرقاوان اللتان كانتا تشعان وداعة ورقة. اما شعرها الاشقر الطويل الذي ينساب حول وجهها بانوثة وسحر فقد كان في تلك الليلة يتمايل مع الريح وهي جادة في سيرها.

اقتربت الفتاتان من محطة للوقود تحوطها حوانيت صغيرة عند تقاطع طريقين ريفيتين معبدتين يكتنفهما الظلام. ولم يعد يفصلهما عن السوق سوى مئتي متر. على ان اجتياز ذلك التقاطع لم يكن بالأمر السهل على رغم وجود اشارة ضوئية.

وكانت ليزا ترتدي سروالا من قماش الجينز وسترة زرقاء ذات قلنسوة متصلة بها وتنتعل قبقاباً خشبياً جعل قدميها تطرطقان على الرصيف. وقالت لها جون: "انك تبدين مثل حصان يخب."

بلغت الفتاتان التقاطع وحدقتا الى الظلام مستكشفتين الطريق وعندما تأكدتا من خلوها من العربات تقدمتا الا انهما فوجئتا باضواء مصابيح امامية لسيارة ظهرت من المجهول. فاندفعتا فراراً من الخطر الداهم لكن قبقاب ليزا اعاق تحركها فيما نجحت جون في الوصول الى الجانب الآخر وراحت تستعجل صديقتها الخطى، لكنها ادركت حين رأت السيارة تنزلق مندفعة في اتجاه ليزا التي شلت قواها، ان صديقتها لن تنجو منها وهي كانت على بعد متر احد من حافة الطريق عندما صدمتها.

"يا الهي، يا الهي!" صرخت جون وهي تنتحب وتستغيث. وما لبث الليل من حولها ان امتلأ بالاصوات التي تنبىء بالأزمات. فقد سُمعت اولا صفارات الانذار وفرق الانقاذ وسيارات الاطفاء والشرطة ثم هدر محرّك مروحية اسعاف تابعة لشرطة الولاية حومت فوق المكان قبل ان تحط في موقف للسيارات.

لفّت جو لسلي بقايا الفروج المشوي في الالمنيوم وحشرته في الثلاجة فيما راح صديقها ريك يساعدها في صف

الاطباق في الجلّاية. وضغطت جو زر التشغيل والقت نظرة سريعة على ساعة الحائط التي كانت تشير الى العاشرة مساء. كان يوماً شاقاً بالنسبة الى جو.

كانت جو امرأة مطلقة في الحادية والثلاثين من عمرها ذات شعر بني ينسدل حتى كتفيها وعينين بلون البندق تخفيهما وراء نظارتين طبيتين ووجه دقيق جذّاب ينمّ عن حيوية فائقة.

وكانت تلقت تدريباً في المركز الطبي في جامعة ديوك بدورام في ولاية كارولينا الشمالية لتصبح مساعدة طبيب. لكنها خلال الاشهر الاخيرة شغلت منصب مديرة بالوكالة لمركز بلتيمور الكبرى لتأمين الاعضاء البشرية وحفظها وهو منصب يتطلب عملا شاقاً ومرهقاً. وهي امضت الليل الفائت في عملية استقبال وتسلّم لكلية آتية من ولاية كارولينا الشمالية، لذلك كانت تتطلع تلك الليلة الى امسية هادئة في المنزل.

وما كادت تستقر في ركن مريح في غرفة الاستقبال حتى رنّ جهاز الاستقبال الالكتروني لديها. فانطلقت الى الهاتف مستطلعة الامر فبادرتها الممرضة في مستشفى جامعة ميريلاند: "يستحسن ان تحضري يا جو."

- ماذا حدث؟

"إصابة في الرأس لشابة وصلت بالمروحية قبل عشرين دقيقة."

- سأحضر في الحال.

استدارت جو الى ريك وهزّت كتفيها فاجابها بالمثل، فهو متفهم ويعرف ان استدعاءها على هذا النحو المفاجىء جزء من عملها.

كان السير خفيفاً كالعادة مساء ذلك السبت وجعلت سيارة جو "الفولكسفاغن" ترتجّ فوق الحفر التي خلفها الشتاء القاسي. وما هي الا دقائق حتى كانت في الساحة الخلفية للمستشفى. حيث اوقفت سيارتها تحت إشارة "موقف طوارىء خاص بفريق الزرع الطبي."

دخلت المصعد وتوجهت فوراً الى مكتبها في الطبقة السادسة. وعلى عجل ارتدت المعطف الابيض الخاص بالمختبرات ثم هبطت ثلاث مجموعات من السلالم وصولا الى القسم الخاص بإدخال إصابات الصدمات والرضوض. وهي كانت تعمل ضمن فريق مهمته تقويم صلاحية انسان مشرف على الموت للتبرّع بواحد او اكثر من اعضائه ثم مفاتحة عائلته بالموضوع من أجل الاستحصال على إذن منهم. ولطالما اجتازت جو تلك الاروقة المؤدية الى ذلك القسم في ساعات الليل المتقدمة خصوصاً في عطل نهاية الاسبوع حين تكثر حوادث السير القاتلة. كان عملها صعباً ودقيقاً.

لا امل

عندما دنت جو من هذا القسم ألقت نظرة على الصندوق المضاء المعلّق على الحائط خارج غرفة الاستقبال ورأت فيه صورة اشعة يظهر فيها الشكل المستدير الابيض لجمجمة بشرية. في الحالات الطبيعية يظهر البياض متكاملا املس وصقيلا بخلاف الصورة التي شاهدتها والتي تخللت بياضها خطوط غامقة بدت كالانهر في صورة لمنظر طبيعي التقطت من بعيد. وادركت جو ان صورة الاشعة

كانت تشير الى الاسوأ: كسور عدة في الجمجمة التي بدت كقشرة بيض.

انها صورة جمجمة ليزا كيلي.

في غرفة المعاينة، احاط الاطباء والممرضات بليزا وراحوا يعملون بلهفة محمومة لانقاذها. كانت كلماتهم مقتضبة واصواتهم منقبضة وعيونهم وايديهم تتحرك بسرعة وليزا ساكنة لا تتحرك، ومن حولها وسائد وضمادات تمنع الاختلاج العضلي اضافة الى كمادات وادوات معقّمة واجهزة اوكسيجين وتنفس وإنعاش.

ورفض أحد الاطباء الشباب ان يستسلم لليأس وسأل عن مؤشر غاز ثاني اوكسيد الكاربون. على ان مسحة الحزن التي بدت على ملامحه انبأت جو بانه كان يعلم انه سيخسر امام قسوة الموت هذه المرة.

ويقوم نظام المعالجة من الصدمة على السرعة والمبادرة وهو مصمم على هذا الاساس. فالاستسلام ممنوع قبل التأكد بشكل قاطع من ان الوفاة محتومة. والجهد الانقاذي الذي بوشر في مكان الحادث توبع حالما أنزلت ليزا من المروحية. ولقد لجأ الاطباء الى جميع الطرق والاساليب المعروفة لانقاذها. فمن العقاقير الى انابيب العروق الى التهوئة الفائقة.

والمؤشران المشجعان الوحيدان كانا ان بؤبؤي عينيها ظلا يستجيبان للضوء وان مؤشراتها الحيوية ظلّت ثابتة. على ان الورم في دماغها أخذ في الازدياد وبلغ درجة بات التخلص منه متعذراً.

ومرت الدقائق فاستدار احد جراحي الاعصاب في اتجاه جو وقال لها: "يبدو انها ستحال عليك." قالها بصوت منخفض. وتلك كانت لغة الموت. فردت:

"هذا ما قدرته عندما رأيت صور الاشعة." ثم سألت: "هل وصلت عائلتها؟" فاجابها:

"انهم في الطريق الينا." واضاف: "سوف اكلمهم في الموضوع".

دنت جو من ليزا، فرأت امامها شابة على عتبة الحياة مستعدة لخوض تجاربها حتى النهاية، لكن تلك الفرصة ولّت.

نظرت جو الى الكيس البلاستيكي الصغير الذي يتدلى من كعب السرير الذي رقدت فيه ليزا. كان البول في داخله صافياً مما يدل على ان كليتيها تعملان طبيعياً.

ابنة بالتبني

خرجت جو الى الرواق وهي تعرض في فكرها اجواء اللقاء مع اهل الفتاة. ومثل تلك اللقاءات لم يكن من السهل التنبؤ بنتائجها. فحدث مرة ان أغمي على والد فتى مراهق وانهار امامها. ومرة أخرى هجم عليها شقيق شاب مصاب بطلق ناري. لم تكن لديها اي فكرة عما سيؤول اليه لقاؤها وعائلة كيلي.

فور تبلغهم النبأ تجمع افراد عائلة كيلي، وهي عائلة كبيرة متماسكة، وهرعوا الى المستشفى. وصل يوجين مع ابنه تومي البالغ عشرين عاماً. اما زوجة يوجين لويز، فكانت توجهت الى هناك برفقة مورين احدى بناتهما المتزوجات التي تقطن في الجوار. واخيراً وصل دونالد والتقى الجميع في المستشفى ما عدا إلن

التي كانت خارج المنزل ولم تعلم بالحادث الا لاحقاً.

كان المستشفى يبعد مسافة ساعة بالسيارة عن منزل العائلة الانيق والمريح والذي بناه يوجين كيلي بنفسه، وهو نجار في التاسعة والخمسين. وفي الطريق الى المستشفى طافت صور لليزا امام عينيه. فقد رآها طفلة ثم شابة. وحاول جاهداً ان يتشبّث بالامل.

اما لويز، فجلست في السيارة مع مورين وعجبت لسخرية القدر فهي ظنت ان همومها لن تبدأ قبل يوم الاثنين حين تكون ليزا اشترت السيارة.

ازدحمت صور ليزا في مخيلتها ورجعت لويز بذاكرتها ١٤ عاماً حين عرفت ليزا للمرة الاولى طفلة في الثالثة من عمرها انتزعت بأمر قضائي من والديها اللذين كانا يسيئان معاملتها وخصوصاً والدتها التي كانت تعاني عدم استقرار واضطراباً عاطفياً. وبما ان عائلة كيلي درجت على استقبال الاطفال والعناية بهم فقد عهدت اليها محكمة الولاية في رعاية ليزا وتربيتها. ولم يكن أحد ليحسب ان ليزا لم تكن ابنتهما الحقيقية نظراً الى الاواصر القوية التي كانت تربط بين افراد العائلة.

كان لعائلة كيلي في ذلك الوقت ثلاثة اولاد هم: دونالد ومورين وهما طالبان في المرحلة الثانوية وتومي وهو تلميذ في المرحلة الابتدائية. وكان افراد العائلة ينعمون بفيض من الحب والحنان، وما ان وقعت انظارهم على الطفلة المحرومة حتى قرروا جميعهم الاحتفاظ بها.

ومع انه مرت اشهر قبل ان تسمح ليزا لأي من هؤلاء بضمها او معانقتها، الا ان الحب تغلّب في النهاية على كل ما عداه وحلّت الابتسامات والضحكات مكان الكوابيس والبكاء ونوبات الغضب وتحوّلت الطفلة المرتعبة انساناً مُحباً للمرح والحياة.

بعد سنتين استقبلت العائلة شقيقة ليزا الصغرى إلن التي كانت في عهدة عائلة اخرى. وما ان حان وقت إدخال الفتاتين المدرسة حتى كانت عائلة كيلي أتمت المعاملات القانونية ومنحتهما اسمها. ومع ان الاجراءات القانونية للتبني استغرقت سنوات الا ان العائلة تابعتها بعزم وعناد، وكانت على وشك الانتهاء منها.

القرار الحاسم

عندما وصلت مورين ووالدتها الى قسم الصدمات في المستشفى، أُدخلتا قاعة الانتظار. وبعد دقائق وصل يوجين وتومي. وباعصاب مشدودة جلسوا ينتظرون. ثم اقترب منهم جرّاح الاعصاب بردائه الاخضر الخاص بغرفة العمليات. وكان منقبض الاسارير مشدود الملامح. وقال بصوت منخفض:

"انني آسف، فإصابة ابنتكم في الدماغ لا شفاء منها وليس لديها اي امل في الحياة."

وبصوت منتحب سألته لويز: "لا امل؟"

- كلا، انني آسف جداً.

حملت جو لسلي عينة من بول ليزا واسرعت تتسلّق السلم الى مختبر الباثولوجيا لاجراء الفحوص التي تحدد اذا كانت كليتاها سليمتين. فالتقنية

الطبية ابقت جسد ليزا حياً وحافظت على تدفق الدم الى الاعضاء الحيوية. غير ان جذر الدماغ لديها، وهو المركز الذي يتحكم بنبضات القلب والتنفس وضغط الدم، اخذ ينسحق تحت ضغط انسجة الدماغ المنتفخة والامل في الحصول على كليتيها سيتبدد فجأة اذا توقف قلبها عن الضخ وتوقف تنفسها.

في تلك الاثناء تولى طبيب مراقبة جهازها العصبي. والفحص الذي اجراه اظهر ان ليزا فقدت كل احساس بالالم العميق وان اعصابها فقدت القدرة على الاستجابة حتى اللاارادية وان عينيها لم تعودا تستجيبان للضوء. وللتحقق من مقدرتها على التنفس تلقائياً، تم فصلها لفترة وجيزة عن الجهاز الذي يضخّ الاوكسيجين الى رئتيها فلم تستطع التنفس. وقبل اعلان الوفاة الدماغية يقتضي الاسلوب المتبع في ميريلاند التحقق من الامر بواسطة تخطيطين منفصلين للدماغ. وبعدما اجراهما لم يعد لدى الطبيب ادنى شك في ان ليزا فقدت كل امل في الحياة.

حين علمت جو بالأمر شعرت انه حان الوقت لمفاتحة العائلة بالموضوع. والحصول على إذن من الشخص الأقرب يعتبر ضرورياً جداً في حالات التبرع بأحد الاعضاء.

جلست مورين وحيدة على اريكة في غرفة الانتظار. فاقتربت منها جو وقدمت اليها نفسها قائلة: "انني آسفة جداً."

شكرت لها مورين عاطفتها وعيناها محمرتان من فرط البكاء وأخبرتها أنها كانت ممرضة مجازة وطلبت منها ان ترافقها لرؤية ليزا وقالت: "اودّ ان اعرف اذا كانت حالها تسمح لوالدي بأن يراها."

ساعدتها جو في ارتداء الثوب المعقم وقادتها الى سرير ليزا. وحالما وقعت عينا مورين على أختها راحت تنتحب ومدت يدها ولمست الجسد البارد.

"ليته كان..."

خرجت الاثنتان من الغرفة واستهلت جو حديثها لمورين: "ليته كان في وسعي ان اقول ان هناك املا، لكن الامل مفقود." اطرقت مورين محدقة الى الارض فيما تابعت جو: "اود ان تفكر عائلتك في وهب اعضاء ليزا. اتمنى ان توافقوا لكني اتمنى ان توافقوا من اجلكم انتم. مع الوقت سيكتسب هذا العمل معنى ربما ساعدكم على التخفيف من وقع خسارة ليزا عليكم."

وبدل ان تطيع مورين غريزتها وتصرخ بعفوية: "كلا! لا تسببوا لها مزيداً من الالم!" استدارت نحو جو بهدوء وقالت: "عليّ ان اراجع والدي بالأمر فالقرار يعود اليه." ثم توجهت نحو قاعة الانتظار حيث والدها.

ولأن محكمة الولاية كانت لا تزال الوصي الشرعي على ليزا، فقد اتصلت جو، بعد مغادرة مورين الغرفة، بالمسؤولين شارحة لهم الوضع لجهة التبني. وهم اعتبروا وهب اعضاء ليزا عملا مقبولا شرط ان توافق العائلة عليه.

وضعت جو سماعة الهاتف في مكانها وتوجهت الى يوجين كيلي الذي لم يتردد لحظة بل قال: "نعم. اني اعتبره عملا

مميزاً فليزا احبّت الناس دائماً وأحبّت ان تعطيهم."

ناولته جو النموذج الخاص بالموافقة على التبرع وهو كان يحوي إقراراً بهويته وبإنه يجيز الامر. وقد وقّعه في الحال وقال: "سوف اخبر لويز لاحقاً لانها لن تقوى الآن على تحمل ما يجري."

وافقته جو على رأيه ونصحته بالذهاب الى المنزل لانه لم يعد هناك ما يفعله في المستشفى، فليزا ستوضع قيد المراقبة طوال الليل ولن يصدر بلاغ رسمي بالوفاة قبل صباح اليوم التالي. وقالت: "لماذا لا تذهبون جميعكم الى المنزل لتنالوا قسطاً من الراحة؟"

جمع يوجين افراد عائلته. وكانت الساعة قاربت الثانية صباحاً والطقس بارد حين توجه الجميع الى البيت.

ذلك الاحد، بعد سهر ليلتين مرهقتين وبسبب عطل طرأ على المنبّه، استغرقت جو في النوم الى ما بعد وقت نهوضها المألوف. وفي تمام الساعة التاسعة صباحاً، رنّ جهاز التنبيه الالكتروني المتصل بالمستشفى. وعندما راجعت جو قسم الصدمات اعلموها أن نشرة الدماغ الالكتروني اصبحت جاهزة وهي تحتوي على لائحة باشخاص مرشحين لعمليات زرع اعضاء.

كان ديف كابوس وهو تقني يعمل في معاهد جونز هوبكنز الطبية قد امضى الليل الفائت وهو يحلل عيّنة من دم ليزا من اجل تحديد نوع انسجتها ومطابقتها بواسطة الكومبيوتر مع انسجة اكثر من ٥٠٠٠ مريض في حاجة الى زرع اعضاء واختيار الاشخاص الاكثر تطابقاً لها.

والانسجة كالدم فئات، غير ان فئات الانسجة هي اكثر تعقيداً وتصنف على اساس مولدات بروتيينية مضادة موجودة في بعض خلايا الجسم.

ولا جدوى من ارسال كبد او كلية لمريض بأمسّ الحاجة اليها ما لم تكن انسجة الطرفين متطابقة فاحتمال رفض الجسم لها مرتفع جداً.

سباق مع الوقت

وصلت جو الى قسم الصدمات الساعة التاسعة والنصف فاجتمعت لتوها بالجرّاح، وفي العاشرة والنصف أدخلت ليزا غرفة العمليات الرقم ٦ فتقدم الجرّاح واحدث بضعاً طويلا ثم انصرف الى استئصال كليتي ليزا. وحرص على ان يبقي للشرايين والأوردة والحالب طولا كافياً يسمح للجرّاحين العاملين على زرع الكلية في الطرف الآخر، بأن يخيطوها في جسد المتلقي.

وضعت جو كليتي ليزا في اوعية بلاستيكية معقّمة ثم ادخلتهما صندوقاً مصنوعاً من مادة "الستايرونوم" مملوءاً بقطع صغيرة من الثلج ضبطت برودته على اربع درجات مئوية اي ما يعادل برودة ثلاجة منزلية. ولا تبقى الكلية حية خارج الجسم اكثر من ٤٨ ساعة.

اتصلت جو هاتفياً بموظف آخر يعمل منسقاً في القسم الذي ترئسه اسمه بوب غرانت وسألته: "كم يلزمك من الوقت للحضور الى القسم؟ فلدينا كليتان جاهزتان للتسليم."

– سأكون هناك خلال عشرين دقيقة.

استعانت جو بلائحة الكومبيوتر التي

زودها اياها كابوس وراحت هي وبوب يتصلان بالمراكز التي يعالج فيهما المرضى الذين تعتبر درجة تطابق انسجتهم مع انسجة ليزا جيدة. احد هؤلاء كان ماثيو لاندس وهو طفل في الثالثة من عمره اظهر الفحص ان درجة تطابق انسجته مع انسجة ليزا كانت مرتفعة جداً. وتطابق اربعة مولدات مضادة كان يُعتبرُ في ذلك الوقت امراً ممتازاً وفي حال ماثيو كانت هناك ثلاثة من اربعة.

إتصلت جو بمنسّق قسم الاعضاء الحية في سنسناتي الذي قال لها: "اننا في حاجة ماسة الى الكلية."

بقي عليهما ان يجدا متلقياً صالحاً للكلية الثانية. وتبين من اللائحة ان هناك امكاناً لا بأس به بالنسبة الى مريض في مركز وولتر ريد الطبي في واشنطن. وعندما اتصل بوب بالمركز قيل له ان لديهم مريضة تدعى كارولين بلانشارد تنتظر واهباً. وقد غمرت جو موجة من الارتياح، فكل من كليتي ليزا كيلي وجدت لها موطناً على ما يبدو.

لم يتوقف السباق مع الوقت. وعلى أحد جوانب البراد الذي حمل كلية ليزا اليمنى الى مستشفى وولتر ريد في رحلة استغرقت ساعة ألصقت لافتة ذات لون برتقالي صارخ حملت بخط اسود عريض العبارة الآتية: "كلية بشرية للزرع." اما الكلية اليسرى التي كان عليها ان تقوم برحلة أطول الى مستشفى الاطفال في مركز سنسناتي الطبي، فوصلتها جو بآلة خاصة وظيفتها تقليد الدورة الطبيعية والقيام مقامها من طريق ضخ مزيج مبرد من البلازما ومحلول ملحي و"ودكستروز" ومغذيات أخرى، الى الكلية عبر الأوعية المتصلة بها.

ولأن الرحلات الجوية التجارية الى سنسناتي كانت انتهت ذلك اليوم، فقد اتخذت جو جميع الترتيبات لاستخدام طائرة خاصة وابدى جماعة سنسناتي استعدادهم لتسلم الكلية في المطار.

"إبر" لجورج العجيب

بعد ظهر ذلك الأحد الهادىء كانت الشمس مشرقة في اوهايو فيما هبت ريح قاسية وباردة في الولاية. وعلى رغم البرد، تصبب جيم لاندس عرقاً وهو يشقّق الحطب في الفناء الخلفي لمنزله.

وما ان دخل المنزل حتى سمع رنين الهاتف "فصرخت زوجته بيتي: "انا سأجيب."

وما ان رفعت السماعة حتى عرفت الصوت.

كان المتكلم الدكتور بول ماك انري من مستشفى سنسناتي للاطفال. فسألها: "هل بامكانكم إحضار ماثيو بعد الظهر؟ نود ان نأخذ قليلا من دمه من اجل فحص للتطابق. لدينا كلية آتية من بلتيمور وتبدو الامور جيدة."

اجابت بيتي: "سنكون هناك خلال ساعة."

كان ماثيو يلعب في غرفته، فركعت بيتي بقربه وقالت له: "لقد تحدث معنا الدكتور ماك إنري بالهاتف الآن،" ولما لم يعر ماثيو كلامها اي اهتمام، تابعت: "يريدنا ان نذهب الى المستشفى من اجل اجراء فحص."

"وخزة اخرى؟" كان ماثيو يكره

"الوخزات" كما كان يسمي الابر وكانت تنتابه الكوابيس في الليل بسببها.


– اجل يا عزيزي. انما وخزة صغيرة فقط."

"سأحضر جورج معي،" قال ماثيو وهو يتناول السعدان المحشو الذي لم يدعه ماثيو يفارقه خصوصاً عندما يذهب الى المستشفى او عندما يكون في حاجة الى مواساة. وامضى الطفل اكثر من ثلاثة ارباع حياته في المستشفى وبدا متقبلا لضرورة وجوده فيه احياناً.

كان ماثيو لدى ولادته طفلا قوياً معافى. وحدها والدته، بحدسها المرهف، لاحظت تغيراً بدأ يطرأ عليه تدريجاً منذ الشهر الثاني. ولم يعد يقبل ان يحمله أحد وراح يبصق طعامه وكانت حرارته ترتفع من وقت الى آخر. وحدث وهو في شهره الخامس، ان أدخل مستشفى للاطفال بسبب التهاب في الشعب. عندها فقط شُخِّصت حاله.

وتبين ان إحدى كليتيه اكتسبت، وهو جنين، حجماً غير طبيعي كذلك الحالب الذي اصبح طوله ضعفي الطول الطبيعي وظهرت فيه عقد تسببت في تراجع البول الى الكلية مما اقتضى سلسلة من الجراحات اقتضت اولاها ازالة العقد. وهذا التدبير اطال عمل الكلية، وإن في حدِّه الادنى، لفترة وجيزة.

وقبل اربعة اشهر من بلوغه السن الرابعة، كان حجمه اقرب الى حجم ابن السنتين منه الى حجم ابن الاربع. وحمل جذعه الصغير آثار جراحات عدة بينها عمليتا زرع غير ناجحتين اوصلته احداهما الى حافة الموت لرفض جسمه الكلية.



ساعة الحقيقة

في انتظار عملية الزرع، يبقى معظم مرضى الكلى احياء بفضل آلة للديلزة الدموية وهي كلية اصطناعية تقوم بوظيفة الكلية الطبيعية في تنقية الدم.

وكانت الاوعية الدموية لدى ماثيو من الصغر بحيث لا تسمح بتحمل عملية الديلزة الا لوقت وجيز جداً. وهو كان في حاجة الى كلية جديدة ليبقى على قيد الحياة وعنصر الوقت اصبح داهماً.

"مرحباً يا ماثيو،" رحبت به إحدى الممرضات عندما وصل مع والديه الى المستشفى ثم اضافت: "اني ارى جورج معك." اما الدكتور ماك انري فقال له: "علينا ان نأخذ قليلا من الدم يا ماثيو. فهل توافق؟"

اومأ ماثيو برأسه موافقاً.

وقد طمأنته الممرضة: "وخزة صغيرة فقط. لن تشعر بها." فرماها ماثيو بنظرة ارتياب لكنه مد ذراعه اليسرى. وعندما ادخلت الممرضة الابرة في الذراع، شد على "جورج العجيب" بقوة وقاوم دموعاً كادت ان تنهمر.

انتهى الامر بسرعة وعاد ماثيو مع والديه جيم وبيتي الى البيت.

في تمام الساعة الثانية من صباح اليوم التالي، رنّ جرس الهاتف في منزل آل لاندس وكان المتكلم الدكتور ماك إنري الذي اخبر جيم ان الكلية وصلت في حالة جيدة وان نتيجة فحص التطابق كانت مشجعة وسأله: هل في امكانك الحضور مع ماثيو الساعة السابعة؟"

– نعم، اجابه جيم.

في غرفة الانتظار في الطبقة الاولى من مستشفى الاطفال راح جيم وبيتي يتحدثان مع الدكتور جون نوزيرذي الجرّاح الذي سيجري العملية. كان رجلا ضخماً ويداه كبيرتان. وعجبت بيتي كيف ان يدين بتلك الضخامة تعملان داخل الاجساد الصغيرة بالدقة والرهافة المطلوبتين.

واوضح لهما الدكتور نوزويرذي ان كلية ماثيو الطبيعية تحولت بؤرة للجراثيم وأن اقل إصابة او عدوى جرثومية يمكن ان تشكل خطراً مميتاً خصوصاً مع العقاقير التي تعيق المناعة الطبيعية التي كان على ماثيو ان يتناولها اثناء عملية الزرع. وما لبث الطبيب ان دخل صلب الموضوع وقال: "لقد فكرنا ملياً في الامر. نريد ان نفصل كليته اثناء العملية. أعلم ان هذا امراً مفاجئاً بالنسبة اليكما." استوعب جيم وبيتي مغزى كلامه وما تضمنه من معنى.

ثم اضاف الطبيب: "انه قرار قاس. لماذا لا تتداولان الموضوع؟"

"هيا افصل الكلية"

فكرة فصل كلية ماثيو أرعبت بيتي وجيم، فهي على رغم العطل الذي فيها ابقته حياً بعد عمليتي زرع فاشلتين. ومن دونها سيفقدان آخر صمّام للامان في حال فشل هذه العملية ايضاً.

وراحت بيتي تنتحب بصوت خفيض وقالت: "بودّي ان اضمه بين ذراعي واحمله الى البيت. على الاقل سيكون معنا لبضعة اشهر اخرى."

اما جيم فقال: "لو كنت مكانه لاصررت على اعطاء الكلية المزروعة افضل فرص

للبقاء. انها امله الوحيد في حياة حقيقية. اعتقد ان ماثيو كان سيفضّل كل شيء او لا شيء على الاطلاق."

وعلمت بيتي في قرارتها ان جيم كان على حق وقالت: "اعرف هذا، اعرف هذا."

عندما عاد نوزويرذي الى قاعة الانتظار نظر جيم بعيني الطبيب وقال: "نحن موافقان. هيا افصل الكلية."

كانت العاب ماثيو مصفوفة على الطاولة قرب السرير. اما جورج العجيب فكان مسنداً الى جانبه في السرير. حاول جيم وبيتي اخفاء قلقهما لكن ماثيو ظل صامتاً فيما هما يشرحان له ظروف العملية.

"ستحظى بكلية جديدة،" قالت بيتي فرد بصوت خفيض يكاد لا يسمع: "اعرف."

وطمأنته بيتي: "بابا وماما سيمكثان هنا. لن نغادر المكان ابداً."

استوعب ماثيو كلامهما لكنه بقي صامتاً.

بعد الخامسة بقليل وضع الصبي على حمّالة ونقل الى غرفة العمليات الرقم ٣. سارت بيتي وجيم الى جانبه ممسكين بيديه. "نحن نحبك يا عزيزي وسنبقى الى جانبك" ابلغته بيتي.

لم يُظهر ماثيو اي خوف ولم يتذمر. عيناه فقط افصحتا عن الخوف في داخله.

بعد السادسة مساء بقليل احدث نوزويرذي اول شق في الجهة اليمنى في اسفل البطن، لان الكلية المزروعة لا توضع في الجهة الخلفية مثل الكلية الطبيعية بل في الجهة الامامية حيث فرص الوصول الى الاوعية الدموية افضل بكثير.

في العمليتين السابقتين، وبسبب صغر حجم ماثيو آنذاك، تم وصل الكلية بالشريان الاورطي والوريد الاجوف باعتبارهما الوحيدين القادرين، بالنسبة الى حجمهما، على تزويدها الدم الكافي. اما الآن فلم يكن نوزويرذي يبغي استخدامهما مجدداً. ولأن حجم ماثيو اصبح يسمح بخلاف ذلك فانه عزم على وصل كلية ليزا بالشريان والوريد الحرقفيين في الجهة اليمنى.

وبعد عمل استغرق ساعة عبر انسجة جعلتها العمليات السابقة ليفية قاسية، ذُهل نوزويرذي عندما اكتشف ان ماثيو لم يكن لديه شريان حرقفي ايمن، وتعويضاً لهذا الشذوذ، تولت بعض الأوعية الفرعية نقل الدم الى الساق.

انتقل نوزويرذي بسرعة الى الجهة اليسرى.

خارج غرفة العمليات، حاول جيم وبيتي ان يتحدثا في الامور العادية لكنهما سرعان ما تخليا عن الفكرة. وسرح فكر جيم الى تلك الصبية المجهولة ابنة السبعة عشر ربيعاً التي ربما انقذت كليتها حياة ولده. ولم يكن مضى على وفاتها اكثر من ٣٦ ساعة. "أملنا قائم على احزان سوانا" قال في نفسه.

قطبة بعد قطبة

في غرفة العمليات، وجد الدكتور نوزويرذي صعوبة في تحديد وجهة سير عمله داخل جسد ماثيو الذي وجد فيه الكثير من الانسجة المتليفة. وتوصل اخيراً الى كشف الشريان والوريد الحرقفيين الايسرين.

وضعت الممرضة ملزم الاوعية الذي امر به في يده المبسوطة.

وجد نوزويرذي الوريد ليّناً مرناً فاحكم الملزم ليمنع جريان الدم فيه. اما الشريان فوجده قاسياً خشناً كأنه حبل مجمّد لنشر الغسيل. وبواسطة ملزم آخر اوقف جريان الدم فيه هو الآخر.

ثم اعلن: "اني جاهز للكلية."

فصلت ممرّضة الاحتياط، وهي ممرضة متنقّلة مهمتها احضار الادوات او استدعاء الاطباء من خارج غرفة العمليات المعقمة، الكلية عن آلة الترطيب التي كانت متصلة بها وحملتها الى الجرّاح بعد ان غطّتها بمنشفة معقّمة.

تناولها الجرّاح بين يديه وغسلها بمحلول ملحي دافق ثم انزلها برفق في الجيب الذي احدثه لها في بطن ماثيو. كان لونها ارجوانياً مزرقّاً وحجمها بحجم قبضة يد صغيرة.

بعد ذلك احدث نوزويرذي، بدقّة واحكام، شقين في كل من الشريان والوريد الحرقفيين ليسهل ربطهما بالاوعية الدموية لكلية ليزا. وفيما هو يخيط الاوعية، وهي المرحلة الاهم في هذه الجراحة، القى نظرة على الساعة. لم يكن امامه سوى ٣٠ دقيقة لانهاء عمله من دون ان تتعرض الكلية لأي خطر او أذى. وراح، بتركيز مطلق ودقة متناهية، يخيط قطبة بعد اخرى. فنجاح العملية لم يكن يتحمل ادنى خطأ.

راحت يدا نوزويرذي الضخمتان تعملان بسرعة واتقان وهما تحوكان بواسطة الابرة المنحنية التي بدت كشصّ لصيد السمك من دون شوك. كان يغرزها في وريد ليزا ويعقد بها انشوطة في وريد ماثيو ثم يسحبها بواسطة ملقاط صغير. ومع كل قطبة كان الرباط بين ماثيو وكلية ليزا يشتد احكاماً.

"كم استغرقت من وقت؟" سأل.

فاجابته الممرضة "اربع عشرة دقيقة."

كان العمل بالشريان اكثر صعوبة، واستوجب غرز الابرة دفعاً اكبر.

وسأل ثانية: "كم استهلكنا من وقت؟"

- ٢٣ دقيقة.

شعر نوزويرذي بتيبّس في عنقه وكتفيه من شدة الارهاق. وغرز آخر قطبة وبها اصبحت الاوعية وحدة متماسكة كأنها ملحومة. ثم نظر الجرّاح الى الساعة. ثلاثون دقيقة مرّت من دون زيادة او نقصان.

الامتحان الصعب

حان وقت الامتحان: امتحان لعمله وامتحان للكلية. حلّ نوزويرذي الملزم عن الوريد حيث ضغط الدم اقلّ بكثير منه في الشريان ورأى دم ماثيو يسري الى كلية ليزا. وبعدما تحقق من عدم وجود اي تسرّب قال: "يبدو الامر جيداً."

والآن جاء وقت الامتحان الأصعب. فقد حلّ الملزم عن الشريان الحرقفي لدى ماثيو. وكالماء المتدفق من سدّ مفتوح تدفّق الدم الى كلية ليزا. لا شيء على الاطلاق يضاهي رؤية كلية ضامرة متقلّصة تغيّر لونها وهي تعود تنبض حياة وعافية مع عودة الدم اليها. وكلية ماثيو الجديدة عادت في الحال وردية اللون متعافية. بعد ذلك بقليل تساقطت من الحالب

قطرات قليلة من البول فوق منشفة معقّمة.

"انها تفرز بولاً" صاحت إحدى الممرضات فيما سمعت هتافات مكتومة آتية من تحت الاقنعة الطبية حول طاولة العمليات. لقد بدأت الكلية عملها.

لم يكن مضى على حادث ليزا كيلي اكثر من ٤٨ ساعة، عندما وصل نوزويرذي الحالب في كلية ليزا الى مثانة ماثيو ثم انتقل الى الجهة الخلفية لنزع كليته الطبيعية. كانت مرقّشة ضامرة تغطيها رقع رمادية لندبات قديمة وكلها علامات التهاب جرثومي مزمن. لقد كان قرار استئصالها صائباً. والغريب في الامر هو كيف ان كلية مثلها كانت تعمل اطلاقاً.

بعد الاولى صباحاً بقليل نقل ماثيو الى القسم المعزول في وحدة "العناية الفائقة" حيث سيتلقى الدواء الخاص الذي يعيق المناعة الطبيعية عبر الوريد وذلك لمساعدة جسمه على عدم رفض كلية ليزا. وتجريده من مناعته الدفاعية تركته معرّضاً جداً للعدوى من طريق الميكروبات.

وعلى رغم الارهاق الشديد بعد عمل متواصل دام سبع ساعات ونصف ساعة خرج نوزويرذي من غرفة العمليات منتعشاً لأن كل شيء سار على ما يرام. واظهر ماثيو قوة ارتداد وتكيّف قوية وظلت مؤشراته الحيوية قوية ثابتة.

وهو بثياب العمليات، التقى نوزويرذي جيم وبيتي وقال لهما: "اكتسبت الكلية في الحال لوناً وردياً وكل شيء يبدو الآن جيداً جداً."

كانت الساعة الثامنة صباحاً والطقس ابرد من المعتاد بالنسبة الى شهر مارس (آذار) عندما اوقف الدكتور ماك إنري سيارته خلف مستشفى سنسناتي للاطفال. وضع معطفه ومحفظة اوراقه في مكتبه في الطبقة الرابعة وتوجه عبر القاعة الى مكتب مونيكا كينلان الممرضة المنسّقة في قسم الكلية وسألها: "كيف ماثيو؟"

فاجابته: "يظهر ان هناك بداية رفض."

كان ماك إنري طبيب اطفال مختصاً بامراض الكلية وكان مهتماً جداً لتقدم ماثيو. وما زال يذكر الخيبات المريرة التي تعرّض لها الفتى وعلى رغم ذلك لم يستسلم للمرض بل ظل يكافح بتشبث وعناد حتى عندما فقد جميع مَن حوله الامل.

يتألم ولا يتذمر

أدرك ماك إنري جيداً ان كل عملية زرع تقابل ببعض الرفض. وفي ما يتعلق بماثيو، فان اعراض الرفض ظهرت سريعاً في المرتين السابقتين، اما الآن وبعد خمسة ايام من عملية الزرع الاخيرة، فان ابسط اشارة كانت مصدر قلق.

ارتدى ماك انري معطفه الابيض وتوجه الى الغرفة التي رقد فيها ماثيو معزولا عن سائر المرضى. وحالما رآه بادره بمرح: "صباح الخير يا ماثيو."

حدّق ماثيو الى الطبيب بعينين خاليتين من اي تعبير. وكان جورج العجيب قربه في السرير. واثناء مكوثه في المستشفى كان ماثيو غالباً قليل الكلام يقتصر حديثه على بيتي.

وصرحت احدى الممرضات: "لقد شعر ببعض الألم لكنه لم يتذمر."

عندما انحنى ماك إنري ليجس كليته، تشبّث ماثيو بجورج العجيب. كانت حوافيها صلبة محددة وهذه علامة على ان الرفض لم يلينّها.

قرر ماك إنري ان يعطي ماثيو علاجاً فعالا يوقف المناعة وكان واثقاً من أن الرفض اكتُشف في الوقت المناسب لكن علاجه كان دائماً محفوفاً بالخطر كمن يمشي على حبل مشدود، فاذا كان قوياً جداً فانه يعرّض ماثيو للعدوى بشتى انواع الجراثيم الى درجة ان رشحاً بسيطاً قد يشكّل خطراً على حياته. اما اذا كان ضعيفاً، فانه يسمح للاجسام المضادة بان تغزو كلية ليزا وتتلفها.

من الناحية الاحصائية كان احتمال تقبّل جسم ماثيو للكلية خلال سنة ٥٠/٥٠، فاذا ما احتفظ بها لسنة كاملة فمعنى ذلك ان هناك املا كبيراً في انها ستستقر في داخله وتصبح جزءاً منه.

وكان عمل الكلية يُرصد يومياً، ومعنى هذا اخذ عيّنة من دمه كل يوم. وما ان خرج ماك انري من الغرفة حتى دخلت مونيكا الممرضة المفضلة لدى ماثيو وقالت له: "عليّ ان اسحب قليلا من الدم. هل يسمح جورج بذلك؟"

استدار ماثيو نحو جورج ثم قال: "جورج يقول انه لن يبكي."

قالت مونيكا ان "جورج شجاع جداً" وهي تتظاهر بسحب الدم من السعدان - الدمية. فرد ماثيو:

"جورج وانا لا نبكي" فيما الممرضة تغرز الابرة في ذراعه.

كانت مونيكا تقوم بهذه التمثيلية كل يوم واصبحت تدرك ان جورج كان بطريقة ما يمثل الذات المريضة لدى ماثيو وان الفتى كان يدرك بدوره ان هذا الجزء منه في حاجة الى معالجة وهو احب ان يبقيه منفصلا عنه.

بعد يومين شاع خبر سار: لقد تغلبوا على الرفض.

ولأن ماثيو يمكن ان يتقدم بصورة افضل في البيت فقد سمح الطبيب بنقله الى المنزل فور استقرار حاله، اي بعد قرابة اسبوعين. وما ان غادر المستشفى حتى بدأ يخرج من قوقعته واصبح طفلا طبيعياً كسواه من الاطفال.

ازمة الشهاق

في اوائل ابريل (نيسان) وللمرة الاولى منذ عملية الزرع عزمت العائلة تناول العشاء معاً. وكان ماثيو واختاه اللتان تكبرانه فاليري وجاني، يشاهدون برنامج رسوم متحركة على التلفزيون (التلفاز) في غرفة الجلوس حيث كان جيم يقيم بعض الرفوف فيما انشغلت بيتي في المطبخ.

فجأة انهار ماثيو ارضاً. فصرخ جيم: "بيتي! يبدو انها نوبة!" وللحال اتصلت بيتي هاتفياً بفريق الطوارىء الطبي وبالدكتور ماك إنري ونُقل ماثيو بسرعة الى اقرب مستشفى حيث وصف له الاطباء "الفاليوم" المهدىء للاعصاب بغية اخراجه من النوبة من دون ابطال مفعول الدواء المعيق للمناعة الذي كان يتناوله.

وتعذر على الدكتور ماك إنري تفسير ما حدث متسائلا هل العقاقير هي التي

تسببت بالنوبة. وطلب من جيم وبيتي إذناً بنقل ماثيو الى مستشفى الاطفال. فوافقا على طلبه بعدما خرج ماثيو من دائرة الخطر.

في القسم المعزول في المستشفى وضع ماثيو خطأ مع طفل آخر مصاب بالحماق ولم يكتشف ذلك الا صباح اليوم التالي فنُقل الصبي من الغرفة، على ان احداً لم يكن متأكداً من ان ماثيو لم يلتقط العدوى. والحماق هو احد اكثر الامراض عدوى. وزيادة في التعقيد، اظهرت التحاليل المخبرية ان عمل الكلية يتدهور. هل كان ذلك بسبب العدوى. ام انها بداية رفض جديد؟

عرض ماك انري وفريق من الاطباء الخيارات المتاحة امامهم وقرروا اعطاء ماثيو مادة "الغلوبيولين" المنيع ضد القوباء المنطقية حماية له من الحماق كذلك قرروا ان يتابعوا في الوقت نفسه العلاج بواسطة العقاقير المعيقة للمناعة الطبيعية.

وسأل جيم باضطراب: "ولكن ماذا لو التقط ماثيو الحماق؟" وهو خشي ان يرفض جسم ماثيو كلية ليزا اذا اوقفت العقاقير التي تعيق المناعة.

غير ان احداً لم يكن يملك الاجابة عن هذا السؤال. وعندما دخل جيم وبيتي الغرفة كان ماثيو يحتضن جورج العجيب ويهزه. فسألته بيتي: "كيف صحة جورج اليوم؟"

كانت عينا ماثيو يقظتان على نحو منير على رغم قلة كلامه فاجاب: "انه مريض من جديد."

أحنى جيم رأسه واسترسل في صلاة صامتة: "ايها الاله الحبيب، لا تدع ابني يموت."

وحده الوقت كان سينبىء اذا كان ماثيو يعاني عدوى جرثومية او إذا كان جسمه في حال رفض حادة. ولم يكن امام جيم وبيتي سوى الانتظار. ومرور الوقت من دون ظهور اعراض العدوى كان في مصلحة ماثيو.

"إنه يحترق!"

حدث ذات صباح، بعد اسبوعين، ان دخل جيم غرفة ماثيو الذي طالعه بابتسامة مشرقة اضاءت الغرفة. وكانت وجنتاه ورديتين ومعنوياته مرتفعة. لم يكن هناك اثر لأي عدوى وبدا ان مسألة الرفض انتهت بسلام.

اندفع جيم نحو الهاتف واتصل بزوجته ووسط الدموع والضحكات قال: "يبدو ان ابننا عاد الينا."

في منزل آل كيلي خارج بلتيمور، جلست لويز وابنتها مورين تتحدثان حول فنجان من القهوة. وتطرق الحديث الى تأثير وفاة ليزا على العائلة. سألت الام ابنتها: "هل اطلعتك على رسالة جو؟"

– لا.

فتحت لويز درجاً واخرجت رسالة مطوية بعناية. انهمرت دموع مورين وهي تقرأ عن الاشخاص الذين تلقوا اعضاء ليزا وقالت: "الخير الذي نتج من الوفاة يبعث في النفس الامل." واضافت: "يسرح بي الفكر الى هؤلاء الناس واتساءل ما شكلهم وكيف حالهم."

فاجابتها مورين: "عندما اتذكر لِمَ احبّت ليزا الاطفال اتبيّن صواب حصول

ذلك الطفل الصغير على احدى كليتيها."

اومأت لويز برأسها موافقة وقالت: "انه اكثر مَن افكر فيه."

بدأ الامر برشح بسيط شعر به ماثيو يوم الجمعة وكان مضى على عملية الزرع ستة اسابيع. ففي وقت متقدم من ذلك اليوم ارتفعت درجة حرارته قليلا وتسارع تنفّسه. ظل جيم وبيتي يراقبانه طوال المساء ثم وضعا اداة مرطّبة في غرفته وأويا الى فراشهما قرابة الساعة الثانية صباحاً. وفي الثالثة، عندما تفقّده جيم، كانت حرارته دون ٣٨ درجة مئوية مما اشاع في نفسه شعوراً بالانفراج. ولكن عندما دخلت بيتي الغرفة في الرابعة وجدت تنفّسه سريعاً وسطحياً واشار ميزان الحرارة الى ٤٠ درجة. فنادت بيتي جيم قائلة: "انه ملتهب!"

القى جيم نظرة على ماثيو وقال: "يستحسن ان نرجعه الى مستشفى الاطفال."

والرحلة الى المستشفى الذي يقع على مسافة ٣٠ دقيقة بالسيارة من منزل عائلة لاندس، لم تستغرق تلك الليلة سوى ١٧ دقيقة.

وصور الاشعة التي اخذت في غرفة الطوارىء اظهرت ان رئتي ماثيو امتلأتا بسائل جعل القلب يتضخم على نحو خطر.

اما السبب فلم يعرفه احد وبقي سير العلاج غير واضح. ومع شروق الشمس كان الاطباء ما زالوا يدرسون حال ماثيو فاستدعوا جيم وبيتي الى احدى قاعات المحاضرات وتحدثوا معهما بصراحة في حضور ماك إنري ونوزويرذي. تفحص جيم وجهيهما وقال في نفسه: حتى ماك انري المتفائل الدائم يبدو قلقاً.

استهل ماك إنري كلامه بان الاطباء توصلوا الى قرار صعب. كانوا في حاجة الى نسيج من رئة ماثيو لكي يحددوا مجهرياً نوع الجرثومة التي غزت جهازه والطريقة الوحيدة هي استئصاله جراحياً.

ضعف جيم. كان ماثيو من الضعف بحيث يتعذر عليه رفع رأسه فكيف يجرون له جراحة وهو على هذه الحال؟

لكن ماك انري اصرّ: "لو ان امامنا طريقة اخرى للجأنا اليها."

فقال له جيم: "لقد قطعت مع ماثيو هذا الشوط كله فافعل الآن ما يتوجب عليك."

اقترب الدكتور نوزويرذي من بيتي وقال لها: "سأبذل قصارى جهدي. وسوف اضبط الامور وسيخرج ماثيو سالماً."

دمعت عينا بيتي وتفاءل جيم خيراً.

غير ان آمالهما تلاشت في وقت لاحق من النهار بعدما نقل ماثيو الى غرفة العمليات. واستبد بجيم شعور بان ماثيو لن يخرج من هذه المحنة سالماً. فراح يصلي.

"الحمد لله"

خيّم على غرفة العمليات صمت مشدود. فتح نوزويرذي صدر ماثيو واستأصل قطعة صغيرة من النسيج الرئوي حملتها ممرضة الاحتياط الى المختبر بسرعة فائقة. ثم ادخل آلة ماصة التجويف الصدري وسحب بها كمية كبيرة من السائل كانت على وشك التسبب في وفاة ماثيو.

سمع جيم وبيتي خطوات الدكتور نوزويرذي تقترب من قاعة الانتظار. وما ان دخلها حتى قرأا في وجهه الخبر السار.

قال لهما: "الحمد لله، خرج ماثيو من العملية سالماً." فحرارتـه انخفضت وعادت رئتاه الى صفائهما. واوضح لهما ان نوعاً من الجراثيم التي غالباً ما تهاجم الجسم الذي يكون في حال انعدام المناعة، تسبب له في داء ذات الرئة. والآن، وبعدما حُدد السبب، بات في الامكان القضاء عليه بالمضادات الحيوية.

لم تتمالك بيتي نفسها فاجهشت في البكاء. اما جيم فكانت تلك اسعد لحظات عمره.

لا رفض

ارتدى جيم وبيتي الثياب والاقنعة المعقّمة ودخلا حجرة الطوارىء التي يوضع فيها المرضى بعد الجراحات تحسباً لأي طارىء. كان ماثيو موصولا بانابيب غرزت اطرافها بأوردته وباجهزة مراقبة ترصد مؤشراته الحيوية. كانت جميعها مستقرة فركع جيم بالقرب من السرير وقال: "انك بخير يا رجلي الصغير."

رفع ماثيو نظرة نحو والده الذي قرأ في عينيه امارات التعب وليس الهزيمة، على رغم ان تلك كانت الجراحة الكبرى السابعة التي أخضع لها ماثيو في اقل من ثلاث سنوات ونصف سنة. ومالت بيتي عليه ووضعت جورج العجيب في السرير بقربه ثم شدت على يده وقالت: "اننا نحبك،" وراحت ترددها مرات عدة.

غادر ماثيو المستشفى في اواخر شهر مايو (ايار) وكان انقضى اسبوعان على العملية. كانت كليته تعمل على نحو ممتاز ولم يظهر لديه اي مرض جرثومي. ومنذ ذلك التاريخ وقوّته تنمو باطراد.

وفي شهر يوليو (تموز) احتفل ذووه بعيد ميلاده الرابع. وكانت بيتي تصحبه مرتين في الاسبوع الى عيادة المستشفى حيث كان يحظى كل مرة باستقبال خاص. وابرز شعره المقصوص، على غرار الصبي في لوحة "الفتى الهولندي"، وهي قصة مستقيمة فوق الجبين والاذنين، استدارة وجهه الملائكي وعينيه المشعتين اتقاداً وحيوية. واثناء زياراته العيادة كان دائم الحركة يركض من مكان الى آخر ويختبىء في الزوايا يختلس النظر منها الى الآخرين. وفي الاسابيع التي توالت جاءت نتائج الفحوص متطابقة: لا اثر لأي رفض.

وفي اواخر يوليو (تموز)، اصطحبه والداه الى العيادة من اجل الفحوص الدورية. وكانت انقضت خمسة اشهر على عملية الزرع. وفي نهاية الزيارة تحدث جيم وبيتي الى الدكتور ماك انري. قال جيم:

"لم نحظ باجازة منذ ولادة ماثيو ونود ان نذهب في السيارة الى وسكنسون لمدة عشر ايام في شهر اغسطس (آب)." بالطبع كانت صحة ماثيو همّهما الاكبر. فعلى رغم انه بدا بصحة جيدة، فهما يخشيان الابتعاد عن المستشفى لمدة طويلة. وقالت بيتي: "لا نريد ان نعرّضه لأي خطر." فابلغهما ماك إنري انه يقدّر مخاوفهما واعرب عن اعتقاده ان اي والدين في وضعهما يتعرضان لمثل معاناتهما، لا بد ان يشعرا مثلهما. ثم

طمأنهما الى ان ماثيو يتقدم على نحو جيد جداً وان عمل الكلية ممتاز ولا دليل على اي مشكلة لدى الصبي. واضاف انه يعرف من خلال خبرته ان فرص النجاح النهائي تزداد بنسبة كبيرة بعد ان تهدأ الخضّة الاولى التي تحدثها عملية الزرع.

ثم نظر ماك انري اليهما واسمعهما كلاماً لم يسمعاه من قبل. فهو قال: "اعتقد انه من الافضل أن تدركا ان ابنكما يتمتع بصحة سليمة. اذهبا في عطلتكما وسيكون ماثيو في خير."

ذهل جيم وقال: "لم اكن اتوقع اني سأسمع في حياتي مثل هذا الكلام من طبيب."

استمرت صحة ماثيو في التقدم على نحو ملحوظ. ومع حلول فصل الخريف أُدخل حضانة للاطفال وكان طوله زاد حوالى ثمانية سنتيمترات خلال الصيف واصبح قريباً من المعدل بالنسبة الى طفل في الرابعة.

وفي احد ايام شهر نوفمبر (تشرين الثاني) وفيما بيتي تنظف غرفة ماثيو، عثرت تحت السرير على صورة يظهر فيها الصبي محاطا بعدد من الاطباء والممرضات الذين اعتنوا به.

ثقب صغير في الصورة لا تتعدى مساحته السنتيمترين حيّر بيتي ثم ادركت ماذا نقص من الصورة: جورج العجيب. لا بد ان شخصاً ما تعمّد ذلك الثقب وحذف جورج من الصورة!

عندها فقط لاحظت بيتي ان جورج العجيب لم يكن في مكانه المألوف فوق السرير بالقرب من وسادة ماثيو. فتشت الغرفة بحثاً عنه ثم وجدته في احدى الزوايا في خزانة ماثيو حيث لا يراه احد.

ازهار لليزا

وصل آل لاندس الى مكان الاحتفال بذكرى ليزا قبل دقائق من بداية الاحتفال. تناول جيم برنامج الصلاة وقفزت عيناه الى اسفل الصفحة حيث قرأ: "زهور في ذكرى من وهب ماثيو حياة جديدة."

في مثل ذلك اليوم من العام الفائت حصل الحادث وبفضل كلية ليزا كُتبت حياة جديدة لماثيو.

نقل جيم بصره بين الاهداء والازهار ذات الالوان الصفراء والوردية والبيضاء وازدحمت في داخله مشاعر الفرح والاسى والعرفان بالجميل من اجل ماثيو وليزا وعائلتها. ونظر الى بيتي الواقفة بقربه. فرآها تبكي.

خارج بلتيمور، انتهت مورين ذلك المساء من تناول عشائها. وبقي نظرها معلقاً بساعة المطبخ. ففي الساعة ٨،٣٠ من مساء ذلك اليوم من العام الماضي حصل حادث ليزا. عبثاً حاولت مورين ان تتظاهر بان لا فرق بين وقت وآخر، غير ان الساعة ظلت تذكّرها باختها. فتوجهت الى غرفة الطعام حيث لا ساعات وجلست تقرأ صحيفة الاحد بمنهجية ونظام.

وعلى بعد بضعة اميال، كان والدا مورين وإلن امضوا ذلك اليوم مع ذكرياتهم. وحاولت لويز ان تقنع نفسها بان "الايام المعالم" في حياة البشر كانت دائماً الاصعب وبأن مرور الوقت كفيل بتخفيف الالم وها قد انقضى عام وما زال الألم يفوق كل تصوراتها.

لم تنق مورين، ولا عائلتها، تلك الليلة طعم النوم وكانت افكارهم كلها مع ليزا والشخصين اللذين تلقيا كليتيها.

فبخلاف ماثيو لم يحالف الحظ كارولين بلانشارد زوجة الضابط المتقاعد في الجيش، اذ لم يتقبل جسمها كلية ليزا الثانية وظل يرفضها الى ان توقفت نهائياً عن العمل واستؤصلت.

شعور بالسلام

صباح يوم احد من شهر ابـريل (نيسان) كان الطقس حاراً على نحو غير معتاد. وكانت انقضت اربع سنوات على الحادث الذي اودى بحياة ليزا وعلى عملية زرع الكلية لماثيو. ومع ابتعاد السيارة عن ضواحي العاصمة واشنطن واقترابها من الريف في ميريـلاند، استوقف جيم الشبه بينه وبين الريف في اوهايو وقال ذلك لبيتي.

الامنية التي ظن جيم وبيتي انها مستحيلة، كانت على وشك ان تتحقق. وهما كانا في طريقهما لملاقاة عائلة كيلي. ومثل تلك اللقاءات بين عائلتي المتلقي والواهب غير مستحبة تقليدياً وتعتبر مجازفة خطرة لانها تعرّض عائلة الواهب للحزن مرتين في حال فشل عملية الزرع.

ولم يسبق لجو لسلي ان علمت بمثل هذا اللقاء. لكنها شعرت ان الحال بالنسبة الى عائلتي كيلي ولاندس كانت مختلفة وان اجتماع العائلتين فكرة صائبة. احتمال الحزن مرتين كان ضئيلا جداً لان كلية ماثيو كانت تعمل بشكل رائع، بعد انقضاء اربع سنوات على عملية الزرع. وكان ماثيو خارج دائرة اي خطر متوقع.

لم تكن حماسة جو للقاء آل لاندس لتقل عن حماسة العائلتين للاجتماع.

تجمّعت عائلة لاندس في سيارة واحدة واستقلت جو وريك الذي اصبح زوجها، سيارة اخرى. والتقى الجميع مورين في محطة للوقود وتوجهت القافلة ومورين في المقدم، الى منزل آل كيلي. في الطريق ازدحمت التساؤلات في رأس بيتي: كيف سيكون وقعنا عليهم؟ هل سيحبّوننا؟ هل ترفع رؤية ماثيو معنوياتهم ام تحيي في نفوسهم شعور الاسى على الابنة التي فقدوها؟

مورين ايضاً كانت متوترة، فلقد سيطر هذا اللقاء على تفكيرها طوال اشهر وتساءلت في نفسها عن الشعور الذي سيخلفه في نفوس افراد العائلة منظر ذلك الصبي الصغير الذي يحمل جزءاً حياً من ليزا. وهي لم تصدق عينيها عندما وقعتا عليه. كان احمر الشعر ذا جمال اخاذ. وخلافاً لتوقعاتها رأت طفلا يضج حيوية وعافية.

انعطفت مورين بالسيارة الى اليمين وتبعها الجميع في الطريق الخاصة المكسوة بالحصى والمؤدية الى منزل آل كيلي. هناك توقفت السيارات الثلاث وترجل من فيها. تقدمت مورين من ماثيو ومدت اليه يدها قائلة: "تعال، والدتي بشوق لرؤية هذا الفتى الصغير. من الافضل ان ادخله اليها."

ما ان فتحت مورين الباب الامامي حتى تقدمت لويز كيلي نحوهما. جمدت في مكانها عندما وقعت عيناها على ماثيو

الذي وقف خجلا وهو يحدّق اليها بعينيه البنيتين المستطلعتين. حاولت مورين ان تنطق اسمه لكن العبرات خنقت صوتها فضمتها امها الى صدرها واجهشت الاثنتان في البكاء لكنهما مسحتا دمعهما ودعتا الضيوف الى الجلوس. وعندما دخل يوجين وقف في الجانب الاخر من غرفة الجلوس وظل لحظات طويلة يحدّق بصمت الى ماثيو.

ساد الغرفة صمت طويل قطعته مورين عندما تقدمت من الرف [illegible]

وتناولت صورة فوتوغرافية لليزا تعود الى سنة تخرجها في المدرسة الثانوية ودفعت بها الى جيم وبيتي اللذين تفحصا الوجه الجميل بتقاطيعه الدقيقة والشعر الاشقر الطويل. هزّت بيتي رأسها وقالت وهي ترفع بصرها الى لويز: "كم كانت جميلة."

"نعم،" قالت لويز ثم اضافت: "كانت روحها جميلة ايضاً."

أرتهم مورين صوراً اخرى لليزا وكان ماثيو يتفحص كل واحدة منها. وهو علم ان تلك كانت صور الفتاة التي وهبته الكلية. قال جيم للويز: "انه يدرك." فردت هي بايماءة من رأسها.

بعدئذ وصل شقيق مورين دونالد مع زوجته سوزان وابنتهما آن وهي في الرابعة وابنهما داني وهو في السابعة. وما لبث داني ان دعا ماثيو الى اللعب في الخارج.

[illegible]

بعدما تعرّفت العائلتان واحدتهما الى الاخرى، زال التوتر والقلق وشرع آل كيلي يتحدثون مع جيم وبيتي عن ليزا كأنهم ارادوهما ان يعلما ان الكلية التي ابقت ماثيو حياً اتت من انسانة لو عرفاها لأعجبا بها واحبّاها.

كانت لويز اعدت للمناسبة وجبة من اصناف مختلفة من السلطة ولحم العجل المشوي وديك الحبش. وحضّرت اصنافا ختامية اخرى من الكعك والفاكهة والحلوى. وفيما الجميع يتقدم نحو المائدة، اقترب يوجين من جو وقال لها:

"كانت ليزا ستسعد لرؤية هذا الصبي الصغير." ثم اطرق برهة قبل ان يضيف: "اينما كانت، اظن انها تعلم."

بعد الغداء، اصطفّ الجميع في المرجة الامامية للمنزل والتقطوا الصور التذكارية وتبادلوا العناوين وتواعدوا على الكتابة. وقف جيم على الدرج الامامي وصافح يوجين قائلا: "اشكر لكم ضيافتكم واشكر لكم كل ما فعلتموه من اجلنا."

رد يوجين: "يسعدنا ان..." لكنه لم يستطع المتابعة. فادرك جيم قصده وربت ظهره متفهماً.

تعانقت بيتي ومورين، كذلك جيم ولويز. كان عناقاً حاراً مبللا بالدموع، وبدوا كأنهم بعناقهم هذا يحاولون ابدال الذكريات المؤلمة بأخرى سعيدة.

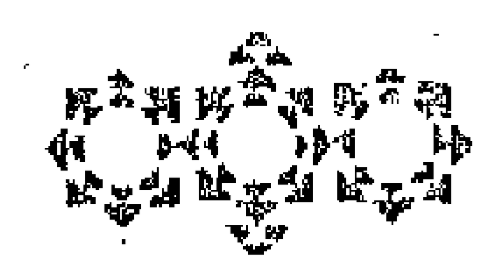
اما ماثيو وداني فلف الواحد منهما ذراعه حول الآخر وقال داني: "انك صديقي". فاجابه ماثيو: "انت صديقي ايضاً. يجب ان تأتي الى بيتي في المرة المقبلة لنلعب معاً."

راحت مورين تراقب ماثيو وهو يسير نحو السيارة التي كانت في انتظاره وفجأة ادركت ان رؤيته رفعت معنوياتها حقاً وقالت في نفسها: لا يقولنّ احد ان الله تخلى عن المؤمنين به.

بعد ذهاب آل لاندس، استدارت مورين نحو والدتها. جزء من نفسها كان ينتحب وجزء آخر كان يبتسم للذكريات الحلوة التي خلفها ذلك النهار. غرقت مورين في تأملاتها لحظة قصيرة ثم قالت: "للمرة الاولى منذ وفاة ليزا، اشعر بالسلام اخيراً."

نظرت لويز اليها وبصوت رقيق قالت: "وانا ايضاً."

جون بيكانن ■



الام الضائعة

وقف ولد أمام صندوق المحاسب في متجر كبير وعيناه الواسعتان تدمعان، وقال للمحاسب بانكسار انه ضائع. فطمأنه المحاسب: "لا تقلق، سأجد لك أمك." ثم راح يفتش معه في الممرات ويسأله في كل منها: "هل ترى أمك؟" فيجيبه بالنفي. وأخيراً أوقفه المحاسب على منضدة في مدخل المتجر وقال له: تلفّت جيداً الآن، هل ترى أمك؟" فرد الولد: "لا، لكنني في كل مرة أرى أبي."

ك.د.

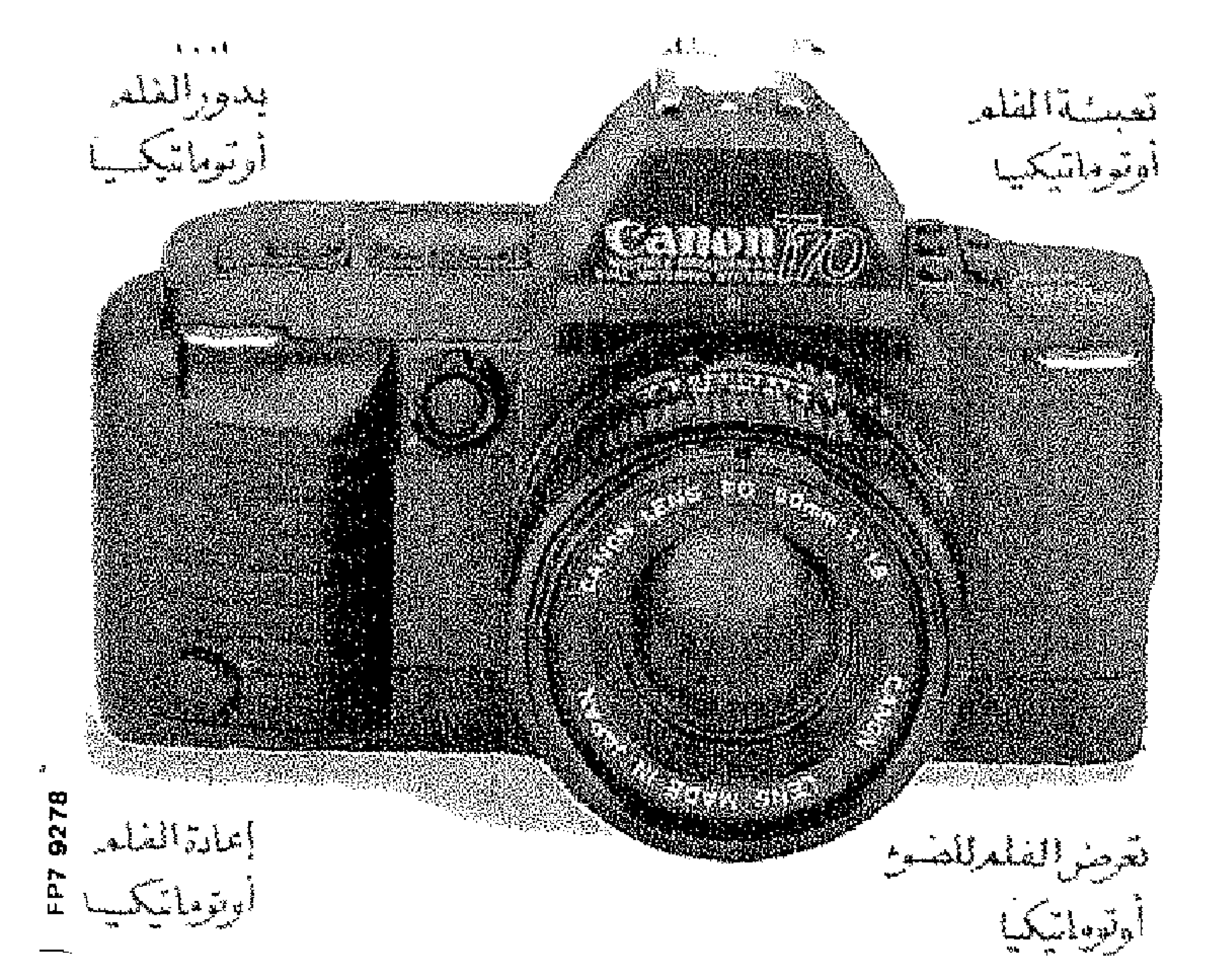
صانع المفاتيح ونفايات المتنزهين

يعمل أحدهم صانع مفاتيح في منتجع سياحي. وحدث مرة ان أوقف بعض السياح سيارتهم بالقرب من محله وأفرغوا منها النفايات في أرضه ثم غادروها للتنزه على الشاطئ. وما ان ابتعدوا حتى تقدم الرجل من السيارة وفتح قفلها بسلك معدني والتقط النفايات كلها عن الارض ورماها داخل السيارة واقفلها من جديد.

د.ل.


كاميرا التكنولوجيا المتقدمه لعالم السرعة الفائقة

إن الكاميرا التي تستطيع أن تلتقط صورة لأسرع سائقي سيارات السباق في العالم يجب بالضرورة أن تكون في نفس سرعة وتطور السيارات التي يقودها هؤلاء السائقين والأكثر من ذلك يجب أن تتيح لمستخدمها إلتقاط الصور في أقل من الثانية ببساطة وسهولة ودون جهد. إنها كاميرا كانون T 70 .
إنك ببساطة تدير برنامج العمل السريع وتعدل البؤرة وتلتقط الصورة ثم يقوم الكومبيوتر بالباقي.
إن تعبئة ودوران وإعادة الفلم في كاميرا T 70 يتم أوتوماتيكيا.
أما شاشة الكريستال فيتيح لك قراءة المعلومات المتعلقة بوظائف الكاميرا باستمرار.
إن بساطة كاميرا كانون T 70 تعطي أفضل اللقطات في كل الأوقات.



Canon T70

كاميرات الفورميولا واحد



"قلعة سومور" للنمسوية ويلما لانفامر